موجز العقيدة الإسلامية

إعداد

أحمد سالم

"علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع؛ ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها و معبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه."

وعليه، فهذا كتاب **«موجز العقيدة الإسلامية»**، أول كتاب من سلسلة كتب: **(البداية)**، التي تختص ببيان **ما لا يسع المسلم جهله**، وتصلح في الوقت نفسه كمرحلة أولى للمبتدئين في العلوم الإسلامية .

اعتنيتُ فيه بمباحث أصول الدين، المبينة لأدلة وجود الله وضرورة الرسالة، ثم مباحث الإيمان بالله وأقسام التوحيد الثلاثة، ثم بقية أركان الإيمان، ثم ستة أصول كبرى من أصول السنة والاعتقاد التي قررها علماء أهل السنة والجماعة.

وأرجو أن نكون بهذا قد وُفقت في صياغة كتاب متكامل يغطي محاور هذا العلم بما يتناسب مع اكتفاء المبتدئ وابتداء المتدرج في التعلم، والكتاب مدين لمصادره الأساسية المذكورة في خاتمته فليس لي من عمل إلا إضافات يسيرة مدمجة في الفصول التي اخترتها من هذه المصادر وألفت بينها بما يلبي حاجة القارئ ولم أجده مجموعًا بهذا الشكل في كتاب مفرد.

أحمد سالم

موجز العقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

موجز العقيدة الإسلامية

إعداد

أحمد سالم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول: أصول العقيدة والتوحيد	**٩**
أولًا: مفهوم العقيدة وأهميتها ومصادر تلقيها	١١
مصادر تلقي العقيدة	٢٠
ثانيًا: الدين	٣٦
ثالثًا: مراتب الدين	٣٩
رابعًا: الأدلة علىٰ وجود الله ﷻ	٥٥
خامسًا: هل الله ﷻ أهملنا أم تعبدنا بالدين والرسل؟	٩٣
سادسًا: قواعد وقائية من الشبه الهدامة	١٠٠
سابعًا: التوحيد	١١٤
القسم الأول: توحيد الربوبية	١١٩
إبطال الصدفة	١٢٢
القسم الثاني: توحيد الألوهية	١٢٩
قضايا تطبيقية علىٰ توحيد الألوهية	١٥٢
أبرز شبهات المخالفين في توحيد الإلهية والرد عليها	١٩٥
القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات	٢٠١
أقسام الصفات	٢١٥
طريقةُ أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالىٰ وصفاتِه	٢١٨
قواعد مهمة في توحيد الأسماء والصفات	٢٢٦
ثمرات الإيمان بالله وتوحيده	٢٣٤

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: بقية أركان الإيمان	٢٣٧
الركن الثاني: الإيمان بالملائكة	٢٣٩
الركن الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة	٢٤٤
الركن الرابع: الإيمان بالرُّسل	٢٥٤
الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر	٢٧٤
الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر	٢٨٨
الفصل الثالث: أصول في السنة والاعتقاد	٢٩١
الأصل الأول: الولاء والبراء معناه وضوابطه	٢٩٣
الأصل الثاني: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم	٢٩٦
الأصل الثالث: الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم	٣٠٥
الأصل الرابع: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة	٣٠٨
الأصل الخامس: نواقض الإسلام	٣٢٤
الأصل السادس: موقف أهل السنة والجماعة من مسألة التكفير	٣٤٣
المصادر الأساسية	٣٧٩

المقدمة

إن الحمد لله نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذ به تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أحسَنَ الحديث كتابُ الله تعالىٰ، وأحسَن الهَدْي هدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعَةٌ، وكلَّ بدعَةٍ ضلالَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أما بعد..

فهذا كتاب: «**موجز العقيدة الإسلامية**»، أول كتاب من سلسلة كتب: «**البداية**»، التي تختص ببيان **ما لا يسع المسلم جهلُه**، وتصلح في الوقت نفسه كمرحلة أولىٰ للمبتدئين في العلوم الإسلامية.

اعتنيتُ فيه بمباحث أصول الدين، المبينة لأدلة وجود الله وضرورة الرسالة، ثم مباحث الإيمان بالله وأقسام التوحيد الثلاثة، ثم بقية أركان الإيمان، ثم ستة أصول كبرىٰ من أصول السنة والاعتقاد التي قررها علماء أهل السنة والجماعة.

وأرجو أن نكون بهذا قد وفقت في صياغة كتاب متكامل يغطي محاور هذا العلم بما يتناسب مع اكتفاء المبتدئ وابتداء المتدرج في التعلم، والكتاب مدين لمصادره الأساسية المذكورة في خاتمته فليس لي من عمل إلا إضافات يسيرة مدمجة في الفصول التي اخترتها من هذه المصادر وألفت بينها بما يلبي حاجة القارئ ولم أجده مجموعًا بهذا الشكل في كتاب مفرد.

۞ ۞ ۞

الفصل الأول

أصول العقيدة والتوحيد

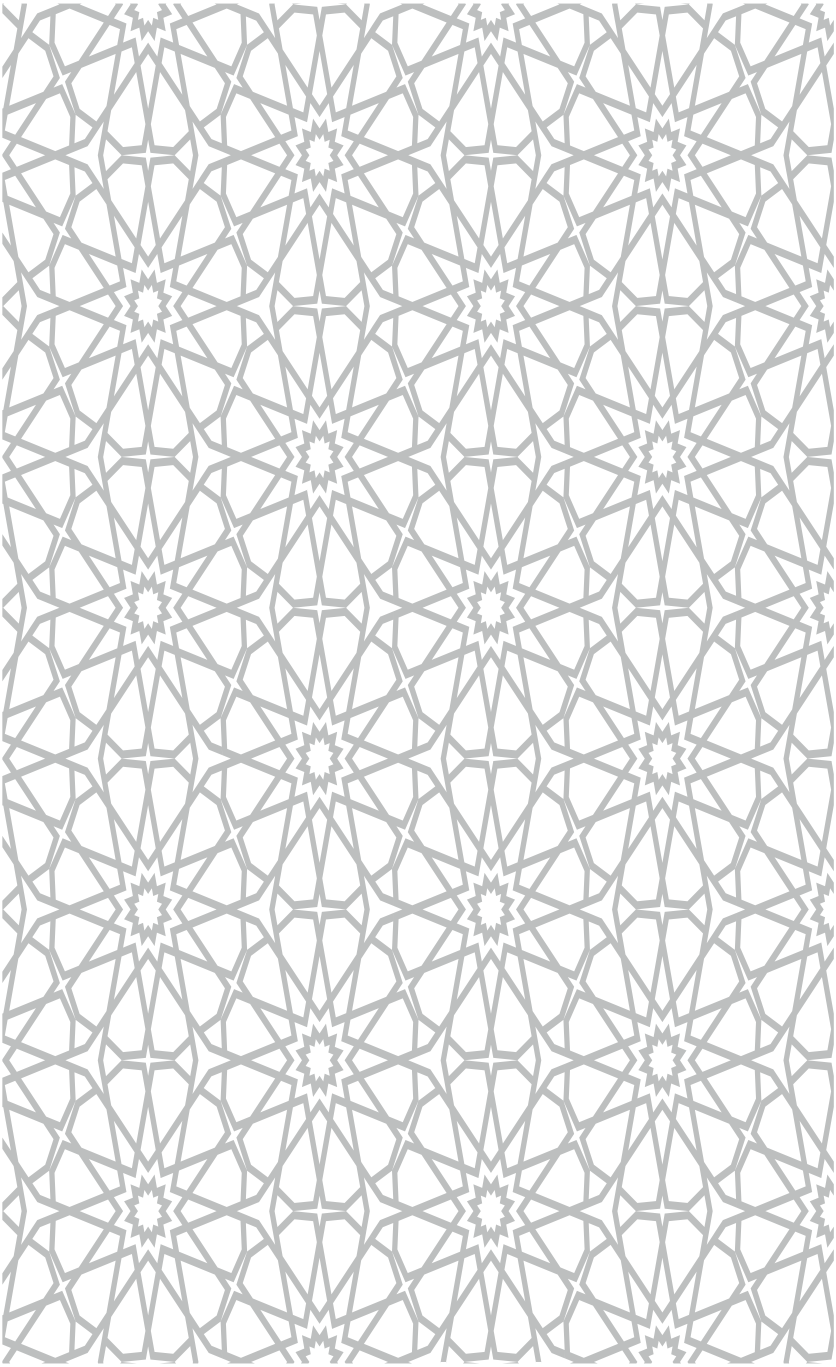

أولًا

مفهوم العقيدة وأهميتها ومصادر تلقيها

العقيدة لغة: الربطُ والإيثاق والثبوت والإحكام، وعَقد الحبل: شَدُّ بعضه ببعض، نقيض حله، وفي القرآن: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المَائدة: ٨٩]، وتعقيدُ الأيمان إنما يكون بقصد القلبِ وعزمِه، بخلاف لغو اليمين التي تجري علىٰ اللسان بدون قصد.

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدىٰ معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد(١).

وخلاصته: ما عَقَدَ الإنسان عليه قلبه جازمًا به؛ فهو عقيدة؛ سواء كان حقًا، أم باطلًا.

العقيدة اصطلاحًا: (العقيدةُ) في الاصطلاح العام هي: الإيمانُ الجازمُ والحكمُ القاطعُ، الذي لا يتطرَّقُ إليه الشكُّ لدىٰ المعتَقِد، وهذا معنىٰ (العقيدة) في الاصطلاح العام، بصرفِ النظرِ عن نوع الاعتقاد: حقٍّ أو باطلٍ. وسمِّيَ (عقيدةً) لأن الإنسانَ يعقِدُ عليها قلبَه.

---

(١) انظر معاجمَ اللُّغةِ: «لسانُ العرب»، «القاموسُ المحيط»، «المعجمُ الوسيط»: «مادَةُ عَقَدَ».

• حقيقة العقيدة الإسلامية:

الإيمان الجازم بالله، وما يجب له من ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، كما تتضمن الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكل ما جاءت بت النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب.

الأدلة علىٰ ذلك

- قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

- وحديث جبريل المشهور: سأل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»[(١)].

• أهمية العقيدة والعلم بها والعمل بمقتضاها:

للعقيدة أهمية بالغة، ومكانة عالية بين العلوم الإسلامية؛ **يمكن بيان معالمها الرئيسة من خلال الوجوه التالية:**

١- أن شرف العلم بشرف موضوعه؛ وموضوع العقيدة هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه، وهذه أشرف المطالب وأهمها علىٰ الإطلاق؛ ولهذا كانت ضرورة العباد إليها فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب إلا بمعرفة ربها وعبادته وحده.

---

(١) رواه مسلم (٨).

قال ابن أبي العز الحنفي: «علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلىٰ فقه الفروع؛ ولهذا سمىٰ الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه»(١).

٢- أن العلم بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وحقوقه وجزائه هي الحكمة في خلق الله وأمره؛ فقد دلت النصوص علىٰ أن حكمة مفعولات الرب ومأموراته **تتضمن ثلاثة أمور**:-

الأول: معرفة الرب بأسمائه وصفاته؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

الثاني: عبادة الله وحده لا شريك له؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢].

الثالث: صدق وعد الله ووعيده؛ قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»، (ص: ٦٩).

ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [يونس: ٤][١].

٣- أن العقيدة أساس قبول الأعمال؛ فالعمل مهما كثر ونفع فإنه لا يُقبل إذا كان على عقيدة غير سليمة، قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ [الغاشية: ٢-٤]، روىٰ مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[٢]؛ ولهذا كانت العقيدة من الدين بمنزلة القلب أو الروح.

٤- أن التوحيد ركن العقيدة الأعظم؛ وأصل الإسلام الأكبر؛ والأمر بالتوحيد مبتدأ الأوامر، والنهي عن الشرك مبتدأ النواهي؛ لأن التوحيد أعظم الواجبات، والشرك أعظم المحرمات[٣]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]؛ وقال: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ

---

(١) انظر: «شفاء العليل»، لابن القيم، ص (٤٣٨، ٤٣٩)، و«بدائع الفوائد»، لابن القيم، (٤/ ١٦٤).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٣٦٥).

(٣) انظر: «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم، (ص: ١٤، ١٦).

أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

ويترتب علىٰ مكانة التوحيد الكبرىٰ في الإسلام أمور عظيمة جليلة؛ منها:

(١) أن من فرط في حق الله الخالص علىٰ عباده حتىٰ أضاع أعظم الواجبات، ولقي الله تعالىٰ بأعظم المحرمات فإن الله تعالىٰ لا يغفر له هذا التفريط العظيم، ولو فعل من الخير ما فعل؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وروىٰ مسلم بسنده عن معاذ بن جبل ﵁ قال: «**بَينما أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيس بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

(١) متفق عليه: «صحيح البخاري» برقم (٥٩٦٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٣٠).

(٢) أن من لقي الله علىٰ التوحيد الخالص فإن الله تعالىٰ يكفر خطاياه مهما كثرت أو عظمت[١]؛ روىٰ الترمذي بسنده عن أنس بن مالكٍ ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[٢]، وروىٰ ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمرو ﵄ قال رسول الله ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَىٰ. إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**»[٣].

قال شيخ الإسلام: «هذه حال من قالها بإخلاص وصدق؛ كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون:

(١) انظر: «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن، (ص: ٦١).

(٢) [إسناده حسن] «سنن الترمذي» برقم (٣٥٤٠). انظر: «صحيح الجامع الصغير»، للألباني برقم (٤٣٣٨).

(٣) [سنده صحيح] «سنن ابن ماجه» برقم (٤٣٠٠). انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني برقم (١٣٥).

لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم علىٰ سيئاتهم، كما ترجح قول صاحب البطاقة، وكذلك في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(١).

وفي لفظ في الصحيح: «إن امرأة بغيا رأت كلبًا في يوم حار، يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها، فسقته به فغفر لها»(٢).

وفي لفظ في الصحيحين: أنها كانت بغيًا من بغايا بني إسرائيل، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ . . .**»(٣).

فهذه سقت الكلب **بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها**، وإلا فليس كل بغىٰ سقت كلبًا يغفر لها، وكذلك هذا الذي نحىٰ غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك؛ فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وليس كل من نحىٰ غصن شوك عن الطريق يغفر له، قال الله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾؛ فالناس

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦٠٠٩)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٤٤).
(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢٢٤٥).
(٣) «صحيح البخاري» برقم (٦٥٢)، و«صحيح مسلم» برقم (١٩١٤).

يشتركون في الهدايا والضحايا، والله لا يناله الدم المهراق، ولا اللحم المأكول والتصدق به، لكن يناله تقوىٰ القلوب فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب، وما في القلوب يتفاضل، لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله، عرف الإنسان أن ما قاله الرسول كله حق ولم يضرب بعضه ببعض»[(١)].

(٣) أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد علىٰ ماهيته؛ وهو كمال الإخلاص في الأقوال والأعمال[(٢)]؛ روىٰ مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . . .**»[(٣)].

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢١٩-٢٢٢).

(٢) انظر: «القول السديد»، لابن سعدي، (ص: ٢٥)، و«حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم، (ص: ٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٣٧٤).

فوصف أهل هذه المنزلة العالية بما يدل علىٰ كمال الإخلاص؛ وهو صدق الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ في جلب المنافع ودفع المضار؛ وهذا الصدق في التوكل هو الذي أورثهم ترك طلب الرقية والاكتواء والتطير.

- **خصائص العقيدة الإسلامية**[(١)]:

١- أنها عقيدة ربانية، من عند الله ﷻ، لا يأتيها الباطل أبدًا.

٢- أنها عقيدة كاملة، فلا نقص فيها بوجه من الوجوه، وقد شهد الله لنا بإكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضىٰ لنا الإسلام دينًا.

٣- عقيدة وسطية، لا غلو فيها ولا تقصير، وقد جعل الله هذه الأمة وسطًا.

٤- أنها موافقة للعقل، فكثيرة هي الآيات التي تحث علىٰ التفكر والنظر واستعمال العقل.

٥- أنها موافقة لفطرة الإنسان.

٦- أنها محفوظة من الزيادة والنقصان، ومن التحريف والتبديل.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «التوحيد حقيقته، وأنواعه» (ص١٦) أ.د. ناصر القفاري.

مصادر تلقي العقيدة

• من أين نَأْخُذُ العقيدةَ الصحيحة؟

▫ وقبل أن نذكر المصادر لابد لنا من تأكيد حقيقة قطعية وهي: أن العقيدة الصحيحة -عقيدة التوحيد- هي عقيدة فطرية، فمنذ أن خلق الله الإنسان أوجد في نفسه هذه العقيدة من معرفة الله وتوحيده.

مصادر العقيدة الإسلامية

إنَّ مصادر التلقِّي عند أهل السُّنَّة والجماعة تنقسم إلىٰ قسمين:

١- **مصادر رئيسية**: وهي الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

٢- **مصادر ثانوية**: وهي العقل الصحيح -الفطرة السليمة- والحس وهي تابعة للقرآن والسُّنَّة؛ فلذا يتضح أن المصادر الأساسية لأهل السُّنَّة والجماعة هي القرآن والسُّنَّة والإجماع المبني عليها[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) ينظر: الفتاوىٰ ٣/ ٢٦٩.

المصدر الأول: القرآن

قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والقرآن بين العقائد بأتم بيان وأكمله، وهو المرجع الأساسي لنا في تحديد ما أخبرنا الله به وأوجب علينا أن نؤمن به ونصدقه.

فأهل السُّنَّة والجماعة اعتمدوا علىٰ كتاب الله ﷻ وجعلوه مصدرًا أساسيًّا وأوليًّا في استمداد المعتقد والاستدلال عليه، فلا ترد مسألةٌ في العقيدة ولا غيرها ولها دليل من القرآن إلا ويوردونه أولا ويقدمونه علىٰ غيره، ومما ساعدهم علىٰ ذلك، أن الله ﷻ قد يسَّر مفهومه، فلا خلل في أسلوبه، ولا غرابة في تعبيره بحيث ينفر منها صاحب الذوق السليم.

ومن هنا كانت معرفة مقاصده مقدورة لكل البشر لا يختص بها أحد دون أحد، بل لكل أحد حظٌّ من فهمه وإدراك مراد الله ﷻ منه . . .

وبذلك يظهر بطلان زعم أهل البدع وكذبهم وقولهم بالتعارض بين الأدلة النقلية والعقلية(١).

۞ ۞ ۞

(١) ينظر: المدخل لدراسة العقيدة، البريكان، ص١٨.

المصدر الثاني: السُّنَّة

والسنة مبينة للقرآن ومتممة له، ورسول الله بلغ الدين وبينه، وتركنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وسنته الصحيحة عليه الصلاة والسلام مليئة بتفاصيل القضايا العقدية التي نؤمن بها ونثبتها كما أثبتها النبي عليه الصلاة والسلام.

والسلف رحمهم الله يجعلون كلام الله وكلام رسوله ﷺ هو الأصل الذي يُعتمد عليه، وإليه يُرد ما تنازع الناس فيه، فما وافقهما كان حقًّا وما خالفهما كان باطلًا[١].

يقول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلم يسمع مسلمًا يقرُّ بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلىٰ غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ ولا أن يأبىٰ عمَّا وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجَّة عليه فهو فاسق، وأمَّا فعله مستحلًا للخروج عن أمرهما وموجبًا لطاعة أحد دونهما فهو كافر»[٢].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو يُحَمِّلَهُ شبهة، أو شكًّا، أو يقدِّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم، والتسليم، والانقياد والإذعان»[٣]، فالسُّنَّة عند

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ١/ ٢٧٧.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ص٩٨٨.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق التركي ١/ ٢٨٨.

السلف وحيٌ لا يعارض القرآن أبدًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1].

وهي تفسِّر القرآن وتبيِّنه، وتفصِّل ما أجمل من أحكامه[2]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحن نقول قولًا كُليًّا نُشهد الله تعالىٰ عليه وملائكته، أنه ليس في حديث رسول الله ﷺ ما يخالف القرآن، ولا يخالف العقل الصريح، بل كلامه بيانٌ للقرآن وتفسيرٌ له وتفصيلٌ لما أجمله»[3].

وقال له: «وأصل كلِّ فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوىٰ علىٰ العقل»[4].

۞ ۞ ۞

(١) سورة النجم، آية ٤.

(٢) ينظر: الإحكام، لابن حزم ١/ ٩٨-١٠٠.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية ٢/ ٤٤١.

(٤) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، ابن القيم ٢/ ١٦٧

المصدر الثالث: الإجماع

أي: إجماع السلف، حملة الدين، الذين فهموا النصوص علىٰ وجهها وفهمهم عصمة لنا من فهوم أهل الأهواء والبدع، فتمسك به وهو ما كان عليه أصحاب رسول ﷺ(١)

قال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(٢).

ومن أمثلة الإجماعات التي يحتج بها أهل السنة علىٰ مسائل الاعتقاد؛ الإجماع الذي حكاه ابن عبد البر بقوله: «**أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك**»(٣).

۞ ۞ ۞

(١) «دراسات في علم العقيدة» (١/ ٦٨) أ.د. ناصر القفاري.
(٢) رواه الترمذي (٢٦٧٦).
(٣) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، (٧/ ١٤٥).

المصادر الفرعية

أولًا: العقل.

ويراد به العقل السليم الصريح السالم من الشبهات، **والقرآن مملوء بالاحتجاجات العقلية فليس هو نقل مجرد كما يظن الواهمون، ومن ذلك:**

١- **قوله تعالىٰ:** ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾، وهو استدلال بالسبر والتقسيم، وهو يقوم علىٰ حصر الاحتمالات التي لابد من ثبوت أحدها، ثم يبطلها جميعًا إلا واحدا يكون هو الصواب.

٢- القياس بين صفات الخالق بطريق المساواة، أو الأولوية، كقياس أفعال الرب الموعودة علىٰ أفعاله المشهودة، ومن ذلك: قياس البعث علىٰ النشأة الأولىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾.

٣- الاستدلال بصفات المخلوق علىٰ صفات الخالق بطريق الأولوية، وهو ما يسمونه بقياس الأولىٰ، وهو الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾، فكل كمال لا نقص في الاتصاف به من وجه من الوجوه فالله أولىٰ بالاتصاف به، وكل نقص الباري أولىٰ بالتنزه عنه.

ومن أمثلة المثل الأعلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ فدلت الآية علىٰ أن من كمال الإنسان أن يتفرد بملك ماله عن مملوكه فلا يشاركه مملوكه فيه

مشاركة امتلاك، بل أن يكون مالكًا لماله دون مملوكه، وهو يمن به عليه باختياره، لا قهرًا، فإذا كان هذا ثابتًا للإنسان، فالله أولىٰ أن يتفرد بالملك والتدبير، فيوحد بالعبادة، وينفىٰ الشرك، فهو الواحد لا شريك له.

قال ابن زيد في قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ قال: هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخلقي، وتجعل لهم نصيبا في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾».

ثانيًا: الفطرة.

ويراد بها السالمة من المؤثرات السلبية، فكل مولود يولد علىٰ فطرة الحق والإسلام، والوحي وبلاغ الأنبياء يذكر كل إنسان منا بهذه الفطرة ويحييها بداخله، ويطرد عنها سائر الملوثات المكتسبة.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه**»[(١)]، ولم يقل يسلمانه؛ لأن الإسلام هو الأصل الموافق للفطرة.

ودلالة الفطرة، مذكورة في الوحي، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٩٨.

وأخبر النبي ﷺ أن المولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، وذلك أن المراد بالفطرة: قوة تقبل الحق وترد الباطل عند عرضهما، ولكنها قد تفسد إن وجدت موانع -كالتربية والشهوة، والشبهة-، فيرسل الله الرسل بالآيات المذكرة بها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فالفطرة كالعين إذا أتاها الضوء أبصرت، وإن حال دونها ودون الضوء مانع لم تبصر، فيحتاج إلىٰ إزاحة ذلك المانع.

تعلق الفطرة بالعقيدة متنوع، منها:

١- فطرة الإسلام:

وهو نوع من أنواع فطرة الروح أو النفس -كما سبق-، فالله ﷻ خلق الروح أو النفس علىٰ الإقرار بالخالق، أو الشعور بالخالق، أو معرفة الخالق، وأيضًا محبته وإرادته وقصد عبادته، كل هذا مما فطرنا الله ﷻ عليه؛ أي خلق الله ﷻ الروح أو النفس علىٰ هيئة تعرف بها الخالق وتحبه وتريد عبادته، هذا ما يتعلق بالفطرة في الوجود الإلهي.

٢- علو الله علىٰ خلقه:

مما يتعلق بالفطرة كمصدر من مصادر التلقي العقدي عند أهل السنة والجماعة: كون الروح أو النفس خلقها الله ﷻ علىٰ معرفة كونه عاليًا علىٰ خلقه.

فكون الله ﷻ في العلو وأنه عالٍ علىٰ خلقه أيضًا من المعارف الفطرية المخلوق عليها الروح والنفس، ولكن لا تظهر ذلك إلا عند

الاضطرار وحدوث المصائب، فيشعر الإنسان بالتذلل إلىٰ الله ﷻ، والخضوع إلىٰ الله ﷻ، ويرفع يده بالدعاء إلىٰ الله ﷻ، فهذا يدل علىٰ أن كون الله ﷻ عاليًا علىٰ خلقه من المعارف الفطرية وتظهر وقت المصائب أو وقت الاضطرار.

ثالثًا: الحس.

وحواس الإنسان هي البصر والسمع والذوق والشم واللمس؛ فالله تعالىٰ يُري عباده من الآيات المشاهدة الباهرة ما يبين صدق آياته المنزلة المسموعة.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣].

□ وهذه المصادر الفرعية ليست مصادر مستقلة للتلقي؛ بل هي تابعة وعاضدة للكتاب والسنة والإجماع، ومؤيدة لها.

❁ ❁ ❁

دين الأنبياء واحد، وشرائعهم شتى

□ والمعنىٰ أن جميع الأنبياء علىٰ دين واحد، وهو الإسلام، فكل الأنبياء دعوا أقوامهم إلىٰ عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولكن الاختلاف في الهيئة وأداء الصوم والتصديق بجميع الأنبياء، وشرائعهم مختلفة أي: الأحكام الفقهية العملية التي تختلف باختلاف زمن كل نبي وأحوال أمته، لكن أصول العقائد والأخلاق واحدة ثابتة بين الأنبياء.

- **مثال ذلك:**

١- كان جائزا في بعض الشرائع أن يجمع الرجل في زواجه بين المرأة وأختها.

وهو محرم في شريعة محمد ﷺ.

٢- وكان جائزًا في الشرائع أن يسجد الرجلُ للرجلِ تحية.

وهو محرم في شريعة محمد ﷺ.

۞ ۞ ۞

أين العقيدة الصحيحة اليوم؟

▫ العقيدة الصحيحة اليوم لا توجد إلا في الإسلام؛ لأن الله تعالىٰ تكفل بحفظ هذا الدين بنفسه، وإن كانت بعض العقائد في غير الإسلام فيها شيء يوافق الحق، إلا أنها لا تمثل الحق ولا توضحه.

■ **فمن أراد أن يعرف العقيدة الصحيحة:**

فلن يجدها عند اليهود ولا النصارىٰ؛ لأنّ التحريف قد نال كتبهم وعقائدهم.

وإنما يجدها في الإسلام، ذلك الدين المشرق الصافي النقي الذي يقنع العقل بالحجة، ويملأ القلب نورًا ويقينًا.

دين الإسلام ناسخ لبقية الأديان:

▫ ومعنىٰ ذلك أنّ الإسلام أزال وأبطل الشرائع السابقة، ولن يقبل الله من أحد غير الإسلام دينًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥، ٨٦].

وقال النبي ﷺ: «**والذي نفسُ محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ أو نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار**»(١).

● **إليك بعض الفروق التي تميز عقيدتنا وشريعتنا عن سائر العقائد والشرائع:**

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

☆ **الفرق الأول:**

أننا نعلم كيف وصل إلينا القرآن الكريم عن طريق جماعات كثيرة، عن جماعات كثيرة، عن مثلهم (بالسند المتصل) إلىٰ النبي ﷺ.

بينما الديانات الأخرىٰ لا تمتلك الدليل لإثبات نسبة كتبهم إلىٰ أنبيائهم، حيث يوجد (انقطاع كبير **في الإسناد والاتصال**) بين الرجال الذين نقلوا هذه الكتب عن الأنبياء.

☆ **الفرق الثاني:**

وضوح العقيدة الإسلامية وموافقتها للعقل والفطرة:

(**فالنصارىٰ**) يؤمنون بأن الله ثلاثة وواحد في نفس الوقت! وأن واحدًا من هؤلاء الآلهة -وهو الإله الابن- قد صُلِب! ولم يستطع الدفاع عن نفسه! وأنّه دُفن! فكيف إله ويُدفن؟!؛ وأنّ القبر قد حوىٰ الإله! وكيف الإله الأب لم يُخلص ابنه؟!

وأمّا (**اليهود**) تَجِدُ في كتبهم أنّ الله يبحث عن آدم عليه السلام عندما اختبأ في الجنة حين أكل من الشجرة! وينادي عليه: أين أنت يا آدم![1]

وسيأتي معنا شيء من تحريفهم لكتبهم في فصل الإيمان بالكتب.

ولكن حين تنظر للقرآن الكريم تجد صفات الكمال والجلال والتوحيد الخالص لله تعالىٰ؛ بخلاف النصارىٰ الذين ادعوا بأنّ الله ثالث ثلاثة وواحد في نفس الوقت!

▪ ولكن إذا نظرنا للقرآن الكريم نجد قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) «سفر التكوين» (٩: ٣).

أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وكذلك نرىٰ قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وكذلك نرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

▪ فإذا تأملنا وتدبرنا مثل هذه الآيات التي تدل علىٰ وحدانية الله، علمنا أنه سبحانه لا يحتاج إلىٰ الولد؛ لكمال غناه وقوته؛ أما الضعيف هو الذي يحتاج إلىٰ الصاحبة والولد؛ ليساعداه عند ضعفه.

وأما اليهود: فقد طعنوا في الله حين كان يبحث عن آدم! وكأنّ الله لا يعلم ما في السماوات والأرض.

فانظر للقرآن كيف يصف الربّ جلّ في علاه قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وقال في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، وقال سبحانه عن نفسه: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

فإذا كان الله لا يعلم، وتخفىٰ عليه بعض الأمور كما تدّعي اليهود! فإنّ الإنسان يستطيع أن يفعل المعاصي ولا يعلم به الله! والعياذ بالله.

ولكن الله يصف نفسه أنه عالم بكل شيء، حتىٰ الأوراق التي تتساقط من الأشجار يعلمها، قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ولم يقتصر اليهود علىٰ أنّ الله تخفىٰ عليه بعض الأمور، بل نسبوا لله التعب، وأنه يحتاج للراحة، فجاء في كتابهم «سفر التكوين» **(٢: ١)**: **«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح»**[(١)].

بينما نجد في القرآن ربّ العزة ينفي عن نفسه التعب والعجز قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [سورة ق: ٣٨] أي: لم يمسنا نصب وعناء وتعب.

هكذا القرآن تجدُ فيه الشفاء للصدور، والعظمة والكمال والكبرياء والتعظيم لله تعالىٰ؛ والبهاء والجمال والموافقة للفطرة والعقل.

☆ الفرق الثالث:

الكمال التشريعي والأخلاقي في الإسلام، وقصوره في الديانات الأخرىٰ:

إذا نظرنا إلىٰ الإسلام ومحاسنه رأينا دينًا متكاملًا من حيث الاعتناء بالطهارة، والشعور بالمحتاجين من الفقراء والمساكين بإعطائهم الزكاة والصدقات، وبرّ الوالدين والإحسان إلىٰ الجار؛ إذًا مسؤولية اجتماعية متكاملة.

وكذلك أمرنا الإسلام بالمحافظة علىٰ العقل واجتناب كل مسكر يُغيِّبُ العقل عن وعيه؛ لأنّ العقل إذا غُيبَ سكر الإنسان، وإذا سكر قد يفتري ويظلم ويقتل، ويفعل الجرائم؛ هكذا أمرنا الله بالقرآن قال تعالىٰ: ﴿يَٰأَيُّهَا

(١) منقذ السقار/ هل العهد القديم كلمة الله (ص١٣٣).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المَائدة: ٩٠].

بينما نجد الكتاب المقدس «سفر الأمثال» (٣١: ٦) يقول: «**أعطوا الخمر لهالك وفقير؛ لكي ينسىٰ فقره وهمومه ولا يذكر تعبه بعد**».

والسؤال: عندما يسكر هذا أليس قد يقتل أو يزني أو يفعل الجرائم؛ فتزيد همومه همومًا؟!

ولكن إذا نظرنا للإسلام رأينا القرآن يخاطب أعماق الوجدان لمن امتلأ قلبه بالهموم، فيقول تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرَّعد: ٢٨].

وانظر: كيف يخاطب الرب ﷻ لمن مسّه السوء في القرآن فيقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّمل: ٦٢].

وإذا قرأ الإنسان قول الله تعالىٰ بإخباره عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الصَّافَّات: ٧٥-٧٦] اطمأنت نفسه واستكانت بأن هناك ربًّا مجيبًا للدعاء.

ثم إذا عَلِم أنّ كل شيء مكتوب رضِيَ بقضاء الله وقدره؛ وشتان بين من يلجأ للمعاصي ليزيل همومه، ومن يلجأ لرب العزة ليكشف همه، فالثاني موافق للفطرة والعقل.

ما الفائدة المترتبة علىٰ وجود العقيدة الصحيحة؟

١- السعادة في الدنيا والآخرة: أما في الدنيا فبعبادة الله والتقرب إليه تكون السعادة، وأما السعادة في الآخرة تكون بدخول جنة النعيم.

٢- الصبر علىٰ مصائب الدنيا.

٣- ضبط الأخلاق.

٤- معرفة الخالق والغاية التي من أجلها خُلقنا وإلىٰ أين المصير؟

٥- اجتناب الخرافات.

٦- الابتعاد عن إذلال النفس بعبادة المخلوقين.

٧- السمو والعزة بعبادة الله وحده لا شريك له.

ثانيًا: الدين

١- معنىٰ الدين:

الدين هو ما يدين به الشخص ويعتقده ويعمله، والمراد به هنا الإسلام والتوحيد وجميع ما يعتقده المسلم ويتدين به مما جاء عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ(١).

٢- حاجة الإنسان إلىٰ التدين الحق:

الدين الحق والعقيدة الصحيحة هي أساس بناء المجتمع الإنساني، وأي مجتمع لا يقوم علىٰ الدين الحق فلن يسعد أفراده ولن تستقر أوضاعه.

والإنسان محتاج إلىٰ التدين بدين الحق وإلىٰ العقيدة الصحيحة الصافية أحوج منه إلىٰ الطعام والشراب؛ لأن من فَقَد الطعام والشراب ومات علىٰ الدين الحق فإنه يدخل الجنة، وأما من فَقَد الدين الحق والعقيدة الصحيحة فإن مأواه النار خالدًا فيها والعياذ بالله(٢).

فلا سعادة ولا طمأنينة للقلوب إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته، وأن تسعىٰ في إخلاص الدين له، والتقرب إليه بما يحب، والابتعاد عما يسخطه.

---

(١) انظر معاني الدين في: لسان اللسان ١/ ٤٣٤، ترتيب القاموس ٢/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) انظر الموازنة بين الحاجة إلىٰ الشرع والحاجة إلىٰ الطب والطعام والشراب في: مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٣٥٣ (أول الجزء الثاني)، وانظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٣.

٣- أهمية الدين الحق والعقيدة الصحيحة ومنزلتهما:

إن الغاية العظمىٰ من خلق الناس وإرسال الرسل هي تحقيق التوحيد وترسيخ الاعتقاد الصحيح.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: آية ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: آية ٣٦].

وقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلىٰ توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه، وترك الشرك والخرافات.

وكان رسول الله ﷺ يوصي من دعاته الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين بأن يبدأوا بالدعوة إلىٰ التوحيد.

ومن ذلك أنه لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** «وفي رواية» **إلىٰ أن يوحدوا الله. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة..**»(١).

الناس مفطورون علىٰ الإسلام:

الإسلام هو مقتضىٰ الفطرة والعقل السليم، وهو الدين القويم الذي فطر الله عباده عليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: آية ٣٠].

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٥٥، ومسلم ١/ ٥٠-٥١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه**»[1]، ولم يقل يسلمانه؛ لأن الإسلام موافق للفطرة.

۞ ۞ ۞

(١) رواه البخاري ٢/ ٩٨.

ثالثًا: مراتب الدين

لدين الإسلام ثلاث مراتب وهي:

- الإسلام.
- الإيمان.
- الإحسان.

وقد جاء ذكرها في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ونصه ما يلي:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه ووضع يديه علىٰ فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**. قال: صدقت. قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[١].

(١) رواه مسلم ١/٣٦-٣٧.

١- الإسلام:

حقيقة الإسلام:

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص والبراءة من الشرك وأهله[(١)].

فلا يكون الشخص مسلمًا إلا إذا استسلم لله وخضع وانقاد له.

فمن لم يوحد الله تعالىٰ، أو لم ينقد لطاعته، أو لم يتبرأ من الشرك وأهله، فليس بمسلم.

أركان الإسلام:

وللإسلام خمسة أركان هي:

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

٢- إقام الصلاة.

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صوم رمضان.

٥- حج بيت الله الحرام.

وقد جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»**[(٢)].

---

(١) الأصول الثلاثة مع شرحها للشيخ محمد العثيمين ص٦٤، جامع العلوم والحكم ١/٦١.

(٢) رواه مسلم ١/٤٥.

وقد اتفق العلماء علىٰ أن من ترك هذه الأركان كلها، أو أنكر واحدًا منها، فهو كافر وليس بمسلم وإن انتسب إلىٰ الإسلام.

وكذلك اتفقوا علىٰ كفر من ترك الشهادتين قولًا أو اعتقادًا أو أتىٰ بما ينقضهما.

وأما الصلاة، فالصحيح كفر تاركها لقول النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**»(١)، وغير ذلك من الأدلة.

وأما ترك الزكاة والصيام والحج ففيه قولان لأهل العلم(٢).

٢- الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق والإقرار.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

وأركان الإيمان ستة؛ لما جاء في قول النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» فقال له جبريل: صَدَقْتَ(٣).

ودَلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) رواه مسلم ١/ ٨٨ برقم ٨٢.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٨٩-٩٠.

(٣) سبق تخريجه.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفَتْح: ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣].

ومن السنة: قوله ﷺ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِنْ أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ لله فَقَدِ اِسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[١].

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[٢].

وَقَالَ ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[٣] متفق عليه، وكذلك قوله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[٤]

وَهَكَذَا تَعَلَّمَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ ﷺ وَفَهِمُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الإِيمَانَ؛ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ يَزِيدُ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَبِقَوْلِ اللِّسَانِ؛ كَالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ. وَيَنْقُصُ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَبُقَوْلِ اللِّسَانِ؛ كَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَأَنَّ أَهْلَهُ مُتَفَاضِلُونَ؛ مِنْهُمُ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهُمُ الْمُقْتَصِدُ، وَمِنْهُمُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُحْسِنُ، وَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ، وَمِنْهُمُ الْمُسْلِمُ؛ لَيْسُوا عِنْدَ اللهِ سَوَاءً؛ بَلْ فَضَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

---

(١) [صحيح] «سنن أبي داود» (٤٦٨١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة»، للألباني (٣٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٤٤)، و«صحيح مسلم» برقم (١٩٣).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٣٥) «صحيح مسلم» برقم (٣٥).

(٤) «صحيح مسلم» برقم (٣٥).

قَالَ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه: «**الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، مِنْ لاَ صَبْرَ لَهُ لاَ إِيمَانَ لَهُ**».

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ؛ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه:

«**اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَفُقْهًا**».

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةٍ، وَأُبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهم يَقُولُونَ: «**الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**».

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةٍ، رضي الله عنه: «**الإِيمَانُ نَزِهٌ؛ فَمَنْ زَنَا فَارَقَهُ الإِيمَانُ، فَإِنْ لاَمَ نَفْسَهُ وَرَاجَعَ؛ رَاجَعَهُ الإِيمَانُ**».

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رضي الله عنه:

«**مَا الإِيمَانُ إِلاَّ كَقَمِيصِ أَحِدِكُمْ يَخْلَعُهُ مَرَّةً وَيَلْبَسُهُ أُخْرَىٰ، وَاللهَ مَا أَمِنَ عَبْدٌ عَلَىٰ إِيمَانِهِ إِلاَّ سُلِبَهُ فَوَجَدَ فَقْدَهَ**».

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ حَبْرِ الأُمَّةِ؛ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يَدْعُوا غِلْمَانَهُ غُلاَمًا غُلاَمًا، فَيَقُولُ لَهُمْ:

«**أَلاَ أُزَوِّجُكَ؟ مَا مِنْ عَبْدٍ يَزْنِي؛ إِلاَّ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ نُورَ الإِيمَانِ**».

وَسَأَلَهُ عَكْرِمَةُ رحمه الله كَيْفَ يُنْزَعُ مِنْهُ الإِيمَانَ؟ قَالَ: «**هَكَذَا** -وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا- **فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا**، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(١) (٢).

وَقَالَ الإِمَامُ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«**أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ**».

---

(١) انظر: «فتح الباري»، (١٢/ ٥٩).

(٢) رواه البخاري.

وَقَالَ -إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ- أَحْمِدُ بْنُ حَنْبَلٍ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَزِيَادَتُهُ بِالْعَمَلِ، وَنُقْصَانُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ».

وَقَالَ الإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: **«لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلاَ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الأَعْمَالُ»**(١).

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ يَزِيْدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾».

وَقَالَ الإِمَامُ الْحَافِظُ عَبْدُ اللهِ الْحُمِيْدِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيْدُ وَيَنْقُصُ، لاَ يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلٌ وَقَوْلٌ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ بِنِيَّةٍ إِلاَّ بِسُنَّةٍ»(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَالإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالطَّاعَاتِ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ»(٣).

---

(١) يقولُ الإمامُ البُخاريُّ رحمه الله: «لقيتُ أكثرَ من ألفِ رجلٍ من أهلِ العلم؛ أهلِ الحجازِ ومكَّةَ والمدينةِ والكوفةِ والبصرةِ وواسطَ وبغدادَ والشَّام ومصرَ: لقيتُهم كراتٍ قرنًا بعدَ قرنٍ، ثمَّ قرنًا بعد قرنٍ، أدركتُهم وهم متوافرون منذُ أكثرَ من ستٍ وأربعينَ سنةً -ويذكرُ أسماءَ العلماء، وهم أكثر من خمسينَ عالمًا، ثمَّ يقولُ رحمه الله: -واكتفينا بتسميةِ هؤلاءِ كي يكونَ مختصرًا، وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء: **أنَّ الدِّين قولٌ وعملٌ**، لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥] ... ثمَّ يسرُدُ بقيةَ اعتقادِهم» انظر: «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» للإِمام اللالكائي.

(٢) انظر: «فتح الباري» (١/ ٦٢).

(٣) «أُصولُ السُّنَّة» للإمام الحُميديُّ: مطبوعة في آخر «مسنده» (٢/ ٥٤٦).

الاستثناء في الإيمان:

• وَالاستثناء في اليمين أن يقول العبد: أنا مسلم إن شاء الله، وأهل العلم يَمْنَعُونَ الاسْتِثْنَاءَ إِذَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الشَّكِّ فِي الإِيمَانِ؛ لأَنَّ شَكَّ الْعَبْدِ فِي إِيمَانِهِ كُفْرٌ.

• أما من قصد أنه لا يدري بما يُختم له، فلا حرج إن استثنىٰ بهذا القصد، وَالأَدِلَّةُ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ فِي جَوَازِ الاسْتِثْنَاءِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَآثَارَ السَّلَفِ، وَأَقْوَالَ الأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ حِينَ يَدْخُلُ الْمَقْبَرَةَ:

«**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»[1].

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه: «**مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ**».

وَقَالَ جَرِيرٌ، رحمه الله: سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ، وَالْمُغِيرَةَ، وَالأَعْمَشَ، وَاللَّيْثَ، وَعَمَارَةَ بْنَ الْقَعْقَاعِ، وَابْنَ شُبْرُمَةَ، وَالعَلَاءَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَيَزِيدَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ، وَسُفْيَانَ الثَّورِيَّ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ، وَمَنْ أَدْرَكْتُ: «**يَسْتَثْنُونَ فِي الإِيمَانِ، وَيَعِيبُونَ عَلَىٰ مِنْ لاَ يَسْتَثْنِي**».

---

(١) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

وَسُئِلَ الإِمَامُ أَحْمِدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ الإِيمَانِ؟ فَقَالَ: «**قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ**». قِيلَ لَهُ: فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ: مُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «**هَذِهِ بِدْعَةٌ**». قِيلَ لَهُ: فَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يَقُولُ: «**مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**».

• حكم مرتكب الكبيرة:

كبائر الذنوب نوعان: مكفِّر وغير مكفِّر؛ **فأما المكفر**: فهو الشرك بالله؛ لأنه أعظم ذنب عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحو ذلك.

النوع الثاني: **كبائر غير مكفِّرة**: ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحلها؛ وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك، **مما كان فيه حد شرعي دنيوي أو تغليظ للعقوبة والوعيد عليه**.

• وقد دَلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن مرتكب الكبيرة غير المكفِّرة مؤمن ناقص الإيمان، ويُسمَّىٰ فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله، وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلىٰ الجنة بما معه من التوحيد والإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٦].

وهذا المذكور في حكم مرتكب الكبيرة هو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم علىٰ الخير والهدىٰ، وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخوارج قديمًا وحديثًا الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمه ويعتقدون أنه يوم القيامة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتكب الكبيرة

مؤمن كامل الإيمان، ولا يفرقون بين مرتكب الكبيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدَّىٰ الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهب غلاة المرجئة.

وقد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر، فمن القرآن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

وجه الدلالة: هو أن الله أثبت الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من بعض الطوائف علىٰ بعض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة، وأمر المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُدْخِلُ أهلَ الجنة الجنةَ، يُدْخِلُ مَن يشاءُ بِرَحْمَته، ويُدْخِلُ أهلَ النَّارِ النَّارَ ثم يقول: انظروا من وجدتم في قَلْبِهِ مثقال حبَّةٍ مِنْ خَرْدَل مِنْ إيمَان فَأَخْرِجُوهُ**»(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(٢).

ووجه الدلالة من الحديثين: هو عدم تخليد مرتكبي الكبائر في النار حيث يخرج منها من كان في قلبه أدنىٰ شيء من الإيمان، كما يدل الحديث علىٰ تفاوت أهل الإيمان علىٰ حسب أعمالهم، وأنه يزيد وينقص بحسب ما يترك المؤمن من واجبات أو يرتكب من محظورات.

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٩٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٢٢).

• مجمل أركان الإيمان:

وللإيمان أركان ستة دل عليها حديث جبريل السابق وهي:

١- الإيمان بالله.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب.

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن أدلة هذه الأركان من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فهذه الأركان اتفقت عليها الرسل والشرائع، ولا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها جميعًا، ومن جحد أو شك في واحد منها خرج من الإيمان إلىٰ الكفر والعياذ بالله.

• تعريف موجز بأركان الإيمان:

١- الإيمان بالله:

الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالىٰ رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة، وأنه المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقص وعيب، مع التزام ذلك والعمل به[(١)].

---

(١) انظر: الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ١/ ١٧.

والإيمان بالله هو **التوحيد** وسيأتي تفصيل الكلام عليه.

٢- الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن لله تعالىٰ ملائكة -وهم من عالم الغيب- خلقهم من نور، لا يأكلون ولا يشربون، لهم قدرة علىٰ التمثل بصور مختلفة، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالىٰ، ولكل واحد منهم عمل يقوم به.

٣- الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب هو الاعتقاد الجازم بأن لله كتبًا أنزلها علىٰ أنبيائه ورسله، وهي من كلامه ﷻ حقيقة، وفيها هدىً ونور، ومنها التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الكريم، وكل ما عدا القرآن الكريم من الكتب السابقة محرف ومنسوخ.

٤- الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالىٰ بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأنهم جميعًا صادقون أتقياء أمناء، بلغوا البلاغ المبين وأقاموا حجة الله علىٰ العالمين، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء؛ بل يلحقهم ما يلحق البشر من المرض والموت والحاجة إلىٰ الطعام ونحوه، فيجب الإيمان بهم إجمالًا، وتفصيلًا لمن عرف منهم.

٥- الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو يوم القيامة، والمراد بالإيمان باليوم الآخر التصديق الجازم بكل ما أخبر به الله تعالىٰ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ في سنته

مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالىٰ لأهلهما جميعًا، وما يكون بين يدي الساعة من علامات صغرىٰ وكبرىٰ.

٦- الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالىٰ علم ما كان وما سيكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه تعالىٰ هو الذي قدر المقادير خيرها وشرها، حلوها ومرها، وهو الذي خلق الضلالة والهداية، والشقاوة والسعادة، وأن الآجال والأرزاق بيده سبحانه وتعالىٰ(١).

٣- الإحسان:

الإحسان معناه: عبادة الله ﷻ عبادة قربة واتصال، وألا تكون العبادة مجرد طقس يؤدىٰ لا روح فيه، ومنه: مراقبة الله تعالىٰ في السر والعلن، مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة علىٰ الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات والمكروهات، والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

أدلته من الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

---

(١) يراجع في الكلام عن أركان الإيمان: معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي، ونبذة في العقيدة للشيخ محمد العثيمين.

ومن السنة: ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١)

فالإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فيستشعر المؤمن مراقبة الله له في جميع أحواله.

وللإحسان مرتبة واحدة مذكورة في تفسير النبي ﷺ للإحسان بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

والإحسان أعلىٰ مراتب الدين، وأهله هم أهل محبة الله تعالىٰ كما قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

وللإحسان ثمرات عظيمة منها:

١- خشية الله تعالىٰ والخوف منه وهيبته وتعظيمه.

٢- النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها.

٣- استحضار مراقبة الله ومشاهدته.

٤- إخلاص الأعمال لله ﷻ.

٥- الفوز بمحبة الله تعالىٰ ومعيته بالنصرة والتأييد كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨](٢).

• العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان:

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلىٰ النبي ﷺ وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال

---

(١) [صحيح] «سنن ابن ماجه» برقم (٤١٧٣).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم ١/ ٧٣-٧٧، معارج القبول ٣/ ٩٩٨-١٠٠٢.

الأعمال الظاهرة: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسان: بمراقبة الله في السر والعلانية، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وبهذا يتبين أن الدين ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. فأوسعها دائرة الإسلام، إذ يدخل فيها كل من قال لا إله إلا الله ولم يأت بما ينقضها، ثم بعدها دائرة الإيمان، فالإيمان أخص من الإسلام من حيث أهله، فكل مؤمن مسلم، ولا يلزم أن يكون كل مسلم مؤمنًا، لأنه قد يكون مسلمًا في الظاهر وليس مؤمنًا في الباطن، أما من كان إسلامه حقيقيًا فلابد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه.

وإذا أفرد الإسلام بالذكر دخل فيه الإيمان، وإذا أفرد الإيمان بالذكر دخل فيه الإسلام، وإذا اجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة.

وأما الإحسان فهو أعلىٰ المراتب، ودائرة أهله أضيق من دائرة الإسلام والإيمان، فالمحسن قد أتىٰ بمتطلبات الإسلام والإيمان وزيادة فأهله أقل وأعماله أكثر(١).

الإحسان ثالث مراتب الدين وأعلاها، فهو إحسان الإسلام والإيمان معًا، قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

(١) يراجع كتاب: الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية.

والإحسان بمثابة المكمل للإسلام والإيمان، فإذا عدم الإحسان في الأعمال الظاهرة تطرق إليها الرياء، وإذا عدم في الأعمال الباطنة تطرق إليها النفاق! ولهذا اقترن بالإسلام تارة وبالإيمان أخرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ﴾ [المائدة: ٩٣].

وحقيقة الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)]، وفيه رتبتان عليتان:

الأولىٰ: رتبة المشاهدة، وهي أن يغلب علىٰ القلب تعظيم الرب كأنه يشاهده بعيني رأسه في كل أحواله!

الثانية: رتبة المراقبة، وهي أن يغلب علىٰ القلب استحضار رقابة الرب ونظره إلىٰ عبده في كل أحواله!

وقد قيل في جمع الرتبتين: «من عمل لله علىٰ المشاهدة فهو عارف، ومن عمل علىٰ مشاهدة الله إياه فهو مخلص!»[(٢)].

واستحضار قرب الرب بعلمه وإجابته لدعاء عبده عقيدة كل مؤمن، قال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦].

---

(١) أخرجه مسلم، (٨).

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي، (٤/ ١٢٤).

قال ابن القيم: وقد جمع النبي ﷺ أصول أعمال القلوب وفروعها كلها في كلمة، وهو قوله: «**الإحسان، أن تعبد الله**» فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب تجد هذا أصله ومنبعه(١).

قال أحد المحسنين: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلىٰ من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر وألذ في قلوبهم من النظر إليه(٢).

وهذه رتبة عظيمة لا يبلغها إلا من أقبل علىٰ الله بكلِّيته، فلم يرج إلا ربه، ولم يخف إلا ذنبه، أطاع الله يطلب رضاه، واعتمد بقلبه علىٰ ربه ومولاه(٣).

۞ ۞ ۞

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، (٤/ ٢٠٣).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (١/ ١٣٣).

(٣) إن الدين عند الله الإسلام، د. محمد يسري إبراهيم.

رابعًا: الأدلة على وجود الله ﷻ(١)

هل الله موجود؟

حينما يسمع صاحبُ الفطرة السليمة هذا السؤال، تجده متعجبًا، وقد لا يتصور أن أحدًا ما يسأل عن وجود الله، وفي الحقيقة إن قضية وجود الله ﷻ قضية فطرية، فإن الأصل في الإنسان أنه معترف بوجود الخالق ﷻ، وقبل الشروع في الكلام عن الأدلة الفطرية: يجب أن نسأل ما معنىٰ الفطرة؟

الفطرة مكوِّنٌ إنساني موجود في أصل خِلقته، فالله ﷻ قد فطر الناس علىٰ أمور معينة، يؤكد ابن تيمية: أن الله ﷻ خلق الإنسان علىٰ هيئة يقبل بها وجود الله إذا طُرح عليه، فقال: «أما إثبات الصانع فطرقه لا تحصىٰ، بل الذي عليه جمهور العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجبلة، ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمة مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه»(٢).

إذًا؛ فإن الإنسان إذا ما عُرض عليه قضية وجود خالق فإنه يقبلها بشكل طبيعي.

---

(١) انظر: كتاب نبراس الإيمان، سليمان العصفور.

(٢) «منهاج السنة النبوية»، (٢/ ٢٧٠).

لماذا نتكلم في أدلة وجود الله؟

١- لإزالة الشبهات عن المتشكك الذي تلوثت فطرته:

فقد يحتاج بعض الناس تلك الأدلة: إما لتشوه في فطرته: كالذي وُلد لأبوين نصرانييْن أو يهوديين كما قال النبي ﷺ: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ علىٰ الفطرةِ، فأبواه يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِرِّانِه، أو يُمَجِّسانِه»(١)، وهذا معناه أن الإنسان يولد علىٰ فطرة التوحيد الخالص، ثم تتشوه فطرته بما يتعلم من أبويه، فيُشرَب قلبُه شبهات تلك الملة، وفي هذه الحالة فإن الإنسان يحتاج إلىٰ من يزيل عنه تلك الشبهات ويردها عنه، ويعيده إلىٰ فطرته الأولىٰ التي فطره عليها الله.

٢- ليطمئن قلب المؤمن ويزداد يقينا:

أما البعض الآخر من المؤمنين، فإنه يحتاجها لتثبيت إيمانه، كما قال إبراهيم عليه السلام لله ﷻ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فقال الله له: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ﴾؟ أي: بإحياء الموتىٰ؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ أي: مؤمن، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾، فهذا هو شعار المؤمن الموحد الموقن بالله سبحانه وتعالى حين يسأل هذا السؤال، فليس بمنكر أو ملحد؛ وإنما يريد سماع الأدلة تفَهُّمًا لها، وطَمْأَنَةً لقلبِه.

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٣٨٥)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٦٥٨).

والآن لنستعرض أهم الأدلة علىٰ وجود الله ﷻ:

١- الفطرة:

وأنواعها:

أ- فطرة مبدأ السببية[(١)].

ب- فطرة الأخلاق[(٢)] [(٣)].

ج- فطرة الغرائز[(٤)].

د- فطرة توحيد الله ولكنها مجملة وليست تفصيلية، فالتفصيل لا يكون إلا عن طريق الوحي[(٥)].

٢- العقل:

أ- دليل الإيجاد والخلق.

ب- دليل الإتقان والصنع.

ج- دليل الهداية والدلالة.

د- دليل العناية بالخلق.

٣- الحس:

أ- الدعاء.

ب- معجزة الأنبياء.

---

(١) «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٠٣).

(٢) كتاب «شموع النهار» (ص٥٧) عبد الله العجيري.

(٣) «الفيزياء ووجود الخالق» (ص٥٩-٦١) الدكتور جعفر شيخ إدريس.

(٤) كتاب «شموع النهار» (ص٧٢) عبد الله العجيري.

(٥) كتاب «المعرفة في الإسلام» (ص٢٠٦) الدكتور عبد الله القرني.

٤- الشرع:

الكتب السماوية كلها تنطق بأن الله موجود، وَشَرعَ الأحكام، وجاء القرآن مصدقًا لما قبله من الكتب ومهيمنًا عليها.

• تفصيل الأدلة:

أولًا دليل الفطرة:

وهي قوة مودعة جعلها الله في النفس، تولد مع الإنسان فيعرف أمورًا دون أن يعلمه أحد، مثل توحيد الله، ومعرفة المبادئ الضرورية العقلية إذا سلمت من التأثير الخارجي[1] [2].

أ- فطرة مبدأ السببية:

هي قوة مودعة في نفس الإنسان، ومن خلال هذه الفطرة يعرف أن لكل فعل فاعلًا دون أن يُعلِمَه أو يُخْبِره أحد، ودون أن يكتسبها من أحد، وهذا معنىٰ الفطرة، أن هذا الكون مخلوق، ولابد له من خالق، ويشترك بهذه الفطرة المؤمن والكافر علىٰ معرفة أن الله خالق كل شيء.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

◻ وفطرة مبدأ السببية:

أنَّ لكل فعل فاعلًا، يعرفها حتىٰ الأطفال دون سنَّ التمييز، فلو

---

(١) «كتاب ترياق» (ص٦٠) الدكتور مطلق الجاسر.

(٢) «كتاب شموع النهار» (ص٣٠) عبد الله العجيري.

صفعت طفلًا دون أن يعلم، ثم أخبرته: (لم يضربك أحد) لما صدقك؛ لأنه مفطور علىٰ أن لكل فعل فاعلًا.

وهكذا الإنسان يعلم من خلال فطرته أن هذا الكون مخلوق، فلابد له من خالق(١).

▪ وقد تتبدل وتتغير هذه الفطرة بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلاَ يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(٢).

إذًا الفطرة مركوزة في الإنسان كما جاء في الكتاب والسنة حتىٰ إنَّ العلماء المتخصصين بدراسة الفطرة قالوا بذلك، فهذا الدكتور/ جاستون بريت يقول في كتابه «فطرية الإيمان» (ص٢٠-٢١): «إنَّ الإنسان مفطور بوجود الخالق، ومفطور علىٰ الرغبة في عبادته والتوجه إليه».

ويقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ب- فطرة الأخلاق:

هي قوة مودعة يغرسها الله ﷻ بالإنسان، فيعلم أنّ العدل حق، وأنّ الظلم باطل. أن الصدق حق، وأن القتل ظلم.

فهذه يعرفها دون أن يخبره بها أحد، فهذه فطرة الأخلاق التي

(١) «مجموع الفتاوي» (٥/ ٢١٥) بتصرف.
(٢) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

غرسها الله بالناس جميعًا، وهي من أدلة وجود الله تعالىٰ، وإلا كيف عرف جميع الناس ذلك؟!

ثم جاء الشرع وحث علىٰ مكارم الأخلاق بشيء من التفصيل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(١).

ج- فطرة الغرائز:

هي قوة مودعة يغرسها الله تعالىٰ بالإنسان تلقائيا دون خبرة أو تعلم.

مثال: الطفل عندما يولد يلتقم الثدي ويبدأ بالرضاعة، السؤال من الذي علمه الرضاعة؟!

أمَّا حيوان الثدي فبعض الحيوانات تلد الصغير، فيمر الوقت القليل جدًّا فتراه يقف علىٰ قدميه؛ فيعرف أمه فيلتقم الثدي لكي يرضع؛ فمن الذي علمه ذلك؟!

وانظر إلىٰ السلحفاة: تضع البيض علىٰ الشاطئ في الرمل، ثم تنصرف، فإذا خرج الصغار تراهم يتجهون إلىٰ البحر، فمن أين عرفوا ذلك؟! هذه فطرة الغرائز التي غرسها الله تعالىٰ في الكائنات وأودعها بالمخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: هدىٰ المخلوقات لمعيشتها، وهذا يسمىٰ دليل الهداية، وسيأتي معنا شي من تفصيل الهداية.

د- فطرة التوحيد:

أن الإنسان مفطور علىٰ أن لهذا الكون خالقًا، والإقرار له بالمحبة،

(١) رواه أحمد (٧٩٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣٣).

ويريد أن يعبد هذا الخالق، لذلك الناس يُقبلون علىٰ دين الإسلام بسهولة؛ لأنه الفطرة إذا سلمت من الموانع.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»(١). ولكن لا يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه إلا عن طريق الرسل.

■ متىٰ تظهر الفطرة؟

عند الأزمات والمصائب تظهر فطرة الإنسان، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا إذا علم أنه لا يكشف الضرّ في هذا الوقت إلاّ الله فالكل يلجأ إلىٰ رب السموات والأرض ليكشف عنه محنته ومصيبته، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

ثانيًا دليل العقل:

١- دليل الخلق والإيجاد:

فالعقل يدل علىٰ أنّ الله تعالىٰ خلق وأوجد جميع الخلق من عدم، من إنسان، وحيوان، ونبات، وأرض، وسماء، وبحار، ومجرّات، وكواكب، وجبال شاهقة، فكل هذه المخلوقات التي نحسّ بها ونشاهدها تدل علىٰ الخالق، وأنّ هذا الخالق لابد له من صفات، فعندما خلق الكون دلّ أنّه متصف بصفة الخلق، وأنّ هذا الخالق له قدرة وإرادة، فأراد الشمس أن

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

تكون بالنهار، والسمك أن يعيش بالبحار، وأنّ هذا الخالق حي سميع بصير موجود، وهذه الصفات باتفاق العقلاء.

أما الصفات الأخرىٰ فطريقها الوحي، وسيأتي معنا في موضوع الأسماء والصفات.

□ إذًا لكل مخلوق خالق، وكل من لم يكن موجودا ثمَّ وُجد لابد له من موجِد، ولكل سببٍ مسبب، وقد سبق أن ضربنا مثال الطفل -فالطفل لو صفعته وقلت له: (إنّ الهواء صفعك) لم يقبل؛ لأنه يعلم أنّ لكل سبب مُسببًا، ولكل فعلٍ فاعلًا، هذا وهو طفل يدرك ذلك فكيف بمن هو راشد بالغ، فجميع العقلاء يُقِرّون بأن العالم لابد له من خالق.

قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١، ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

□ إذًا كما أن معرفة الخالق تكون بالفطرة، كذلك تكون بالعقل من خلال آثاره، ومن آثاره: خلق السموات والأرض وجميع المخلوقات، فلو رأينا كتابا وهذا الكتاب أثر يدل علىٰ مؤلف الكتاب نحن لا نعرف صاحب الكتاب، وربما لم نره في حياتنا، ولكن نعلم أنّ هذا الكتاب لابد له من كاتب، وهذا الكاتب يتصف بصفات مثل القدرة علىٰ الكتابة، وله إرادة؛ لأنه أراد تأليف كتاب، وحيٌّ، وغيرها من الصفات ولله المثل الأعلىٰ،

فالله خلق العالم والإنسان والكون والنبات والبحار والسماء، وكلها آثارٌ تدل علىٰ وجود الخالق.

فيا عجبا كيف يعصىٰ الإله أم كيف يجحدُهُ الجاحدُ
وفي كل شيء له آيةٌ تدُّل علىٰ أنُّه واحدُ
ولله في كُلّ تحريكةٍ وتسكينةٍ أبدًا شاهدُ

☆ **قد يأتي الشيطان أحدنا فيقول:** هذا الكون والإنسان جاؤوا مصادفة.

نقول: مَنِ الخالق؟!

١- هل الإنسان خُلق من عدم من غير خالق (مصادفة)؟ الجواب: لا.

٢- هل الإنسان خَلق نفسه وأوجدها؟ الجواب: لا.

٣- هل الله خَلق هذا الكون والعالم والإنسان؟ الجواب: نعم.

وسيأتي معنا شيء من التفصيل:

١- هل الإنسان خُلِق مصادفة أي: العدم خلقه؟

لا يمكن للعدم أن يخلق؛ لأن العدم هو بنفسه غير موجود، فكيف يوجد غيره، وهذه من مسلّمات العقل.

- **شبهة:**

زعم البعض أن الكون تَكَوَّنَ من مادة أزلية (قديمة)، وهذه المادة كانت دائمة الحركة، وبسبب هذه الحركة حصل تصادم، ومن خلال هذا التصادم حصل الوجود؟![1].

---

(١) كتاب «دلائل الربوبية» (ص٤٨) الدكتور أبو زيد بن محمد مكي.

الرد علىٰ الشبهة:

أ- المادة التي زعموا ميتة، لا يمكن أن تصدر عنها حياة، فكيف للميت أن يُنْشئ حياة؟!

ب- المادة التي زعموا غير عاقلة ولا مدركة لما حولها، إضافة إلىٰ موتها، فكيف يمكن أن توجِد إنسانًا عاقلًا ومدركًا؟!

ج- المادة غير قادرة، وليس لها إرادة، فكيف تخلق إنسانًا له إرادة وقدرة، ففاقد الشيء لا يعطيه؟!

د- زعموا أنّ هذه المادة قديمة، والسؤال: من أوجد هذه المادة؟! فمستحيل أن تكون موجودة من غير شيء.

هـ- الحركة غير عاقلة؛ فكيف لها أنْ تنشئ هذا الكون المنظم؟!

□ **مثال:**

تخيل معي أن هناك إعصارًا قويًّا وهائلًا، جاء إلىٰ ساحة فارغة إلا من بعض قطع الحديد، ثم جمع هذا الإعصار قطع الحديد وصنع لنا طائرة بوينغ ٧٤٧، وأن هذه الطائرة مستعدة للإقلاع والطيران. فهل يُصَدق العقل ذلك؟! فكيف يصدق أن الكون جاء مصادفة أو من خلال مادة ميتة غير عاقلة، فهذه المادة التي زعموا أنّها أوجدت الكون مثالها كالإعصار الذي صنع طائرة!

٢- هل الإنسان خالق نفسه وموجدها:

هذا أيضًا مستحيل أن يكون العبد خالقًا لنفسه فمن لم يقدر في أن يزيد في عمره أثناء حياته ولو لساعة واحدة، فكيف يخلق نفسه في حال عدمه؟

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

إذًا هل الطبيعة خلقتهم؟ الجواب: لا.

أم البشر خلقوا أنفسهم؟ أيضًا الإجابة: لا.

٣- أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون المنظم وما فيه:

وسخر هذا الكون للإنسان، وهو سبحانه مخالف لجميع المخلوقات، فوجوده أزلي (قديم)، لم يسبق بعدم ولا يلحقه فناء، وهو أيضًا مخالف لجميع المخلوقات في ذاته وأسمائه وصفاته، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

□ **النتيجة**: بطلان القسمين، فقولهم: «إن المصادفة خلقتهم» مستحيل، أو «إنهم خلقوا أنفسهم» فهذا أشد امتناعًا، إذا تعين أن الله خالقهم، ورازقهم، وهو الوحيد المستحق للعبادة والشكر.

□ **الخلاصة**: وجود الموجودات دليل علىٰ أن الله خلقها؛ لأنها لن تخلق نفسها، ولا يمكن أن يخلقها مخلوق مثلها.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٢- دليل الصنع والإتقان:

وهذا أيضًا من الأدلة العقلية علىٰ وجود الله تعالىٰ، والمراد من هذا الدليل أنّ الله خلق المخلوقات، وأحسن خلقها وصنعها؛ فعندما نرىٰ ذلك الكون المتصف بالدقة المبهرة والتصميم المذهل نعلم أن هذا الكون له خالق حكيم عليم.

أولًا: ما الفرق بين دليل الخلق والإيجاد وبين دليل الصنع والإتقان؟

▫ **دليل الخلق والإيجاد:** يستند علىٰ نشأة الكون والإنسان وجميع المخلوقات في أول وجودهم، أي من العدم إلىٰ الوجود.

▫ **أمّا دليل الصنع والإتقان:** فيستند علىٰ حال الكون والإنسان وجميع المخلوقات بعد الوجود من حيث الدقة والإتقان في الخلق.

وكلا الدليلين يدل علىٰ وجود الخالق:

الدليل الأول من جهة إيجاد المخلوقات من العدم.

والدليل الثاني من جهة الإتقان والإبداع في المخلوقات في إيجادها.

قال تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، يدعو الله ﷻ العبد إلىٰ النظر في نفسه، وأقرب شيء إلىٰ الإنسان نفسه، وقد كرر الله ﷻ في القرآن الكريم في أكثر من موضع بيان كيف خلق الإنسان؟ ومراحل تطوره في بطن أمّه؛ ليعلم قدرة الله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، خلق الإنسان من نطفة، وهي قطرة من ماء مهين ضعيف، ولو مرت ساعة من الزمان ولم تصادف البويضة لفسدت وأنتنت، ولكن ربُّ السموات والأرض يحفظها بحفظه ورعايته، فتسير هذه النطفة منقادة لمشيئته إلىٰ أن تصل إلىٰ مستقرها ومجْمعها، فتلتقي تلك النطفة والبويضة، ولا تستطيع آفة أن تتسلط

علىٰ تلك النطفة، ولا ينالها هواء فيفسدها، ولا بردٌ فيجمدها، ثم تُقْلب تلك النطفة البيضاء إلىٰ علقة حمراء، ثم تقلب إلىٰ مضغة لحمٍ مخالفة للعلقة بلونها وريحها وحقيقتها، ثم يجعل الله تعالىٰ المضغة عظامًا؛ فتخرج العروق والأوتار والأعصاب، ثم يُربط بعضها ببعض، ثم يكسوها لحمًا، فيشق لها سمعًا، وبصًرا، وفمًا، ويدين ورجلين، ويصورها فيحسن صورتها، ويركب لها الأعضاء الباطنة من قلب ومعدة ورئة وكبد وغيرها.

وأعجب من هذا كله أن تصويره في الرحم لا تراه العيون، ولا تمسه الأيدي، ولا تصل إليه الآلات، فيخرج بشرًا سويًّا مستوفيًا كل الأعضاء.

من فعل هذا؟!

هذا صنع الله الذي أتقن كل شيء، من قطرة ماء مهين، إلىٰ إنسان مستقيم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

□ تأمل الإحكام والإتقان في خلق الإنسان:

١- **خلق الله العينين** وحماها بالأجفان، وزينهما بالحواجب والرموش، وجعل ماءهما مالحًا؛ ليحفظهما من الجفاف، فلا شيء يعادل نعمة البصر بعد الإسلام كيف يرىٰ البعيد والقريب ويميز الألوان وغيرها من النعم.

٢- **تأمل في خلق الأُذن،** كيف أحسن الله خلقتها فجعلها مجوفة كالصدفة؛ لتجمع الصوت فتؤدّيه إلىٰ الرأس.

- وتأمل كيف لا تخلط الأصوات، وكيف يميز بها أصوات البشر، فيميز الصغير من الكبير، ويميز صوت زيد من عمرو.

- وتأمل في اعوجاجها وتجاويفها، تُمسك الهواء والصوت الداخل فتُكسر حدته، ثم تؤدّيه إلىٰ الرأس.

- وجعل ماءها مرًّا لكي لا تدخل الحشرات والهوام إلىٰ باطن الأذن.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

٣- تأمل في خلق الفم، وما فيه من أسنان ولسان، فاللسان: فيه منفعة التذوق، فَيُميز بين أصناف الطعام، وكذلك فيه معونة علىٰ مضغ الطعام حتىٰ يَسهل مسلكه في الحلق، وكذلك يستطيع الإنسان أن يعبّر عما يجول في نفسه عن طريق اللسان، وزيّن فمه بشفتين، فيمتنُّ الله تعالىٰ علىٰ الإنسان بنعمة العين ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩].

وأما الأسنان ففيها من المنافع ما هو معلوم: مثل تقطيع الطعام، وسهولة نطق الحروف وغيرها.

٤- أما اليدان، فإن الحكمة منهما ظاهرة، ففيهما منافع الإنسان وكسبه، ألا ترىٰ من قطعت يده أو شلّت، وكان صاحب صنعة مثل نجار أو حداد أو خياط أو بنّاء لتعطلت عليه صنعته، وفاته خير كثير.

٥- تأمل معجزة بصمة الإصبع، لا تجد بصمة إنسان تشابه بصمة إنسان آخر، بل بصمات أصابع الإنسان في اليد الواحدة لا تتشابه، فهذا خلق الله وقدرته، لذلك ربُّ العزة يذكر الإنسان بقدرته أنّه قادر علىٰ جمعه وبعثه يوم القيامة، فنبّه بالبنان (البصمة) علىٰ بقية الأعضاء لصِغَرِها، وأنّه

قادر علىٰ تسوية تلك الخطوط الدقيقة في اليد مرة أخرىٰ. قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ٣-٤].

□ إذا نظرنا للإنسان في إتقانه، وحسن قوامه، ودقيق صنعه، وعجيب تكوينه؛ قادنا ذلك إلىٰ وجود الخالق ﷻ، وكلما كان الشيء صغيرًا ومعقدًا ازدادت دهشة الإنسان بالصانع.

حين تفكر في جهاز التخزين للمعلومات (USB)

فإنك تتعجب، كيف استطاع الإنسان أن يصنع شيئًا صغيرًا يمكنه تخزين معلومات هائلة؟! وتعترف لصانع هذا الجهاز بالعلم والخبرة والإتقان، ولو لم تعرف اسم الصانع.

حسنًا، هل تعلم أن في جسمك أجهزة تخزين معلومات هي أصغر بآلاف المرات من ال (USB)، وفي الوقت نفسه تخزن أضعاف أضعاف المعلومات التي تخزنها تلك الأجهزة التي صنعها الإنسان؟! وهذه الأجهزة التي في جسمك تخزن المعلومات هي (DNA).

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

يقول ليونس باولنج -الحائز علىٰ جائز نوبل في الكيمياء: إن خلية واحدة من بدن الإنسان أشد تعقيدًا من مدينة نيويورك. In Defense of Faith: 22».

وفي بدن كل إنسان تريليونات من الخلايا، ورغم ذلك يدّعي الملاحدة أنها وجدت من غير خالق!

□ **تأمل الصنع والإتقان في خلق الكائنات البرية والبحرية والطيور:**

١- **تأمل في الحيوانات البرية** واختلاف أصنافها وأجناسها ومنافعها وعجائبها، فمنها ما يمشي علىٰ بطنه، ومنها ما يمشي علىٰ رجليه، ومنها ما يمشي علىٰ أربع، ومنها ما جعل الله سلاحه في قرنه، ومنها ما جعل سلاحه في مخلبيه، ومنها ما جعل سلاحه أسنانه، ومنها ما جعل سلاحه السُّم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥-٤٦].

٢- **تأمل يا عبد الله ويا أمة الله في خلق الطيور والنحل،** فانظروا إلىٰ جسم الطائر؛ فإن الله تعالىٰ خلقه خفيف الجسم، وذا جناحين؛ لكي يَحْملا ذلك الجسم، وخلقه علىٰ هيئة يستطيع من خلالها أن يخترق الهواء، وقد علّم الله تعالىٰ الإنسان ما لم يعلم، فلما رأىٰ الإنسان الطير كيف يطير توصل إلىٰ صنع الطائرة، وجعلها مشابهة للطير من حيث مقدمتها لتخترق الهواء، وجعل بجانبيها جناحين.

فلو لم يخلق الله جلّ في علاه -الطيور لما عرف الإنسان كيف يصنع الطائرة.

٣- **ثم تأمل وتأملي في إتقان الطيور وجمالها** فبعض الطيور صبغها الله تعالىٰ بألوان زاهية متداخلة رائعة، وتلك النقوش زين الله بها ريشها لتكون جذابة تسر الناظرين.

فهذا التشكيل والتخطيط والتلوين يدل علىٰ الخالق العظيم البديع،

الذي أبدع في خلق هذه الطيور، وكأنك ترىٰ لوحة فنية، سبحان من أبدع في خلقه!

فهل تستطيع المصادفة أن تفعل ذلك؟!

قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

٤- سيروا في الأرض فانظروا إلىٰ إعجاز النحل، وما فيها من عبر وآيات.

تأمل كيف يجتهد النحل في صنع العسل، وبناء بيوته المسّدسة، وحُسن صنعه، وانضمام بعضه إلىٰ بعض، لا تكاد أن ترىٰ فرجة ولا خللًا.

كل هذا بغير قياس ولا آلة/ إنّه من إلهام الله تعالىٰ لها وإيحائه إليها.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

٥- تأمل وتأملي العبرة في السمك، وكيفيّة خِلقته، إنّ الله جل في علاه خلقه من غير أرجل؛ لأنه لا يحتاج إلىٰ المشي، وجعل بدل الأرجل أجنحة شدادًا، يقذف بها من جانبيه كما يقذف صاحب المركب بالمقاذيف، وكسي جلده بقشور ليحميه من الآفات، وجعل حاسة الشّم لها قوية؛ لأنّ الماء يضعف الرؤية؛ فصار يشمُ الطعام عن بعدٍ فيقصده.

٦- تأمل الصنع والإتقان في الكون:

لو اقتربت الشمس قليلًا من الأرض لفسدت الحياة، أو ابتعدت قليلًا لتجمدت البحار، وفسدت الحياة.

لو اقترب القمر قليلًا لطغىٰ الماء، أو ابتعد قليلًا لجفت البحار.

٧- **ثم تأمل الحكمة حال طلوع الشمس** فيها رزق الناس ومنافعهم، وتأمل الحكمة حال غروبها فيه سكنٌ وهدوءٌ للناس، وراحة للبدن، فجعل الله تعالىٰ الليل والنهار يخلف بعضهما بعضًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

□ **الخلاصة:**

أ- إن وجود هذا الإتقان والصنع والإبداع بالمخلوقات محال أن يكون من غير خالق.

ب- إن وجود هذا الإتقان والصنع والإبداع بالمخلوقات يدل علىٰ وجود خالق حكيم عليم.

ج- إنّ الصنع والإتقان ليس فعلًا عاديًّا، بل هو فعل مخصوص يستلزم فاعلًا متصفًا بصفات الكمال.

قال تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

٣- دليل الهداية:

أيضًا من الأدلة العقلية علىٰ وجود الله تعالىٰ، وهو أنّ المخلوقات الحيّة (من إنسان وحيوان وطيور وغيرها) تهتدي لمنافعها ومصالحها، وهذا يدل علىٰ وجود خالق هادٍ، هَدىٰ المخلوقات لما ينفعها.

□ **مثاله**: إن الطيور تهاجر من مكان إلىٰ آخر، بحثًا عن معيشتها،

وكذلك الحيوانات تبحث عن مصالحها من الذي هداها لمصالحها وطعامها؟ إنّه الله ﷻ.

قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١-٣].

فالله ﷻ خلق المخلوقات، وأتقن خلقها من حيث الخلايا والأعضاء، ولم يتركها هملا بعد أن خلقها، بل هداها لمصالحها، وغرس فيها ما يدلها علىٰ معيشتها ومنافعها، وهذه تسمىٰ الهداية العامة، وأمّا الهداية الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين.

فائدة دليل الهداية:

أ- إثبات وجود الله ﷻ الذي هدىٰ المخلوقات لمصالحها.

ب- أنّ الله ﷻ مع مخلوقاته بمعيته العامة يعلم حالهم وما يحتاجون إليه.

▫ كيف نصوغ دليل الهداية؟

جميعنا يشاهد القطط والطيور والنحل والنمل وغيرها تبحث عن رزقها، ونستطيع بعدها أن نستخدم نوعًا من أنواع مبدأ السببية، كل مخلوق مُلهَم ومهتدٍ فلابد له من مُلهِم هادٍ، هذا مبدأ عقلي، فلا يمكن للهداية أن تأتي بنفسها!

- **إذا نستخدم دليل الهداية كالتالي:**

المقدمة الأولىٰ: وجود الهداية في المخلوقات الحية.

المقدمة الثانية: كل مخلوق مُلَهم مهتدٍ لابد له من مُلِهم هادٍ.

النتيجة: وجود الرب الهادي الذي يهدي هذه المخلوقات.

- **أمثلة علىٰ هداية المخلوقات:**

هي كثيرة جدًّا جدًّا وسنذكر بعضها علىٰ سبيل الاختصار:

١- لو نظرنا إلىٰ الطيور كيف تهاجر من مكان إلىٰ مكان بحثًا عن رزقها لرأينا العجب العجاب، فانظر علىٰ سبيل المثال إلىٰ طائر (بيرتل قاروت) طائر صغير جدًّا، يهاجر من ألاسكا إلىٰ نيوزلندا، ومن نيوزلندا إلىٰ الصين أو اليابان، ثم يرجع إلىٰ ألاسكا.

فتأمل أول رحلة لهذا الطائر مسافتها أحد عشر ألف كيلو، ثاني رحلة عشرة آلاف كيلو، ثالث رحلة سبعة آلاف كيلو، وهو طائر صغير جدًّا.

فأي المرحلة الأولىٰ يطير فوق البحر المحيط، فلا يرىٰ أسفل منه إلا البحر، وإذا نظر فوقه يرىٰ السماء ويستمر في رحلته أكثر من أسبوع دون طعام، أو شراب، أو نوم، لا يتوقف حتىٰ يصل إلىٰ الموطن الذي يريده، ثم يطير لرحلته الأخرىٰ حتىٰ يصل إلىٰ الموطن الذي فيه رزقه ومعيشته.

السؤال: من الذي هدىٰ هذا الطير إلىٰ رزقه في تلك المسافة الطويلة؟!

إنه الله ﷻ، القائل في كتابه الكريم: قَالَ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

[طه: ٥٠].

٢- ومن الآيات العجيبة التي قلّ من يتفطن لها: أنّ تلك النحلة من الذي هداها وعلمها أن تتخذ من الجبال بيوتًا، ومن الذي ألهمها أن تتخذ أيضًا من الشجر بيوتًا، أو مما يعرشُ الناس لها من الحيطان أو العريش الذي يكون من خشب؟! ثمّ من الذي هداها وألهمها أن تأكل من طيب الأشجار والأزهار، ثمّ تسلك الطرق فتتنقل من مكان إلىٰ آخر، تطلب

غذاءها دون عجز أو ملل، ولا تضل الطريق فتنساه أو تخطئه حتىٰ ترجع إلىٰ بيتها فتضع العسل.

وهذا العسل مختلف ألوانه منه الأبيض، ومنه الأحمر، ومنه الأسود، وأيضًا فيه شفاء للناس.

فقل بربك: من الذي هداها وألهمها كلَّ ذلك؟! إنه الله تعالىٰ القائل في كتابه الكريم: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

وكذلك من أمثلة هداية الله تعالىٰ للمخلوقات تلك الطيور التي تبني عشّها بطريقة هندسية من أعواد القشّ الجافة، فقلّ بربك: من هداها وعلمها البناء؟!

وانظر إلىٰ تلك الأرنب البرّية من ذا الذي علّمها طريقة الالتواء والانحناء، والجري في مسارات ملتوية عند الهرب من الثعلب، وأن هذا سيصعب علىٰ الثعلب الإمساك بها، بخلاف لو ما كانت تجري بطريق مستقيم؟!

▫ وأمثلة هداية الله تعالىٰ للمخلوقات كثيرة جدًّا جدًّا، فهي منة من الله تعالىٰ، وهي عطية من عطاياه، فلمَّا خلق الخلق تفضل عليهم بكرمه ورحمته بأن أعطاهم الهدىٰ!

قال تعالىٰ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

▫ **الخلاصة:**

أ- نحن نشاهد هداية المخلوق أمامنا، وكل مخلوق هُدِيَ لمنافعه.

ب- أنّ هذه الهداية مُحال أن تكون من غير سبب، أو أنْ تكون قد أوجدت نفسها.

جـ- أن هذه الهداية تدل علىٰ وجود خالق حكيم عليم، هدىٰ جميع المخلوقات لمصالحها؛ ليتحقق النظام في البيئة والكون.

٤- دليل العناية:

▫ **والمراد بدليل العناية:** هو ما نشهده أو نحس به من الاعتناء بهذه المخلوقات علىٰ وجه الخصوص، وبالإنسان علىٰ وجه العموم، بأن هيأ الله تعالىٰ له كل ما في الكون مثل النبات والحيوان، وما في باطن الأرض، والشمس والقمر والنجوم، وما في البحار وأعماقها كله هيّأه الله للإنسان، وهذا دليل أنّ الله خلق الإنسان واعتنىٰ به غاية الاعتناء.

١- تخيل معي أنك سافرت إلىٰ إحدىٰ الدول الجميلة، ثم حجزت غرفة في فندق من الفنادق الراقية، وعند دخولك ذلك الفندق شاهدت تلك الأزهار التي تحبها، وذلك العطر الذي تحبه قد وضع علىٰ المكتب في غرفتك.

وبعدها يأتيك الطعام الذي تشتهيه وهو من أحب الطعام والوجبات إليك.

وقد وضع المعجون المخصص لك، وذلك الكتاب الذي تحب قراءته، سينتابك شعور أنّ صاحب الفندق قد اعتنىٰ بك، ووفر لك كل ما تحبه لتشعر بالسعادة والعناية الفائقة.

ولكن تذكر وتذكري أنّ الكون مهيأ ومعدٌّ لصالح الإنسان، وهذا دليل علىٰ أنّ هناك من هيأ الكون واعتنىٰ بالإنسان وسائر المخلوقات، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ

عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

والآن تذكر أن هذا الكون بَدَلَ الفندق قد أُعدّ وهيئ لك أيهّا الإنسان.

□ صياغة دليل العناية:

أ- نشاهد أن كل ما في الكون مسخر للخلق وللإنسان علىٰ وجه مخصوص.

ب- يستحيل أن تكون المصادفة أو الكون اعتنىٰ بالإنسان وسخرَّ له الماء ليروي عطشه، فكيف تعرف المصادفة أو الكون أنّ الإنسان سيحتاج إلىٰ الماء إذا عطش؟!

ج- وجود خالق كريم عليم حكيم، أسبغ نعمه علىٰ الإنسان، واعتنىٰ به، وهيأ له ما ينتفع به.

قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

أمثلة علىٰ عناية الله تعالىٰ:

١- إن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بالنعم الكثيرة جدًّا، الظاهرة والباطنة، **فقد خلق الله لنا الأنعام (الغنم- الإبل- البقر)**، نستفيد من صوفها ووبرها، فنصنع منها الملابس للتدفئة، ولكي نتقي البرد، وفيها منافع أخرىٰ كاللحم، واللبن، والزبدة، والسمن، والأجبان، والنسل، لننتفع بأولادها.

بل وتحمل أثقال الناس ومتاعهم من بلد إلىٰ آخر، لولاها لم يبلغ الإنسان ذلك البلد إلا بعد جهد ومشقة عظيمة، وسخر لنا الخيل والحمير لنركبها، وكذلك تكون تلك الخيول للزينة. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥-٨].

٢- ومن عناية الله تعالىٰ أن أنزل ذلك المطر؛ لنشرب منه وتحيا به الأرض، وتشرب منه الدواب، وتنبت الأرض الزروع، والزيتون، والنخيل، والأعناب، ومن كل الثمرات، كل ذلك لنتفكر بقدرة الله تعالىٰ، ونتفكر بعنايته لنا، وإنعامه علىٰ جميع الخلق.

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٠-١٢].

٣- ومن عنايته أن سخر لنا البحر لنستخرج منه الماء، ونستخرج منه الملح للطعام، ونأكل من أنواع السمك، وهل تعلم أن السمك أكثر الحيوانات نسلًا، ووجودًا في الحياة؟ لأن الإنسان يتغذىٰ عليها، الأسماك أيضًا المفترسة تتغذىٰ عليها، والطيور تتغذىٰ عليها، وغيرها من الحيوانات، لذلك جعلها الله ﷻ كثيرة جدًّا جدًّا وهذه من عناية الله تعالىٰ لجميع المخلوقات.

بل ويستخرج الإنسان من البحر اللؤلؤ والمرجان، ويستخرج العنبر من الحوت.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

٤- والنعم كثيرة جدًّا، فقط يحتاج الإنسان أن ينظر حوله ويعرف عناية ربّه به، وهناك نِعم قلّ من يلتفت إليها مثل: (العقاقير والأدوية) التي يُخرجها الله من الأرض ومن تلك النباتات والحشائش والحبوب والعروق، أعطىٰ كل منها خاصّيته، منها ما يسكن الألم، ومنها ما يجلب النوم، ومنها ما يسيل الدم، ومنها ما يخفف الحُمَّىٰ، ومنها ما هو علاج للعين، ومنها ما هو علاج للرعاف، فهذه من عناية الله تعالىٰ بالإنسان وهدايته للدواء، لذلك قال تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٥- وتأمل في الصناعات المتقدمة في هذا الزمن! لقد امتن الله تعالىٰ علينا بالحديد، فاستخرجه الإنسان من الجبال، فصنع منه السيارات والطائرات والقطارات، وصنع منه المصانع العملاقة، وقد وفّر الله جلّ في علاه للإنسان كل متطلباته الصناعية إنها عناية كاملة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٦- وهل سألت نفسك: عندما ينفد وقود السيارة: من أين يأتي هذا الوقود؟ إنه يستخرج من المادة التي جعلها الله تعالىٰ في باطن الأرض **(النفط)**، فيستخرجها الإنسان ويحولها إلىٰ مواد، ومنها وقود للسيارة.

٧- **ثم هل سألت نفسك**: كيف استطاع الإنسان تشغيل تلك المصانع وتلك القطارات وغيرها؟

يذكرنا الله تعالىٰ بعنايته، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢].

حين أنشأ الله تعالىٰ تلك الشجرة جعل جذعها يحتوي علىٰ مواد عضوية كافية؛ ليطيل عملية الإحراق، ويستطيع الإنسان أن يطهوَ عليها طعامه، ويحصل منها علىٰ دفئه.

٨- **ثم انظر لتلك الشمس**: كيف هدىٰ الله جلّ في علاه الإنسان للاستفادة منها؟ وكيف يُوَلّد منها الطاقة الكهربائية؟ وكيف يستفيد من الطاقة لإدارة مصانعه ومنازله؟

قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

إن تلك العناية تدل علىٰ أنّ الإنسان ليس بمفرده، وإنما هناك إلهٌ يحوطه ويرعاه برعايته، ويعطيه من قبل أن يسأله ويدبر أمره، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

▫ الخلاصة:

أ- نشاهد تسخير ما في الكون للمخلوقات والعناية بهم.

ب- لا يمكن للكون أو المصادفة أن تسخر تلك النعم للإنسان وغيره من المخلوقات.

■ **النتيجة:**

وجود إله كريم منعم أنعم علىٰ الإنسان وجميع المخلوقات بالنعم، واعتنىٰ بها.

• هل يمكن أن يكون للكون والعالم خالقان؟!

العقل يثبت أن للعالم خالقًا واحدًا، ولو كان للعالم خالقان لفسد الكون، ولكان كل خالق منهما يريد أن يظهر علىٰ الآخر، ويستقل بالكون وحده كعادة الملوك لا يرضىٰ أن يشاركه ملك آخر بملكه.

وحينئذ إذا كان هنالك إلهان: إما أن يسيطر أحدهما علىٰ الآخر، فإن سيطر أحدهما علىٰ الآخر ثبتت له الربوبية وحده، وإما أن يعجز كل واحد منهما عن الآخر، فتزول الربوبية عنهما جميعًا، لأن العاجز لا يصلح أن يكون ربًّا.

قال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ثالثًا: الحس:

• فالحس من أدلة وجود الله تعالىٰ ويكون ذلك من وجهين:

أحدهما: يكون عن طريق الدعاء.

والثاني: يكون عن طريق معجزات الأنبياء عليهم السلام.

الوجه الأول الدعاء:

كلنا يشاهد ويسمع من إجابة الله للداعين:

فكم من إنسان دعا واستجاب الله دعاءه!

وكم من مريض ألحّ بالدعاء فكشف الله مرضه!

وكم من معسر ابْتهل إلىٰ الله فيسر عليه!

وكم دعوت في الاختبارات فحقق لك الله تعالىٰ مرادك!

ويُخبرنا الله عن نوح عليه السلام: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وكذلك عندما استغاث نبينا محمد ﷺ بربّه في غزوة بدر فانتصر له، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

□ **وما زالت إجابة الله تعالىٰ للداعين أمرًا مشهودًا إلىٰ يومنا هذا**، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

□ **كيفية صياغة دليل استجابة الدعاء؟**

أ- توجد أدلة كثيرة علىٰ أنّ العباد يدعون الله فيستجيب لهم.

ب- إجابة الدعاء تقتضي وجود إله كريم سميع مجيب.

■ **النتيجة:**

إذًا وجود خالق كريم سميع مجيب للدعاء.

قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

- **شبهة والرد عليها:**

قد يقول قائل: دعوتُ الله ولم يُستجب لي؟

الجواب: إنّه يستجاب لكل دعاء لا محالة، ولكن الإجابة تختلف، فهي ثلاثة أنواع:

- إمّا حصول ما دعا به.

- أو دفع شر بدلها.

- أو يُعطىٰ حسنات يوم القيامة.

وقد لا يستجاب له بسبب مانع، ولو قُدّر له ولم يستجب لدعوته بسبب المانع فهذا ليس دليلًا علىٰ عدم وجود الله تعالىٰ.

■ **مثال**: لو ذهبت إلىٰ والدك وطلبت منه مبلغ ١٠٠ دينار؛ فأعطاك؛ فهذا دليل علىٰ أنه يملك المبلغ؛ ولنفترض أنه لم يُعْطِك المبلغ؛ فهذا ليس دليلًا علىٰ أنه لا يملك المبلغ، ولكن ربما منعك بسبب عصيانك لأوامره وعقوقك له، أو ربما أراد أن يدخرها لك في وقت آخر، أو بدل المبلغ يعطيك جهاز آيفون، الشاهد أنه إذا لم يعطك المبلغ فليس دليلًا علىٰ أنّه لا يملك المبلغ.

فعدم استجابة الله لعين ما دعوت به ثق بالله أنّه صرف عنك سوءا، أو جعلها حسنات يوم القيامة، أو بسبب عدم توافر شروط الدعاء، مثل أن يكسب الإنسان مالًا بالحرام، ويكون طعامه حرامًا، ومشربه حراما، ويكون غارقًا في المعاصي، فهذا مانع من إجابة الدعاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالىٰ طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلىٰ السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام؛ فأنىٰ يستجاب له»[1].

(١) رواه مسلم (١٠١٥).

الشاهد من الحديث:

أن المطعم والمشرب والملبس الحرام هي مانع من موانع استجابة الدعاء، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**فأنىٰ يستجاب له**» أي: يُستبعد أن يستجيب الله دعاءَه بسبب الحرام.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ إلّا أعطاه اللهُ بها إحدىٰ ثلاثٍ: إمَّا أن يعجِّل له دعوتَه، وإمَّا أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ، وإمَّا أن يصرِفَ عنه من السُّوءِ مثلَها**». قالوا: إذا نُكَثِرُ. قال: «الله أكثرُ»[(١)].

□ **الخلاصة:**

أ- إجابة الدعاء تحصل عند توافر الشروط وانتفاء الموانع.

ب- إجابة الدعاء قد تكون بحصول المطلوب، أو أن يصرف الله عنك سوءًا، أو يدخرها لك في الآخرة.

ج- وجود خالق كريم سميع يجيب دعاء المخلوقين.

أما الوجه الثاني فهو معجزات الأنبياء عليهم السلام:

□ **والمعجزات:** هي أمور خارقة خارجة عن العادة، يجريها الله تعالىٰ علىٰ أيدي الرسل من أجل التحدي، وتأييدا لرسله ونصرة لهم؛ لإثبات أنّ هذا الرسول من عند الله تعالىٰ حقًّا.

□ **الأدلة علىٰ وقوع المعجزات تكون من طريقين:**

أ- إمّا مشاهدة المعجزات مباشرة لمن عايشها ذلك الوقت.

---

(١) رواه أحمد (١٠٧٤٩) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٣).

ب- وإما عن طريق الأخبار المتواترة التي يحصل بها اليقين لمن لم يعايشها ويحضرها.

■ **مثال ذلك:**

١- **أن موسىٰ** عليه السلام أمره الله تعالىٰ أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق البحر فأصبح البحر منقسما إلىٰ شقيْنِ كبيرين، كُلُّ شقٍ كالجبل، وبينهما طريق يابس، فهذه المعجزة شاهدها قوم موسىٰ الذين عايشوها في ذلك الوقت، ووصلت إلينا بأصح الطرق المتواترة القرآن الكريم والسنة الصحيحة، قال تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

٢- **وكذلك عيسىٰ** عليه السلام حيث كان يُحيي الموتىٰ ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ﴾ [المائدة: ١١٠].

٣- وكذلك نبينا محمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية فأشار إلىٰ القمر، فانشق إلىٰ نصفين فرآه الناس، قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

فالمعجزات رآها من عايشها في ذلك الوقت، ووصلت إلىٰ من بعدهم عن طريق الأخبار المتواترة.

وهناك معجزات كثيرة لنبينا محمد ﷺ، وأعظمها المعجزة الكبرىٰ الخالدة التي نراها بين أيدينا، الباقية إلىٰ قيام الساعة وهي **القرآن الكريم**.

وهذه المعجزة تحدىٰ الله بها بلغاء العرب وفصحاءها أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولهم أنْ يستعينوا بالجنّ إن شاؤوا؛ فعجزوا أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم ينصر بعضًا.

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فلمّا عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن تحداهم الله تعالىٰ بتحدٍّ آخر علىٰ أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، ويدعوا بها من استطاعوا، فعجزوا عن أن يأتوا بعشر سورٍ!

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وفي موضع آخر تحداهم الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيه ﷺ أن يأتوا بسورة واحدة فقط؟! وهذا التحدي فيه استفزاز للطرف الآخر وكذلك فيه إغراء بأنّكم إذا استطعتم أن تأتوا بسورة واحدة سينتهي الإسلام، وكذلك فيه محفزات لا تحتاجون إلىٰ قتال وسفك دماء وحروب، ولكن حركوا ألسنتكم وائتوا بسورة واحدة فقط.

ومما يزيد التحدي استفزازًا لهم: أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بسورة واحدة، النتيجة: عجزوا عن أن يأتوا بسورة!

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وأيضًا هناك نوع آخر من التحدي: هو أنّ الله تعالىٰ حفظ هذا القرآن من التحريف والزيادة أو النقصان، وأن هذا التحدي ما زال قائمًا إلىٰ قيام الساعة، فلن يستطيع أحد أن يزيد في القرآن كلمة أو حرفًا، أو أن يبدل حركة مكان حركة، فلو فعل شخص ذلك لَكُشف أمره؛ لأن الذي تكفل بحفظ القرآن هو الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤١-٤٢].

▫ **فالسؤال**: ما الذي أعجز العرب عن أن يأتوا بقرآن آخر، أو أن يحرفوا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ؟

▪ **الجواب**: لأنه من عند الله تعالىٰ، وليس من كلام النبي ﷺ، وهذه المعجزة التي نراها بين أيدينا وذلك التحدي الذي ما زال قائمًا، دليل علىٰ وجود الله تعالىٰ.

▫ صياغة دليل المعجزات الخارقة الخارجة عن العادة:

١- المعجزات وقعت حقًّا.

٢- إن وقعت المعجزات فإنها دليل علىٰ وجود الخالق.

▪ **النتيجة**: إذا الخالق موجود.

▫ صياغة دليل معجزة القرآن الكريم:

١- إنّ هذا القرآن يدل علىٰ صدق النبي ﷺ.

٢- إنّ العرب وجميع العالم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو تحريفه.

٣- وجود إله عزيز قوي تكفل بحفظ القرآن.

▪ **النتيجة**: إذا الخالق موجود.

رابعًا: الشرع:

• **الشرع وهو من الأدلة علىٰ وجود الله تعالىٰ:**

جميع الشرائع تدل علىٰ وجود الله تعالىٰ، وكذلك تدل علىٰ كمال علمه وحكمته ورحمته؛ لأن هذه الشرائع جاءت بالأحكام العادلة الصالحة للخلق، فلابد لها من مُشرِّع، والمشرع هو الله ﷻ.

لكن هذه الشرائع دخلها التحريف والتغيير، فجاءت الشريعة الإسلامية ناسخة ومهيمنة علىٰ جميع الشرائع، وصالحة لكل زمان ومكان، ومن يتخذ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥، ٨٦].

• كيف يكون الشرع دليلًا علىٰ وجود الله:

إذا نظرنا إلىٰ الدول رأينا أنّ لها أنظمة وقوانين مختلفة، منها قانون القضاء الجنائي، ومنها قانون الأسرة، ومنها قانون الاقتصاد، ومنها القانون السياسي، وغيرها من القوانين.

□ **السؤال**: هل يمكن لشخصٍ واحدٍ أن يضع كل هذه القوانين؟

■ **الجواب**: لا.

لماذا؟ لأنها تخصصات مختلفة، فتخصص الاقتصاد يختلف عن تخصص الجنايات، وتخصص السياسة يختلف عن تخصص الأحوال الشخصية: مثل الطلاق والنكاح والإرث، فهذه التخصصات تحتاج إلىٰ لجان وعلماء متخصصين في مجالاتهم، ويمكثون الأيام والأشهر، بل ربما السنين حتىٰ يصوغوا القوانين للدولة.

بينما نجد في الشرع أن النبي ﷺ وضع **أنظمة للعبادات** مثل الطهارة والصلاة، وأوقات الصلاة، كلها بنظام، والزكاة والصوم والحج، وكذلك ﷺ وضع **أنظمة للزواج** والطلاق والنفقة والحضانة والإرث، وكذلك وضع **أنظمة للبيوع** (أي الاقتصاد) مثل الربا والإيجار والعارية والبيع والشراء، وكذلك ﷺ وضع **نظامًا للجنايات** مثل الحدود والقصاص، ووضع **نظامًا للقضاء، ونظامًا للسياسة، ونظامًا للأخلاق والآداب**.

هذه الأنظمة التي في الشريعة جميعها جاء بها النبي ﷺ من ربه الذي أوحىٰ إليه القرآن الكريم والسنة، اللذين ضمَّا تلك القوانين، وذلك علىٰ الرغم من أنّ المعلومة غير متوفرة في زمن النبوة، ولا يوجد ما يسمىٰ بالإنترنت، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعيش في مكة بين الجبال، وهو أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين جاء بهذه الأنظمة في ذلك الوقت؟! إنّه وحيٌ من الله تعالىٰ، الذي يعلم ما ينفع للعباد، وما يُصْلِح أحوالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

فهذا دليل علىٰ صدق نبوة النبي ﷺ، ودليل علىٰ وجود الله تعالىٰ.

□ كيف يصاغ دليل الشرع:

١- لا يمكن لشخص واحد أن يضع قوانين متكاملة لكل جوانب الحياة.

٢- إن النبي ﷺ وضع قوانين متكاملة لكل جوانب الحياة بوحي من الله.

■ **النتيجة**: وجود إله عليم حكيم، أوحىٰ لنبيه هذه الشريعة المُحْكَمَة.

شبهة يلقيها الشيطان في قلب بني آدم؟

يأتي الشيطان أحدنا فيقول: من خلق الله؟! فيتعاظم ذلك في قلب المسلم؛ فَيحزن ويضيق صدره، ويوقعه بالوساوس والقلق النفسي؛ ليكدِّر عليه صفو إيمانه.

واعلم أيها المسلم، أنك لست أولَ من تعرض عليه الوساوس، ولست آخر شخص في العالم، وكن علىٰ بيِّنة أنّ هذه الوساوس كانت تأتي

علىٰ قلوب الصحابة؛ فيحزنون أشد الحزن، بل يتمنىٰ الواحد منهم لو سقط من السماء إلىٰ الأرض ولا ينطق لسانه بتلك الوساوس الشيطانية.

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: جاء أناسٌ من أصحاب النبي ﷺ إلىٰ النبي ﷺ فسألوه: إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ فقال: «أوَجدتموه؟». قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان»[1].

وفي «الصحيحين»: أنّ النبي ﷺ قال: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتىٰ يقول: من خلق ربك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[2].

إذًا هذه الوساوس كانت تخطر في صدور الصحابة وهم خير القرون، وأتقىٰ الناس، وأنقىٰ القلوب وأطهرها، وأفضل البشر بعد الأنبياء؛ وقد بشّرهم النبي ﷺ أنّ هذه الوساوس تدل علىٰ إيمان العبد وصدقه حين تأتيه هذه الأفكار وهو يجاهدها مجاهدة كبيرة، ويكرهها كراهة عظيمة؛ فهذا يدل علىٰ إيمانه، وهذا الذي أخبر عنه النبي ﷺ «**ذاك صريح الإيمان**».

- **فالتخلص من هذه الوساوس يكون كالتالي:**

١- تأكيد الإيمان؛ كما أرشد النبي ﷺ من وجد هذه الوساوس: «**فليقل: آمنت بالله**»[3].

٢- التطمين أنّ هذه الوساوس لا تدل علىٰ ضعف الدين؛ فقد أصابت هذه الوساوس أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام وهم الصحابة، كما جاء في حديث: «ذاك صريح الإيمان».

---

(١) رواه مسلم (١٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢١).

٣- التحصين بالتعوذ والأذكار؛ لقوله ﷺ: «**فليستعذ بالله**».

٤- التشاغل والانتهاء فورًا من الوساوس؛ بمعنىٰ ينشغل بما ينفعه من أمور الدين والدنيا، وينتهي من الاسترسال مع تلك الوساوس؛ للحديث السابق: «**فليستعذ بالله ولينته**»[(١)].

□ **واعلم أيها المسلم والمسلمة**؛ أن سؤال: (من خلق الله؟) خطأ فادح؛ لأنّ سؤال (من خلق) يكون لشيء معدوم ثم خُلِق، مثل الإنسان كان معدومًا ثم خلق، يصح أن تقول: من خلق الإنسان؟ ومثل الجبال كانت معدومة ثم خُلقت فتقول: من خلقها؟ وقس علىٰ ذلك جميع المخلوقات.

أمّا الله ﷻ لم يكُن في يوم من الأيام ولا في زمن من الأزمان معدومًا، فهو الخالق الذي لم يسبقه عدم، وهو الآخر الذي لم يلحقه فناء؛ فالسؤال خطأ.

ومما يبين سخف وتهافت هذا السؤال وأنه لا يصح: لو قلتُ لك: ما هي رائحة الأزرق؟ لبادرتَ وقلتَ: السؤال خطأ؛ لأن اللون ليس له رائحة.

مثال آخر: لو قلتُ لك: ارسم لي دائرة ليس لها محيط! أو قلتُ لك: ارسم لي مثلثًا ليس له قوائم لقلتَ: هذا السؤال خطأ ومخالف للعقل.

مثال آخر: لو رأيت أمامك طعامًا فسألت من طها الطعام؟ فقيل لك: مريم هي من طهت الطعام، ثم سألتَ من طها مريم؟! لكان سؤالك خطأ؛ لأن مريم لا تُطهىٰ.

---

(١) من أراد الاستزادة فليراجع كتاب «ترياق» للدكتور مطلق الجاسر (ص٣١).

كذلك سؤال من خلق الله؟ خطأ لأن الله خالق وليس بمخلوق، والمخلوق قد سُبق بعدم والله تعالىٰ لم يُسبق بعدم؛ وأنّ هذا السؤال يؤدي إلىٰ التسلسل الباطل الذي ليس له نهاية؛ فدل علىٰ تهافت هذا السؤال وبطلانه؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**فليستعذ بالله ولينته**».

۞ ۞ ۞

خامسًا: هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهملنا أم تعبدنا بالدين والرسل؟

خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلق وبعث إليهم الأنبياء والرسل وأنزل معهم الكتب؛ ليأمروا العباد بعبادة رب العباد ويدعوا الناس إلىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، فلم يترك الله عَزَّ وَجَلَّ عباده هملًا بعد أن خلقهم، كما يدَّعي ذلك أهل الزيغ، بل إن قولهم هذا من شر الأقوال، وبيان ذلك كالآتي:

إن هذا القول الباطل الذي يقول به أهل الزيغ والضلال من أن الله تعالىٰ خلق الخلق وتركهم هكذا هملًا يلزم منه لوازم باطلة منها:

(١) جواز العبث في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، عياذًا بالله تعالىٰ من مقالة السوء.

وذلك لأن حقيقة هذا القول أن الله تعالىٰ خلق الخلق بلا غاية ولا حكمة، وقد دلَّ العقل والفطرة والشرع علىٰ أن الله تعالىٰ متصف بصفات الكمال، ومنها صفة الحكمة، فلا يفعل الشيء سبحانه إلا وله حكمة بالغة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

ولا يجوز عليه العبث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلقًا، وفي ذلك يقول عَزَّ وَجَلَّ لهؤلاء الكافرين الضالِّين: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾.

بل إذا وُصف هذا الضال العنيد القائل بهذا القول بالعبث وغياب الحكمة من أفعاله لضجر وغضب، فكيف يوصف به الخالق العظيم سبحانه وبحمده؟!

بل نقول: إن الله تعالىٰ خلق الخلق ليعبدوه ﷻ ويقيموا العدل والقسط في الأرض، وهو سبحانه من أخبرنا في القرآن بهذه الغاية والحكمة العظيمة؛ فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٢) أن الله -تعالىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا- ظالم، وذلك لأن حقيقة هذا القول إن الله تعالىٰ يحاسب العباد يوم القيامة دون أن يكون قد أرسل إليهم الأنبياء والرسل في الدنيا مبشِّرين ومنذرين.

وإن الله تعالىٰ منزَّه عن الظلم ولا يتصف به ولا يأتيه أبدًا ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد نزَّه ربُّنا ﷻ نفسَه عن الظلم -وهو قادر عليه- وحرَّمه علىٰ نفسه، وذلك كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا . . . »(١).

بل إنما أرسل الله ﷻ الرسل إلىٰ العباد لإقامة العدل والقسط، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَإِذَا ظَهَرَتْ أَمَارَاتُ

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٥٧٧).

الْحَقِّ، وَقَامَتْ أَدِلَّةُ الْعَقْلِ، وَأَسْفَرَ صُبْحُهُ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ؛ فَثَمَّ شَرْعُ اللَّهِ وَدِينُهُ وَرِضَاهُ وَأَمْرُهُ»(١).

فكيف يظلم الله ﷻ العباد ويحاسبهم وهو لم ينذرهم؟! وعلىٰ أي أساس يُدخلهم الجنة أو النار وهو سبحانه -علىٰ زعمهم- لم يقم الحجَّة عليهم؟! بل اقتضت حكمته وعدله سبحانه أن أرسل إلىٰ عباده رسلًا مبشِّرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس علىٰ الله حُجَّة بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا(٢).

ثم إنه لو سئل أحدنا: أي شيء ألصق بالكمال والعدل والحكمة وأبعد عن النقص: الاعتناء أم الإهمال؟ لقال وبلا تردد: الاعتناء.

فكيف بعد ذلك يقال إن الله تعالىٰ خلق الخلق وأهملهم؟

تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

• لماذا يستحق الله العبادة؟

دلَّتْ أدلة الشرع والعقل والفطرة -كما سبق- علىٰ وجود الله ﷻ، كما أنَّها أيضًا تدل علىٰ وجوب إفراده بالعبادة، وأنه هو سبحانه المستحق للعبادة دون غيره.

وعلَّة ذلك عدة أمور، منها:

(١) كماله ﷻ المطلق؛ فهو موصوف سبحانه بكل صفة كمال ومنزَّه عن كل صفة نقص، بخلاف غيره من الآلهة الباطلة التي يعبدها الكفار المشركون؛ فهل يُعبد إله لا يفهم الخطاب ولا يرد الجواب؟! وهل يُعبد إله

---

(١) «إعلام الموقعين»، (٤/ ٢٨٤).

(٢) راجع: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم الأندلسي، (١/ ٦٨).

لا يستطيع كشف الضر عن نفسه فضلًا عن كشفه عمن يعبده؟! وهل يُعبد إله صُلِب وقُتِل ومات ودُفِن؟! لا يقبل بشيء من ذلك إلا منتكس الفطرة، ضعيف العقل، وإنما خطابنا مع العقلاء.

(٢) أنه هو سبحانه وتعالى خالق كل هذه المخلوقات، المتفضِّل عليهم سبحانه بإخراجهم من حيِّز العدم إلىٰ حيِّز الوجود، كانوا عدمًا فجعلهم أحياءً يسمعون ويبصرون.

فهل يصح بعد ذلك أن نصرف عباداتنا وسجودنا وركوعنا إلىٰ غيره سبحانه وتعالى؟! كلا والله!

ولذلك قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

وفي الصَّحيحَين عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . . .» الحديث[1].

وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنَّة التي أشارت إلىٰ هذا المعنىٰ العظيم. .

• ماذا سيخسر الكون إذا طرحنا «الله» من المعادلة؟

تقدَّم معنا أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الصانع لهذا الكون العظيم، وهو سبحانه الذي وضع له القوانين التي يسير عليها بانتظام وإحكام؛ فالكواكب والأقمار والشمس كلٌّ يجري في فلك يسبحون دون تصادم أو حتىٰ تلامس!

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧٥٢٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٨٦).

وسبق أن كل شيء في هذا الكون من الحوادث المفتقرة إلىٰ الله ﷻ في أصل حدوثها؛ فلولا الله تعالىٰ لما كان هذا الكون ولما كانت السماوات والأرض لولا الله تعالىٰ لما كان شيء!

وقد أشارت نصوص الكتاب والسنة إلىٰ إجابة هذا السؤال؛ فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وهكذا فإنَّ كل نعمة يتقلَّب فيها الناسُ -حتىٰ النَّفس- هي محض فضلٍ من الله ﷻ، يعصونه ويخرجون عن أمره وهو يرزقهم ويعافيهم!

ومرَّ معنىٰ أيضًا عند كلامنا حول النزعة الأخلاقية ودلالتها علىٰ وجود الله تعالىٰ أنه لولا وجود الله تعالىٰ لما كانت للأخلاق قيمة موضوعية.

فما الذي يجعل من العدل والصدق والكرم صفات حسنة؟! وما الذي يجعل من الظلم والكذب والبخل صفات سيئة؟!

مع إنكار وجود الله ﷻ تسقط موضوعية تلك القيم كلها، وتصير الأخلاق نسبية بحتة، إذا رأيت الصدق حسنًا فاصدق، وإلا فلا شيء عليك!

إن المنهج الإلحاديَّ يقرِّر أنَّه لا إله موجود، وأنَّ الأديان مجرَّد خرافة لا أكثر، وأنَّ ما احتوت عليه من التَّشريعات لا قيمة له!، فإذا كان ذلك

كذلك فما هو المعيار الضَّابط إذن لما يحقِّق ما هو أخلاقيٌّ؟ ما تمظهرات الخير وما تمظهرات الشَّرِّ؟

في النَّموذج الدِّينيِّ فإنَّ التَّشريع الإلهيَّ هو المصدر المتعالي والمعيار الثَّابت الَّذي نحاكم إليه الأمور لنتبيَّن من أخلاقيَّتها ومدىٰ تحقيقها للخير أو الشَّرِّ، في الإلحاد إلىٰ ماذا سنتحاكم؟ وبأيِّ معيار سنحدِّد ذلك؟

فإن قيل: العقل! قلنا: عقول النَّاس تختلف وقناعاتهم تتباين، فحتَّىٰ وإن اتَّفق النَّاس علىٰ حكم أخلاقيٍّ مطلق كقبح الظُّلم، فإنَّ أنظارهم تتفاوت في تحقيق مقتضىٰ هذا الأصل في الواقع، فهتلر مثلًا الَّذي أباد عشرات الملايين من البشر قد لا يرىٰ عنصريَّته ومعسكراته شيئًا لا أخلاقيّ، وقد لا تراها كذلك أيضًا جماهير ألمانيا العريضة المؤيِّدة له، فيعتبرونها تطهيرًا عرقيًّا محمودًا في سبيل تحقيق التَّطوُّر والنَّماء البشريِّ، ولا ينطوي علىٰ أيِّ نوع من الظُّلم، وكذلك ستالين الَّذي كان ربَّما أشدَّ إجرامًا وقذارة من هتلر، قد يرىٰ أنَّ تخليص البشريَّة من الدِّين والمتديِّنين أو من الطَّبقات المتخلِّفة من الشُّعوب عن طريق المجاعات والحروب والملاحقات محققًا للتَّطوُّر الحتميِّ الَّذي تراه فلسفة ماركس للبشريَّة - شيئًا أخلاقيًّا خيِّرًا، وكذلك هو الحال في جرائم سفَّاحي القرن الماضي كماوتسي تونج وبول بوت وغيرهم، فلا يوجد معيار محدَّد أو أصل جامع تُحَاكَمُ إليه الأحكام الجزئيَّة عن مدىٰ كون الشَّيء أخلاقيًّا محققًا للمبدأ الأخلاقيِّ المطلق الَّذي يقرِّره العقل أو ليس أخلاقيًّا؛ وذلك لتفاوت العقول واختلاف الأنظار وتداخل الهوىٰ والرَّغبات والتَّحيُّزات، وهذا ليس موجودًا في الدِّين الَّذي لو ثبتت مصدريَّته الإلهيَّة فهذا يكفل له الصِّحَّة الَّتي تجعل منظومته الأخلاقيَّة معيارًا للصَّواب والخطأ، وليس تصرُّفات الأشخاص وأحكامهم العقليَّة -الفرعيَّة-.

يقول جون بول سارتر -أحد أبرز مؤسِّسي الوجوديَّة الملحدة-: «إنَّ الوجوديَّ يجد أنَّه من المؤلم للغاية أنَّ الإله غير موجود، حيث تختفي مع اختفائه أيُّ إمكانيَّة للعثور علىٰ قيم في سماء العقل، لم يعد هناك أيُّ خير بدهيٍّ بما أنَّه لا يوجد كائن مثاليٌّ ولا محدود نعتقد وجوده. لقد كُتِبَ الآن أنَّ «الخير» موجود، وأنَّه يجب أن يكون المرء أمينًا أو لا يكذب؛ لأنَّنا الآن علىٰ متن الطَّائرة حيث يوجد رجال فقط، كتب دوستوفيسكي ذات مرَّة: «إذا لم يكن الله موجودًا، فكلُّ شيء مباح»، وهذا -بالنِّسبة للوجوديَّة- هو نقطة الانطلاق. فكلُّ شيء مسموح به حقًّا إذا كان الله غير موجود، والإنسان أصبح يائسًا؛ لأنَّه لا يستطيع أن يجد شيئًا يعتمد عليه سواء داخل أو خارج نفسه»(١).

۞ ۞ ۞

(1) Jean-Paul Sartre: Basic Writings. Edited by Stephen Priest. psychology press. p32.

سادسًا: قواعد وقائية من الشبه الهدامة

تمهيد:

قبل ذكر القواعد التي تقي الإنسان من الشبه الخطافة، لابد من تعريف الشبهة.

تعريف الشبهة:

□ **الشبهة لغة**: الالتباس[1]، أي: التباس الحق بالباطل.

فالشبه هي تلبيس وتحريف للحقائق، بأن تُلبس الحقائق بشيء من الباطل فينخدع الناس، فيختلط الحق بالباطل، وهذه طريقة أهل الضلال والزيغ يلبسون الحق بالباطل حتىٰ ينخدع الناس، فلو ذكروا الباطل مباشرة لم يقبله الناس ولمجَّته النفوس، ولكن يلبسون الحق بالباطل لكي ينخدع الناس.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

□ **وأهمية هذه القواعد**: أنها وقاية من الشبهات، وحماية من الباطل، كمن يُطَعِّم نفسه عند الأطباء كي يتقي الأوبئة، كذلك هذه القواعد وقاية من أوبئة الشبهات.

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور (٨/ ١٧).

القاعدة الأولى

التفكر في آيات الله الكونية، والتفكر في النفس وفي الآفاق يؤدي إلى اليقين

من وسائل إحياء التفكر في آيات الله الكونية مشاهدة البرامج العلمية التي تدرس الكون، وما فيها من حرص علىٰ إبراز روعة الخلق والتفكر في الكون والإنسان والحيوان والبحار، ومنها برنامج (روعة الخلق لموسىٰ الخشتي) في غاية الروعة والإبداع.

فإنها تزيد من يقين المسلم؛ حيث يرىٰ من خلالها دقة الخلق وعظمة الخالق.

۞ ۞ ۞

القاعدة الثانية

التفكر في آيات الله الشرعية

قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٢٩].

١- **التدبر والتأمل في القرآن**، في معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلا، والغاية التي من أجلها خلق الله الناس، والتدبر بالحساب والجزاء والبعث، مثل مركز (تدبر) فإنه نافع.

٢- **متابعة قصص المسلمين الجدد**، فهؤلاء يوقفوننا علىٰ معان إيمانية، وقراءة القرآن قراءة مشوقة وقلب متطلع لمعرفة كلام الله ﷻ، ومن أجمل البرامج في هذا المجال (بالقرآن اهتديت) للقارئ فهد الكندري.

❁ ❁ ❁

القاعدة الثالثة

الاهتمام بالعبادات

العبادات تنقسم إلىٰ:

١- **عبادات قولية**: مثل المحافظة علىٰ الأذكار الصباحية والمسائية وأذكار النوم وغيرها.

٢- **عبادات فعلية**: مثل الصلاة ونوافلها، والزكاة ونوافلها من الصدقات، فهذا من أعظم أسباب الثبات، والحج والعمرة، وصيام الفرض والنفل.

٣- **عبادات قلبية**: مثل محبة الله والخوف منه، والتوكل والرجاء والخشية وغيرها.

۞ ۞ ۞

القاعدة الرابعة

الدليل وصحة الدليل

وهذه من القواعد المهمة جدًّا لبعض الشبه، مرَّ معنا أن مصادر التلقي: الكتاب والسنة:

- **لو قال شخص منحرف أو انتكست فطرته:** الإسلام دين بطش وقتال ودماء.

١- **فلا نسارع ونأتي بجماليات الإسلام؛** لأن من ادعىٰ هو المطالب بالدليل؛ فنقول له: ما دليلك علىٰ ما قلت؟ فإذا لم يأتِ بالدليل سقطت الشبهة وانتهىٰ النقاش معه؛ فإن أتىٰ بالدليل وذكر علىٰ سبيل المثال قصة العرنيين، فإننا ننتقل معه إلىٰ الخطوة الثانية.

٢- **نطالبه بصحة الدليل،** فإن كان الدليل حديثًا ضعيفًا أو مكذوبًا بعد البحث والسؤال عنه سقطت الشبهة، فإن كان الدليل صحيحًا ننتقل معه إلىٰ الخطوة الثالثة.

٣- **صحة فهم الدليل نقول له:** هل فهمك للدليل صحيح أم مخالف لفهم سلف الأمة؟

فإن لم يأتِ بالفهم الصحيح سقطت الشبهة. مثل قصة العرنيين أن النبي ﷺ عاملهم بالمثل.

مثال آخر لو قال شخص: دين الإسلام دين ظلم.

١- فلا نسارع ونقول: إنّ دين الإسلام دين عدل، بل نطالبه بالدليل علىٰ ما قال؟ فإذا لم يأتِ بالدليل سقطت الشبهة وانتهىٰ النقاش معه.

٢- فإن ذكر أن الإسلام لم يساوِ بين الرجل والمرأة في الميراث وذكر قول الله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]. ثم قال: الرجل يرث ضعف المرأة وهذا ظلم للمرأة!

٣- **ننتقل معه إلىٰ الخطوة الثانية**: صحة الدليل، فالدليل بلا شك أنه صحيح قطعا؛ لأنه آية من كتاب الله تعالىٰ.

٤- **ثم ننتقل معه إلىٰ الخطوة الثالثة**: صحة فهم الدليل، والحكمة من أن يرث الرجل ضعف المرأة، لأن الرجل هو المكلف بالنفقة علىٰ المرأة ورعايتها، وتوفير المسكن والملبس والمطعم لها؛ حتىٰ لو كانت المرأة من أغنىٰ الناس وزوجها فقير فهي غير مكلفة بالنفقة عليه، بل هو يجب أن يعمل وينفق عليها؛ مالها لها وحدها، وبذلك يكون الإسلام كرَّم المرأة ولم يكلفها بالنفقات وأعباء الحياة المادية.

وهناك حالات ترث المرأة مثل الذكر مساوية له بل الإسلام أبطل ما كان عليه عمل الجاهلية بأن المرأة لا ترث إذا كان معها ذكور، وأعطاها حقها من الميراث سواء كان معها ذكور أو لم يكن.

بذلك تكون الشبهة قد سقطت.

- **فلو قال لك شخص: إنّ أباك ظالم.**

فلا تسارع وتقول: إنّ أبي شخص حنون وعطوف! بل نقول: ما دليك؟

فإن قال: سمعت ذلك؛ لا يلتفت إليه.

وأما إن قال: رأيته يضرب أخاك الأصغر؛ نقول: نعم هذا صحيح، ولكن عندما ضرب أبي أخي كان بسبب أنه لم يصلِّ الصلاة في وقتها، وقد حذره أبي أكثر من مرة.

وهناك سبب آخر: أنه عصىٰ أمر والدتي.

بذلك تزول شبهة أن الأب كان ظالمًا، ثم نبين له أن أبانا حنون ورحيم بنا.

خطوات التعامل مع الشبهة:

١- نطالبه بالدليل فإذا أتي بالدليل.

٢- نطالبه بصحة الدليل فإن أتىٰ بصحة الدليل.

٣- نطالبه بصحة فهم الدليل، فإن أتىٰ بصحة فهم الدليل اتبعنا معه خطوة رابعة.

٤- لابد من جمع جميع الأحاديث المتعلقة في موضوع البحث، فإن قال: نعم جمعتها، إذًا فهمك للمسألة خطأ، وسقطت الشبهة.

۞ ۞ ۞

القاعدة الخامسة

عدم التعرض للشبهات بسماعها وقراءتها

فلا يتعرض المسلم للشبهات من باب الفضول، ولا سيما إذا لم يكن طالب علم ومتبحرًا في العلوم الشرعية، فربما تثبت الشبهة في نفسه فيصعب إزالتها؛ لذلك حذر النبي ﷺ الصحابة: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه ويحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**»(١).

فحذر ﷺ الصحابةَ من الدجال، فأمرهم بالبعد عنه؛ لأن له قدرة كبيرة علىٰ خداع الناس، حتىٰ بعض المؤمنين وكذلك سائر الشبه نبتعد عنها ولا نبحث عنها أو نسمعها.

۞ ۞ ۞

(١) رواه أبو داود ٤٣١٩ وصححه الألباني.

القاعدة السادسة

ترتيب هرم الغايات الكبرى

على مراد الله وليس على مراد الإنسان

□ **والمقصود من مراد الله:** هي الأحكام الشرعية أي أوامره ونواهيه.

□ **والمقصود من مراد الإنسان:** هي الحرية المطلقة والرفاهية واختيار شهواته **(مثل شرب الخمر ونزع الحجاب).**

فلابد للمسلم أن يجعل علىٰ رأس الهرم مراد الله تعالىٰ، ولا يعترض علىٰ أحكامه وأوامره ونواهيه، بل يقول كما قال الصحابة ﭬ: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

ومن جعل رأس الهرم مراد الإنسان؛ فإنه سيقدم هواه وشهواته علىٰ أحكام الله تعالىٰ؛ لأنه باعتقاده أن هذه الغاية الكبرىٰ وهي أن الحرية المطلقة تتعارض مع الأحكام الشرعية.

لذلك يسلم المسلم لله ﷻ، وإن كان علىٰ حساب هواه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزَاب: ٣٦].

۞ ۞ ۞

القاعدة السابعة

التماسك أمام الشبهة التي لم يعرف جوابها، وسؤال المختصين الشرعيين

سبق أن عرفنا من خلال القاعدة الخامسة عدم التعرض للشبهات بسماعها أو البحث عنها، ولكن إذا طرقت الشبهة مسامعنا أو عُرضت علينا ولم نعرف الإجابة، فالثبات الثبات وعدم الارتباك والقلق، فثق بالله أنّه ما من شبهة أو باطل إلا وأمامها آيات بينات، وحجج واضحات، وبراهين ساطعات من نور الإسلام، فإذا نزلت في ساحة الباطل دمغته وجعلته يندحض؛ فيجب عليك الثبات والتماسك أمام الشبهة وسؤال المختصين من أهل العلم، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

• وهناك مراكز متخصصة للرد علىٰ الشبهات المثارة عن الإسلام وتعزيز اليقين منها:

١- مركز بينات، @bayyenat_q8 تويتر والانستغرام.

٢- مركز يقين لنقد الإلحاد المعاصر، @yaqeennet تويتر.

۞ ۞ ۞

القاعدة الثامنة

ما أدركه بحواسي لا شك أنه موجود

(البصر - السمع - التذوق - اللمس - الشم)

ولكن قد تحصل أمور تخدع العقل أول مرة، مثل السراب يظن أنه ماء، أو وضع القلم في الماء فيبدو كأنه مكسور، ولكن المرة الثانية سأعرف أن هذا الشيء خدع العقل، فإن السراب ليس ماء، والقلم ليس مكسورًا، وهذا لا ينفي القاعدة: (أن ما أدركه بحواسي موجود ويحصل به اليقين).

۞ ۞ ۞

القاعدة التاسعة

أن اليقين كما يحصل بالحس والمشاهدة يحصل بالخبر الذي نعتقد صدق صاحبه

هناك أشياء لم نشاهدها ولم نحس بها، ولكن نوقن أنها موجودة، فنوقن بوجود (الصين) كندا ولم نزرْهما، ولم نرهما، ونوقن أن (صلاح الدين الأيوبي) فتح القدس، وأن (الفراعنة) بنوا الأهرامات، (والوليد بن عبد الملك) بنىٰ الجامع الأموي، ونحن لم نحضر فتح القدس، ولا شهدنا بناء الأهرامات، ولا الجامع الأموي.

ولو تأمل الإنسان قليلًا لرأىٰ أن ما يوقن به من الأشياء التي لم يرها أكثر من الأشياء التي رآها، وخصوصًا في حوادث التاريخ.

وقد حصل هذا اليقين عند الإنسان بالأشياء التي لم يرها من خلال نقل جماعات عن جماعات يستحيل عادةً تواطؤهم علىٰ الكذب والاختراع، وليس بالحس والمشاهدة.

والقاعدة هي: أنه كما يحصل اليقين بالحس والمشاهدة كذلك يحصل بالخبر الذي نعتقد صدق صاحبه.

فكل ما أخبرنا به النبي ﷺ من أخبار الغيب وأهوال يوم القيامة ونعيم الجنة وغيرها نصدقه ونؤمن به.

❁ ❁ ❁

القاعدة العاشرة

لا يحق لنا أن ننكر وجود أشياء لمجرد أننا لا ندركها بحواسنا

أو سمّها كما تشاء قاعدة الواي فاي (wifi)، كلنا ندرك أنّ الواي فاي لا يُرىٰ بالعين أو يدرك بالحواس، ولكن نرىٰ أثره عندما نقوم بشبك خطوط الإنترنت، وكيف نستطيع الاتصال بالآخرين، فلا يحق لنا أن ننكر الواي فاي لمجرد أنا لا ندركه بحواسنا؛ لأنّ ذلك مخالف للعقل الصريح.

وكذلك ما حصل في عام **٢٠٢٠** و**٢٠٢١** عندما انتشر فيروس كورونا - المسمىٰ (COVID-19) فحصد مئات الآلاف من البشر، والمستشفيات ملئت بالمرضىٰ طريحي الفراش، والاقتصاد أصبح في انحدار، والمدن أصبحت خاوية، كل ذلك بسبب هذا الفيروس الذي لا يُرىٰ بالعين المجردة ولا ندركه بحواسنا، فهل يعقل أن ننكره لأننا لا نراه؟! فهذا ضرب من الجنون، فقد رأينا آثاره المدمرة للأرواح، وآثاره النفسية والمادية.

□ **مثال آخر:**

جاسم يرىٰ أمامه جبلًا، وأمام الجبل حديقة وخلف الجبل نهر لا يحق لجاسم أن ينكر النهر خلف الجبل؛ لأنه لم يره فهذه حدود بصره.

□ **مثال آخر:**

شريفة لا تسمع حديث النمل، فلا يحق لها أن تنكر حديث النمل مع بعضهم لمجرد أنها لا تسمعهم.

قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النَّمۡلِ: ١٨].

▫ مثال آخر:

عندما تطير طائرة فوقنا فإننا نسمع صوتها ونراها، وكلما ابتعدت انخفض صوتها وانعدمت الرؤيا حتىٰ لا نكاد نراها أو نسمع صوتها، هل معنىٰ ذلك أنها سقطت؟ الجواب: لا، ولكن هذه حدود سمعنا وبصرنا.

فحواسنا لها حدود، وكذلك العقل له حدود، فلا نستطيع أن ندرك كل شيء ولكن هناك آثار تدلنا علىٰ المطلوب.

فالخلق بما فيه من كون وشمس وقمر وسماء وأرض وبحار وجبال وإنسان وحيوان كلها تدل علىٰ خالق حي قدير عليم قوي عظيم، فهذه المخلوقات آثار تدل علىٰ الخالق، فلا يحق لأحد أن ينكر وجود الخالق لأنه لم يدركه بحواسه، أو لم يره بعينه؛ فيكون خالف العقل الصريح الذي عرف الخالق من خلال آثاره.

وهناك أدلة أخرىٰ سبق أن ذكرناها مثل الخبر والفطرة وغيرها.

لذلك قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: «البعرة تدل علىٰ البعير، والأثر يدل علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدل علىٰ العلي الخبير؟!».

إذا لا يحق لنا أن ننكر وجود أشياء لمجرد أننا لا ندركها بحواسنا.

❁ ❁ ❁

سابعًا: التوحيد

تعريف التوحيد لغةً:

مفردات هذه المادة (و ح د) تدور علىٰ (الوَحدة)، بمعنىٰ: الانفراد.

قال الرازي: «الوَحدة: الانفراد ... ورجل (وحَدٌ- وحِدٌ) بفتح الحاء وكسرها، و(وحيد) أي: منفرد»[(١)].

والتوحيد: النسبة إلىٰ الوَحدةِ والانفرادِ، يُقال: (وحَّده توحيدًا: جعله واحدًا)[(٢)]، أو هو: «الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد»[(٣)].

وقال السفاريني رحمه الله: «التوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب، لا الجعل، فمعنىٰ وحَّدت الله: نسبت إليه الوحدانية[(٤)]، لا جعلته واحدًا؛ فإن وحدانية الله تعالىٰ ذاتية له ليست بجعل جاعل»[(٥)] ومنعه من إطلاق الجعل علىٰ التوحيد مخالف لبعض أهل اللسان كالفيروزآبادي كما مر قوله -آنفًا-.

والظاهر: أنه لا مانع منه؛ إذ يأتي الجعل بمعنىٰ التصيير، وبمعنىٰ: الاعتقاد، كما قال الله عن المشركين: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ

---

(١) «مختار الصحاح» (٧١١، ٧١٢).

(٢) «القاموس المحيط» (٤١٤).

(٣) «التعريفات» (٦٩).

(٤) في بعض النسخ: نَسَبْتُه إلىٰ الوحدانية.

(٥) «لوامع الأنوار البهية» (١/٥٦، ٥٧).

ﱡﭐ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﱠ [الزخرف: ١٩]، أي: نسبوهم إلىٰ الأنوثة، وحكموا بها عليهم(١)، واعتقدوا فيهم هذا المعتقد.

وقال الشيخ ابن عثيمين: «**التوحيد لغةً**: مصدر وحَّد يوحد، أي: جعل الشيء واحدًا، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوىٰ الموحَّد، وإثباته له»(٢).

تعريف التوحيد شرعًا:

مما مضىٰ يتضح أن التوحيد يعني الإفراد، فتوحيد الله: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به ويجب له(٣).

ويقول السفاريني ؒ: «التوحيد الشرعي هو: إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا»(٤).

ويقول ابن سعدي رحمه الله: «التوحيد المطلق(٥): العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة»(٦).

وما مضىٰ من التعريفات كان في تعريف التوحيد الشرعي في الجملة، وأما التفصيل فالعلماء -رحمهم الله- قسموا التوحيد إلىٰ قسمين

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» (٩٤).

(٢) «مجموع فتاوي ابن عثيمين» ناصر السليمان (٢/ ٧)، وانظر: «شرح كتاب التوحيد» له ابن عثيمين (ص١).

(٣) «المجموع الثمين» «مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين» ناصر السليمان (١/ ١٥).

(٤) «لوامع الأنوار البهية» السفاريني (١/ ٥٧).

(٥) أي: المطلق من إضافته إلىٰ أحد الأقسام المعروفة: الربوبية، الأسماء والصفات، الألوهية.

(٦) «القول السديد»، السعدي (١٠).

أو ثلاثة[١]، اتفقوا علىٰ إفراد أحدها بالعدّ وهو توحيد الألوهية، ثم الباقي وهو توحيد الله في المعرفة والخبر؛ فمنهم من اقتصر عليه، ومنهم من قسمه إلىٰ توحيدٍ في الربوبية، وتوحيدٍ في الأسماء والصفات.

والمتقدمون -ممن تعرض للتقسيم- جعلوه ثنائيًّا، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم[٢]، وتبعهم بعض المتأخرين كالحكمي[٣] في «معارج القبول»[٤]، وأكثر المتأخرين علىٰ التقسيم الثلاثي.

القسم الأول، توحيد الألوهية: وهو أشرف الأقسام، وهو المقصود بالخلق والأمر -كما سيأتي بيانه- إن شاء الله -في منزلة التوحيد- وهو غاية ومقصد القسمين الآخَرين، وهو الذي لا تصح العبادة إلا به. ويُسمىٰ هذا القسم توحيد الألوهية، والإلهية، أو توحيد القصد والطلب، أو توحيد العبادة.

ومعناه: إفراد الله بألوهية -أو إلهية، أو عبادةِ أو قصدِ أو طلبِ- العِباد[٥].

---

(١) وبعضهم أكثر من ذلك، كمن زاد توحيد المتابعة للرسول ﷺ.

(٢) انظر: «القصيدة النونية بشرح ابن عيسي» (٢/ ٢١٠) وما بعدها، «واجتماع الجيوش الإسلامية» (٩٣، ٩٤).

(٣) هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، نسبة إلىٰ الحكم بن سعد العشيرة، وُلِدَ عام (١٣٤٢ه)، جنوب جيزان، وكان ملهمًا يحفظ كل ما يُلقىٰ إليه، قال عنه شيخه عبد الله القرعاوي: ليس له في وقته نظير بالتحصيل والتأليف والتعليم والإدارة، وقد صنف رسائل عديدة في فنون مختلفة منها: «معارج القبول»، وتوفىٰ سنة (١٣٣٧ ه) عن مقدمة «المعارج» بترجمة ولده أحمد.

(٤) انظر: «معارج القبول» (١/ ٩٨).

(٥) انظر: «الدرر السنية» (٢/ ١٤٦)، وقال: التأله: أشد المحبة.

وهو عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفِهِ ورجائِهِ والتوكل عليه، والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وألّا يُجْعَل له عِدْلٌ في شيء من الأشياء.

وله ضدان: الإعراض عن محبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، أو الإشراك به في ذلك، واتخاذ أولياء وشفعاء من دونه(١).

وقد تكلم الأئمة فيه وفي تعريفه في مواضع كثيرة(٢)، وخلاصته أنه: «توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة، والخشوع، والتذلل، والتعظيم . . .»(٣).

القسم الثاني، توحيد الربوبية: وهو إفراد الرب ﷻ بالخلق، والرزق، والتدبير، والتربية والاعتقاد بأنه ليس له شريك في الملك، ولا مماثل ولا سمي له(٤).

القسم الثالث، توحيد الأسماء والصفات: اعتقاد تفرد الله بما سمي ووصف به نفسه أو رسوله ﷺ؛ من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وهذان القسمان هما اللذان يسميهما المتقدمون (التوحيد العلمي الخبري)، **ولهذا القسم ضدان**: التعطيل، والتشبيه أو التمثيل(٥).

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٩٣-٩٤).

(٢) منها: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٢٤٨) طبعة المعرفة، و«مجموع الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ٢/ ١٧)، و«أعلام السنة المنشورة» الحكمي (١٩)، و«سؤال وجواب في أهم المهمات»، السعدي (٧-٨).

(٣) «الدرر السنية» (٢/ ٣٥).

(٤) انظر: «أعلام السنة المنشورة» الحكمي (٣١)، و«سؤال وجواب» السعدىٰ (٧).

(٥) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٩٤).

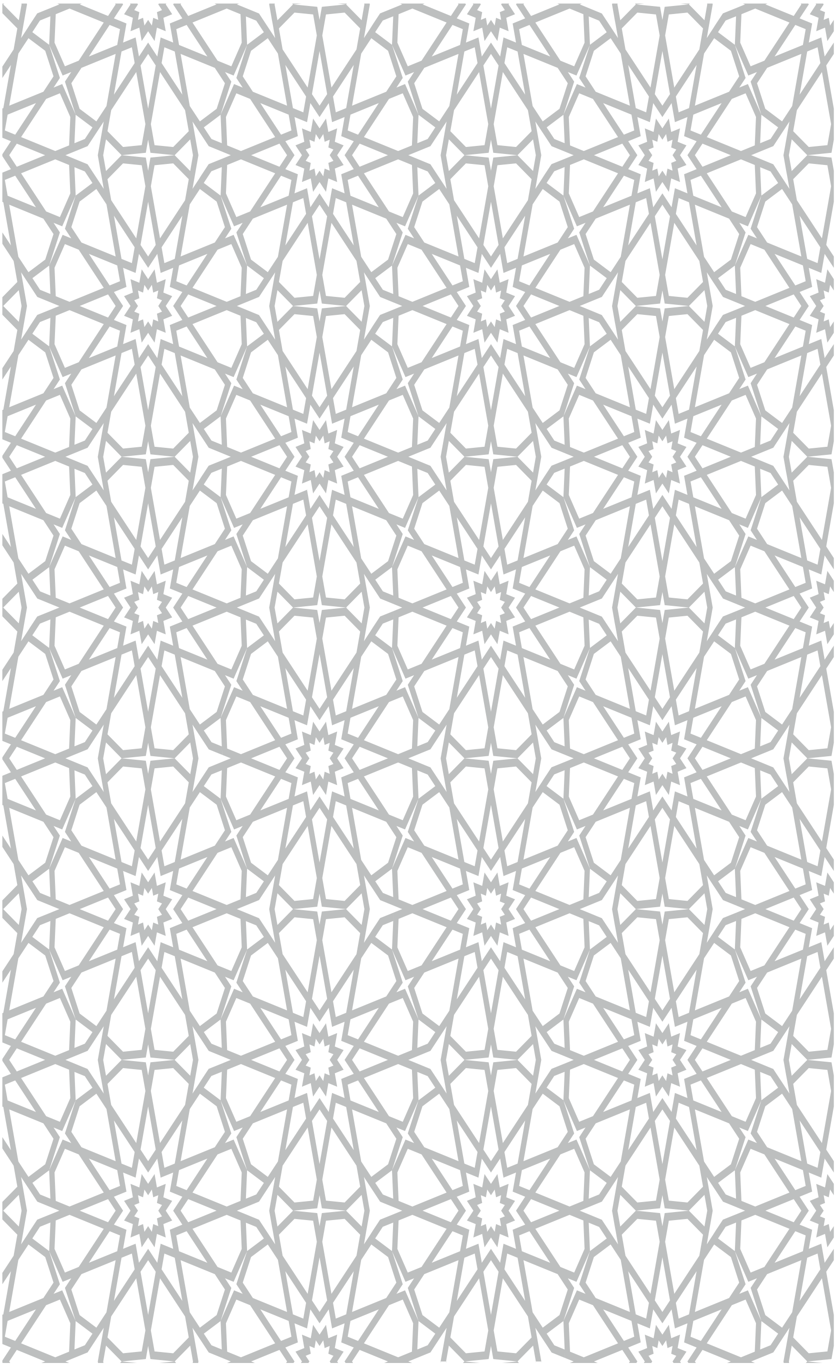

القسم الأول: توحيد الربوبية

• المسألة الأولىٰ: معناه.

هو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب علىٰ العبد أن يؤمن بذلك كله.

وَخُلاَصَتُهُ هُوَ: «تَوحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِفْرَادُهُ بِأَفْعَالِهِ».

وَقَدْ قَامَتِ الأَدِلَّةُ الشَّرعِيَّةُ عَلَىٰ وجُوبِ الإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالقُرآنُ الْعَظِيمُ مَلِيءٌ بِذِكْرِ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَىٰ، وَلاَ تَكَادُ سُورَةٌ مِنْ سُوَرِهِ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ، أَوِ الإِشَارَةِ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ الأَسَاسُ بِالنِّسْبَةِ لأَنْوَاعِ التَّوحِيدِ الأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وَقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وَقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وَقولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوحِيدِ أَقَرَّ بِهِ فِي الْجُمْلَةِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ وَالدِّيَانَاتِ، وَالْمُشْرِكُونَ الْقُدَامَىٰ الَّذِينَ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ؛ فَكُلُّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَمَنْ فِيهِ، وَرَازِقَ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا؛ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

• المسألة الثانية: دلالة العقل عليه.

والعقل يدل علىٰ وجود الله تعالىٰ وانفراده بالربوبية وكمال قدرته علىٰ الخلق وسيطرته عليهم.

ولذلك طرق كثيرة، أهمها طريقان:

الأول: النظر في خلق النفس البشرية وأنها آية من آيات الله العظيمة الدالة علىٰ تفرد الله وحدَهُ بالرُّبوبية: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فالإنسان لا يستطيع أن يخلق النطفة التي كان منها، أو أن يحولها إلىٰ علقة، أو يحول العلقة لمضغة، أو المضغة لعظام، أو يكسو العظام لحمًا.

الثاني: النظر في الآفاق، وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق، كل ذلك يدلُّ علىٰ أن هناك خالقًا لهذا الكون، موجدًا له مدبرًا لشئونه.

وقد جاء في بعض الآثار أن قومًا أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دِجْلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد»؟

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدًا.

فقال لهم: «إذا كان هذا محالًا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله».

۞ ۞ ۞

إبطال الصدفة[١]

ولتفنيد مزاعم المتعلقين بالصدف المنكرين لله الخالق المبدع العظيم= سنتجه إلىٰ علم الإحصاء، علىٰ سبيل المثال: كم عدد احتمالات تخمين عدد مكون من أربعة أرقام؟ الناتج يكون: عشرة مرفوعة للقوة الرابعة (١٠٤)، أي: عشرة آلاف محاولة لكي تصيب محاولة منهم، وإن شئنا ضرْبَ مثال آخر متعلق بخلق الإنسان: فيكفي أن نعرف أن الخلية الواحدة في الإنسان ستة مليارات چينوم، والچينوم يتكون من ستة مليارات وحدة، الوحدة الواحدة تتكون من أربع قواعد نيتروچينية (نيوكليوتيدات) (A. T. G. C)، بِناءً علىٰ هذا؛ فإن عدد الاحتمالات الكافية لخلق چينوم واحد هي أربعة مرفوعة للقوة مليار ضرب ستة (٤٦x١٠^٩)، هذا فقط لإنشاء چينوم وحيد في جسم الإنسان، فما بالك بباقي المخلوقات علىٰ وجه الأرض؟ فتلك الصدف لا تكفي -أبدًا- لإنشاء كون متكامل متزن مثل كوننا.

مثال أخير يدل علىٰ استحالة صدفية الاحتمالات في خلق الكون: إذا أحضرنا وعاءً بحجم الجبل، وملأناه بالعملات المعدنية، كلهم من نفس اللون ما عدا واحدة، ما احتمالية أن يضع رجل يده ويستخرج تلك العملة الشاذة؟ ضعيفة جدا بالطبع، قد يصادف أن يخرجها أحدهم من أول مرة، لكن ماذا عن المحاولة الثانية؟ وإن تصادف وحدث نفس الأمر، فماذا عن الثالثة؟ هل يمكن تخيُّل تكرار الحدث عشرة آلاف مرة؟ فهل يمكن أن

(١) مستفاد من: «ظاهرة نقد الدين»، سلطان العميري.

تجتمع كل تلك المصادفات لتُكوِّن جسدًا كاملًا بكل تلك الدقة؟ بكل تلك الجينات والشيفرات الوراثية؟ فضلا عما سوىٰ الإنسان؟ صدق الله حين قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

لذلك فنحن لم نبالغ لما اعتبرنا أنَّ القول بالصُّدفة ضرب من الجنون والعناد لا أكثر، وسنكتفي بذلك؛ حتَّىٰ لا نطيل أكثر في هذه النُّقطة، فنظنُّ أنَّها قد اتَّضحت لك بما لا يترك عندك أدنىٰ مجال للشَّك.

أمَّا علىٰ الجانب العقليِّ فيمكننا نقاش ذلك من نواحٍ ثلاثة:

١- إنَّ الصُّدفة ليست مؤثرًا ولا فاعلًا، بل هي حالة اجتمعت فيها ظروف حصول الشَّيء، ولأنَّ الأثر لا بدَّ له من مؤثِّر، فلا بدَّ لأيِّ تصميم أو وجود من فاعل مؤثِّر طبقًا لمبدأ السَّببيَّة بغضِّ النَّظر «في بداية البحث» عن قدرة هذا المؤثِّر علىٰ إنتاج شيء معقَّد من عدمه، ولكن يبقىٰ المؤثِّر لازمًا هنا، ولن يحدث شيء إلَّا بفعله.

٢- وهذا يجلِّي أنَّ الصُّدفة لا تتعارض مع المؤثِّر، ولا يلزم من وجودها عدم وجوده، فقد يصيب شخص أعمىٰ هدفًا علىٰ بعد ثلاثة أمتار صدفة، ولكن ذلك لا يمنع أنَّه هو الَّذي فعل ذلك، ولا يقال: إنَّه غير موجود، وإنَّما سيقال: إنَّ إتقانه غير مقصود.

- كما أنَّ كون الصُّدفة هي أحوال تتوفَّر فيها ظروف وجود الشَّيء دون اختيار وقصد، فإنَّها تُبقي دائمًا سؤالًا عن الَّذي وفَّر هذه الظُّروف، وأوجد هذه الأحوال الَّتي يمكن فيها وجود الشَّيء دون إرادة وجوده علىٰ هذا النَّحو، فالصُّدفة نفسها تحتاج لمن يوجدها.

٣- وقد يكون معنىٰ الصُّدفة لنا يختلف عن معناها بالنِّسبة للإله، فنحن نفهم جيِّدًا أنَّ الأعمىٰ الَّذي أصاب هدفًا صغيرًا علىٰ بعد ثلاثة أمتار لم

يكن ذلك بقدرة منه خارقة لنواميس الطَّبيعة، ولكن اتفق أن تهيئت الأمور لحصول ذلك، ولكن عند التَّأمُّل في الفعل الإلهيِّ فقد يكون ما نراه نحن صدفة هو نفسه سبب من الأسباب الَّتي يحصل بها مراده تعالىٰ، فما كان صدفة بالنِّسبة للأعمىٰ الَّذي أصاب الهدف لا يكون صدفة بالنِّسبة لله؛ لأنَّه يكون أراد ذلك، وحصل الشَّيء علىٰ مراده.

فإن قيل: إنَّ الصُّدفة تتعلَّق بفعل المؤثِّر، فمن حيث إنَّ إصابة الهدف بالنِّسبة للأعمىٰ صدفة، فيكون ضبط الكون وإتقانه بالنِّسبة للإله صدفة.

فنقول: هذا غير صحيح؛ لأنَّ ما يُسَمَّىٰ صدفة يحتاج الفعل الإلهيَّ ليوجَد ثم يوجِد، فلا يمتنع أن يكون هو مريدًا لها، وأوجد الظُّروف الَّتي مكنتها من الإيجاد، ولذلك لن تكون صدفة، وإنَّما سبب للإيجاد، فهي فعل مراد أوجده الله، ومكَّنه من الإيجاد، ووفَّر له ما يحتاجه في ذلك، فسمِّه بعد ذلك صدفة، أو سمِّه كرة شاطئ، سمِّه بما يحلو لك، فلن يغيِّر هذا من الحقيقة شيئًا.

وبذلك تبطل معارضة وجود الإله بما يُسَمَّىٰ صدفة؛ لأنَّها تقتضي أصلًا إثبات وجوده لو كانت شيئًا موجودًا أصلًا، وقد ثبت رياضيًّا استحالة هذا الافتراض المتهالك ليس في إيجاد كون مضبوط ومحكم، بل في إيجاد أصغر جزيء بروتينيٍّ موجود، وكلُّ هذا الإحكام والإتقان يستلزم بالضَّرورة وجود محكِم صانع متقن لهذا الخلق، وهو الله ﷻ[1].

(١) اعلم أن الملاحدة كثيرًا ما يقولون: إنه لا يوجد دليل علمي علىٰ وجود الإله. وهذا -كما ترىٰ- كلام ساقط، وبيان ذلك كما يلي: فأما ما يقصدونه بالدليل العلمي فهو الدليل الحسي، فلو لم يدخل الإله المختبر وندركه بحواسنا فلن يكون ثم دليل علمي علىٰ وجوده، ولكن حتىٰ هذه العملية المتعصبة لم تكن داعمًا قويًّا للإلحاد.
فأولًا: قد ثبت وجود الله علميًّا وحسيًّا، وأما الذي لم يحدث فقط هو أننا لم ندرك الله =

• المسألة الثالثة: توحيد الربوبية وحده لا ينجي من العذاب.

لا يصح إيمان أحد إلا إذا وحَّد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل ﷺ، ولا ينجي وحده من عذاب الله، ما لم يأتِ العبدُ بلازِمِهِ؛ توحيد الألوهية . . . ولقد كان المشركون زمنَ النبي ﷺ مُقرِّين بالله ربًّا خالقًا رازقًا مدبرًا، وكان شركُهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦١]، فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تُنزل الغيث وتَرزق العالم وتُدبر شئونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ومع هذا الإقرار العام من المشركين بالربوبية لم يُدْخلهم ذلك في الإسلام، بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون.

= بحواسنا، أما معظم الأدلة علىٰ وجوده تعالىٰ فيمكننا أن ندركها بحواسنا، وهم هنا يخلطون بين الدليل الحسي وبين المدرك الحسي، والفرق أن الدليل الحسي لا يلزم منه الإحساس بالمدلول، ولكن يكفي الإحساس بأثره، كأن نرصد جنينًا صغيرًا في رحم أمه، ونستدل به علىٰ أن هناك حيوانًا منويًّا قام بتخصيب بويضتها، أما الإدراك الحسي فهو أن نتابع عملية التخصيب بأنفسنا أو نفعلها في المختبر.

وثانيًا: أن العلم لا يستند فقط لأدلة حسية، بل ويعتمد علىٰ الأدلة الرياضية والمنطقية، وهي تثبت وجود الإله بلا شك، وقد مر معنا -فيما سبق إليك- جزء يسير من ذلك.

ثالثًا: أن العلم يستند أيضًا علىٰ الأدلة الخبرية، فلا يتصور أن يتجاهل العالم كل ما قد علمه من الأبحاث والحقائق العلمية التي وصل إليها من سبقه بالبحث ويقول: لن أؤمن بأي حقيقة علمية، ولن أستعمل أي اكتشاف أو قانون إلا بعد أن أتأكد بنفسي تجريبيًّا منه! هذا جنون لا يُتصور، بل الحال أن الناس يتداولون العلم وحقائقه وقوانينه ويدرسونها، ويبنون عليها أبحاثهم وعلومهم، وإلا لتوقف العلم حيث بدأ، ولم يتقدم خطوة واحدة.

- **المسألة الرابعة: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية.**

وعلىٰ الرغم من أن توحيد الربوبية مركوز في الفطرة مجبولة عليه النفوس فإن هناك من الخلق مع جحده، ومنهم من جحد بعض صفات الربوبية، كمن جحد قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ، ومنهم من أعطىٰ بعض خصائص الربوبية لغير الله ﷻ فاعتقد بوجود متصرف في الكون والإحياء والإماتة والرزق مع الله ﷻ، ومن اعتقد ذلك في مخلوق من أنه يملك إيجادًا أو إعدامًا أو إحياءً أو إماتةً أو جَلْبَ خيرٍ أو دَفْعَ شَرٍّ فهو مشرك بالله العظيم، ومن الخلق من يثبت خلق الله للعالم لكنه ينزع عنه تصرفه في الكون وإرساله للرسل وشرعه للدين.

الشرك في الربوبية ومظاهرة

- **والشرك في الربوبية يكون علىٰ قسمين:**

١- شرك تعطيل: وذلك بأن يعطل أصلًا من أصلي توحيد الربوبية، أو كلاهما، وهو إما أن يكون تعطيلًا كليًا أو جزئيًا. فالكلي مثل: الإلحاد ونفي وجود الخالق، والجزئي مثل: نفي البعث والنشور.

ومن أمثلة شرك التعطيل: شرك فرعون، عندما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

٢- الشرك بالأنداد: بأن يجعل الله أندادًا في أصلي الربوبية أو أحدهما، فيقع في التشبيه، وهذا أيضا يكون كليًا وجزئيًا، فالكلي مثل: القول بوجود خالقين -كقول المانوية والثنوية- والجزئي مثل: كالقول بتأثير الأنواء والنجوم في نزول المطر وفي صفات المخلوقات.

يقول ابن تيمية: «فهذان الأصلان عموم خلقه، وعموم إحسانه وحكمته أصلان عظيمان، وإن كان من الناس من يكفر ببعض الأول، كالقدرية الذين يُخرجون أفعال العباد عن خلقه، ويضيفونها إلىٰ محض فعل ذي الاختيار، أو الطبيعية الذين يقطعون إضافة الفعل إلىٰ الله -سبحانه- ويضيفونه إما إلىٰ الطبع أو إلىٰ جسم فيه طبع ... ومن الناس من يجحد بعض الثاني، أو يعرض عنه، متوهما خلو شيء من مخلوقاته عن إحسان خلقه وإتقانه وعن حكمته، ويظن قصور رحمته وعجزها، من القدرية الإبليسية، أو المجوسية وغيرهم».

واعلم أن نواقض توحيد الربوبية منها الأكبر والأصغر.

فالأكبر مثل: إنكار الخالق، وإنكار البعث والنشور، والقول بتأثير الكواكب (تأثيرًا مستقلًا).

والأصغر مثل: أن يجعل ما ليس بسبب سببًا من غير دليل، وكنفي خلق أفعال العباد (إذا لم ينكر العلم) فقد ذكر الإمام أحمد وغيره أن القول بعدم خلق أفعال العباد لا يخرج من الملة إذا لم ينف صاحبه العلم السابق.

أمثلة علىٰ الشرك في الربوبية:

١- التطير، قال ﷺ (الطيرة شرك) فهي شرك أصغر إن ظن أن الطير سببًا، وإن ظن أنه يؤثر استقلالًا فشرك أكبر.

٢- نسبة النعم لغير الله وادعاء تأثير الكواكب والنجوم، قال ﷺ (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) فادعاء تأثير الكواكب يكون شركا أكبرًا إذا زعم أنها تؤثر

استقلالًا، ويكون شركًا أصغرًا إذا زعم أنها سبب، ويدخل في هذا ما ينسب إلىٰ الأبراج في هذا الزمن.

۞ ۞ ۞

القسم الثاني: توحيد الألوهية

الله ﷻ هو المألوه المعبود الذي يجب أن تألَهَهُ القلوبُ وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم الخالق لهذا الكون المدبر لشئونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص.

ويُسمىٰ باعتبار إضافتِه إلىٰ الله تعالىٰ بتوحيد الألوهية، وباعتبار إضافتِه إلىٰ الخلق بتوحيد العبادة، وتوحيد العبودية، وتوحيد الله بأفعال العباد، وتوحيد العمل، وتوحيد القصد، وتوحيد الإرادة والطلب؛ لأنه مبني علىٰ إخلاص القصد في جميع العبادات بإرادة وجه الله تعالىٰ. ومعناه الاعتقاد الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام: بأن الله تعالىٰ هو الإله الحق وحده، لا إله غيره، ولا معبود سواه؛ المستحق للعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وكل معبود سواه باطل، والبراءة منهم جميعًا.

وفيه اثنتا عشرة مسألة(١):

المسألة الأولىٰ: الأدلة علىٰ تقريره

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) مستفادة من: «المقصد المأمول»، للشيخ خالد الجهني.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيس بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قُلْتُ: لَبَّيك رَسُولَ اللَّهُ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قُلْتُ: لَبَّيْك رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ

قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ**».

قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**».

ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.

فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ**».

قُلْتُ: اللهُ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَىٰ اليَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠)

فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»(٢).

المسألة الثانية: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية متلازمان.

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر، فمن حقق توحيد الربوبية لزمه تحقيق الإلهية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٩٧).

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٤-١٦٥].

المسألة الثالثة: توحيد الإلهية هو الذي أرسل الله به الرسل.

ما من رسول أرسله الله ﷻ إلا بتوحيد الإلهية.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

وأولاد العلات: هم الإخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنىٰ أن شرائعهم متَّفِقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروعُ حسب الزمن، وحسب العموم والخصوص.

المسألة الرابعة: لأجل توحيد الإلهية أنزل الله الكتب.

من أجلِ توحيد الإلهية أنزلَ الله الكتب، فأنزل التوراة علىٰ موسىٰ عليه السلام، وأنزل الإنجيل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، وأنزل الزبور علىٰ داود عليه السلام، وأنزل القرآن علىٰ النبي ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٢-٤].

المسألة الخامسة: وجوب قتال من تولىٰ وأبَىٰ توحيد الإلهية.

أوجب الله تعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ، والمؤمنين قتالَ من امتنع، وأعرض عن التوحيد، **ومن الأدلة علىٰ ذلك:**

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقوله ﷻ: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»[1].

المسألة السادسة: فضل شهادة أن لا إله إلا الله.

شهادة أن لا إله إلا الله لها فضائل عظيمة، منها:

١- هي سبيل الفوز بدخول الجنة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

قــال الـــلـــه ﷻ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ**»(١).

٢- هي سبب النجاة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ مُؤَذِّنًا يَقُولُ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، فَقَالَ ﷺ: «**خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ**»(٢).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**»(٣).

٣- هي سبيل السعادة في الدارين، لا وصول إليها إلا بهذه الكلمة، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة.

قــال تــعــالــىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

٤- هي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٤)، ومسلم (٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩).

٥- هي أعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده أن هداهم إليها؛ ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولًا قبل كل نعمة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

٦- هي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، ومكملات لها، مقيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

٧- هي العروة الوثقىٰ التي قال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٨- هي العهد الذي ذكر الله ﷻ إذ يقول: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

٩- هي كلمة الحق التي ذكر الله سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

١٠- هي كلمة التقوىٰ التي ذكر الله سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

١١- هي القول الثابت الذي ذكر الله سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

١٢- هي أفضل ما ذكر الله سبحانه وتعالى به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ نُوحًا عليه السلام قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ**

إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[(١)].

١٣- من قالها معتقدًا معناها بُعث يوم القيامة ناجيًا آمنًا.

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢-١٠٣].

١٤- من مات عليها دخل الجنة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)].

المسألة السابعة: معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

معنىٰ شهادة أن «لا إله إلا الله» إجمالًا: لا معبود بحق إلا الله تعالىٰ، أي: لا أحد يستحق أن يُعبدَ إلا الله تعالىٰ، فلا يجوز أن يُدعىٰ إلا الله تعالىٰ، ولا يجوز أن يصلىٰ أو يُنذر أو يُذبح إلا لله تعالىٰ، وهكذا بقية أنواع العبادة، لا يستحقُّ أحدٌ أن تُصرف له سوىٰ الله تعالىٰ.

و«لا» نافية للجنس، و«إله» اسمُها، وخبرُها محذوفٌ تقديرُه «حق».

و«إله» من ألَهَ -بالفتح- يألَهُ إلاهةً، والمعنىٰ: عبدَ يعبدُ عبادة.

والإلهُ هو المعبودُ المطاع الذي تألهُه القلوبُ بالمحبةِ والتعظيم، والخضوع والخوف، وتوابع ذلك من بقية أنواع العبادة.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الآدب المفرد (٥٤٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

واسم «الله» عَلَمٌ علىٰ ذات الرب تعالىٰ المقدسة، لا يُطلق إلا عليه سبحانه وتعالى، وأصلُه «إله»، حذفت الهمزة، وعوض مكانها «أل» التعريف.

فهذه الكلمةُ العظيمةُ تشتملُ علىٰ ركنين أساسيين:

الأول: النفي، وهو نفيُ الإلهيةِ عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ، ويدل عليه كلمةُ «لا إله»، فهي تنفي أن يكون غيرُ الله تعالىٰ مستحقًا للعبادة.

الركن الثاني: الإثبات، وهو إثباتُ الإلهية لله تعالىٰ، ويدل عليه كلمة «إلا الله»، فهي تُثبِت أن الله تعالىٰ هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فالله عز وجل هو المستحق للعبادة وحده لأنه هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر لجميع الأمور، فيجب علىٰ جميع العباد أن يُفردوه بالعبادة شكرًا له علىٰ نعمِه العظيمةِ عليهم.

فهذه الكلمةُ هي حقًا: كلمةُ التوحيد، والعروةُ الوثقىٰ، وكلمةُ التقوىٰ، وفي شأنها تكون السعادةُ والشقاوةُ في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة، فبالتزامها والقيامِ بحقوقها تثقل الموازين، وبها تكون النجاةُ من النار بعد الوِرد، والفوزُ بجنات النعيم، وبعدم التزامها أو التفريطِ في حقوقها تخف الموازين، ويكون العذابُ في القبر ويوم القيامة. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

المسألة الثامنة: شروط شهادة أن لا إله إلا الله.

دلت النصوصُ الشرعيةُ الكثيرةُ علىٰ أن الفوائد والفضائلَ العظيمةَ لكلمة التوحيد -التي سبقت الإشارةُ إلىٰ بعضها- والتي من أهمها: الحكم بإسلام صاحبها، وعصمة دمه ومالِه وعرضه، ودخول الجنة، وعدم الخلود في النار . . . دلَّت النصوصُ علىٰ أنّ هذه الفضائلَ لكلمة التوحيد لا تحصل

لكل مَن نطق بهذه الكلمة، بل لا بد من توافر جميع شروطها، وانتفاءِ جميع نواقضها، فكما أن الصلاة لا تُقبل ولا تنفع صاحبَها إلا إذا توافرت جميعُ شروطها، وانتفت مبطِلاتُها: فكذلك هذه الكلمة، لا تنفع صاحبَها إلا باستكمال شروطها وانتفاء نواقضها.

ولذلك لما قيل لوهب بن منبه -رحمه الله تعالىٰ-: أليس مفتاحُ الجنة «لا إله إلا الله»؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس مفتاحٌ إلا له أسنان، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك(١).

ولما قيل للحسن البصري: إن ناسًا يقولون: مَن قال لا إله إلا الله دخلَ الجنة؟

قال: «مَن قال «لا إله إلا الله» فأدّىٰ حقَّها وفَرْضَها دخل الجنة».

ومن أجل عدم تحقُّق بعض هذه الشروط لم تنفع هذه الكلمةُ جميعَ المنافقين الذين نطقوا بها وفعلَ كثيرٌ منهم بعضَ شعائر الإسلام الظاهرة.

ويدل علىٰ وجوب توفُّر شروط هذه الكلمةِ وعلىٰ وجوب انتفاءِ موانعِها علىٰ وجه الإجمال قولُه ﷺ: «أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا (لا إله إلا الله): عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها، وحسابُهم علىٰ الله»(٢)، فيدخل في حقها: الإتيانُ بشروطها، واجتنابُ نواقضها.

---

(١) رواه البخاري تعليقًا في فاتحة الجنائز، ووصله الحافظ في (تغليق التعليق) (٢/٤٥٣-٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح/١٣٩٩) من حديث عمر، ورواه مسلم (ح/٢٠، ٢١، ٢٢) من حديث عمر، وأبي هريرة، وعبدِ الله بن عمر، وجابر ﭫ، واللفظ له.

وقال الحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: «المراد من هذه الأحاديث[1] أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار مقتضٍ لذلك ولكنَّ المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع».

وقال الحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ وهو يدفن امرأته: «ما أعددت لهذا اليوم؟».

قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعينَ سنة.

فقال الحسن: «**نِعْمَ العِدَّة، لكن لشهادة أن لا إله إلا الله شروطًا، فإياكَ وقذفَ المحصناتِ**».

وقيل للحسن: إن ناسا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

فقال: «**من قال لا إله إلا الله فأدىٰ حقها، وفرضها دخل الجنة**».

وقال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟

قال: «**بلىٰ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك**».

وقال العلماء: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، وهي مذكورة في هذه الأبيات:

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا ... بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
العِلْمُ وَاليَقِينُ وَالقَبُولُ ... وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ وَالمَحَبَّهْ ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهْ

(١) أي: الواردة في فضل كلمة التوحيد.

الشرط الأول: العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك.

قال الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي بلا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي بقلوبهم معنىٰ ما نطقوا به بألسنتهم.

وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؟

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله ﷺ كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله، الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَىٰ اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَيضًا رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ بِنَعْلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»(١).

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفىٰ الشرط انتفىٰ المشروط.

الشرط الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله ﷻ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها، وانتقامه ممن ردها وأباها.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٥].

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الشرط الرابع: الانقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾، أي: بلا إله إلا الله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ومعنىٰ ﴿يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ﴾: أي ينقاد وهو محسن موحِّد، ومن لم يسلم وجهه إلىٰ الله ولم يك محسنًا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقىٰ.

الشرط الخامس: الصدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطئ قلبُه لسانَه.

قال الله ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جبَلٍ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**»(١).

فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه مِنْ قِصَّةِ الأَعْرَابِيِّ، وَهُوَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَافِدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ لَمَّا سَأَلَ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»(١).

فاشترط في فلاحِه، ودخول الجنة أن يكون صادقًا.

الشرط السادس: الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك.

قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مَنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(٢).

وعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ**»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَىٰ العَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**»(٤).

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبُغض ما ناقض ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (١٥٢٨).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فأخبرنا الله ﷻ أن عبادَه المؤمنين أشد حُبًّا له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مُدَّعُو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابِّه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والي الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه.

وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يُتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها، فكل من عَبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عَبدٌ لهواه، بل كل ما عصىٰ الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه علىٰ أوامر الله ﷻ ونواهيه.

وقال تعالىٰ في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه أَن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ**

المرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

المسألة التاسعة: نواقضُ «لا إله إلا الله»:

أما نواقضُ لا إله إلا الله -وتسمىٰ نواقض الإيمان ونواقض التوحيد- وهي الخصال التي تحصل بها الردة عن دين الإسلام: فهي كثيرة، وهي تجتمعُ في ثلاثة نواقض رئيسة، وهي: **الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الاعتقادي، وهي كلها تناقض أصلَ الإيمان.**

وهناك وسائل إلىٰ الشرك الأكبر، وهي وإن لم تكن تناقض أصلَ الإيمان، إلا أنها من منقِصاته، وسيأتي الحديث عنها كلها إن شاء الله تعالىٰ.

• المسألة العاشرة: معنىٰ العبادة والأركان التي تبنىٰ عليها.

العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وهي تبنىٰ علىٰ ثلاثة أركان:

(١) **كمال الحب** للمعبود سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(٢) **كمال الرجاء**، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٦٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥) ومسلم (١٧٨).

(٣) **كمال الخضوع والخوف** من الله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

المسألة الحادية عشر: شروط قبول العبادة وبيان أقسامها:

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

(١) **الإخلاص لله تعالىٰ**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

(٢) **المتابعة للرسول ﷺ**، فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالىٰ في آخر سورة الكهف: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالتصديق الجازم بأخبار الوحي، وكالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

• المسألة الثانية عشر: الشرك: معناه وأنواعه.

يطلق الشرك في اللغة علىٰ التسوية بين الشيئين، وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

المعنىٰ العام: تسوية غير الله بالله فيما هو مِن خصائصه سبحانه، ويندرج تحته الشرك في الربوبية، وفي الألوهية، وفي الأسماء والصفات.

والخاص: أن يتخذ لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنىٰ المتبادر من كلمة الشرك إذا أُطْلِقَتْ في القرآن أو السنة.

وقد أخبر سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وأخبر أنَّ من مات عليه يكون مخلدًا في نار جهنم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين المعظَّمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، وكان ذلك في قوم نوح عليه السلام.

وينقسم الشرك إلىٰ قسمين: أكبر وأصغر:

(١) **الشرك الأكبر**: هو اتخاذ ندٍّ مع الله يُعْبَدُ كما يعبد الله، وهو ناقلٌ من ملة الإسلام، محبطٌ للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكون مخلدًا في نار جهنم، لا يُقضىٰ عليه فيموت ولا يُخفَّف عنه من عذابها.

وينقسم الشرك الأكبر إلىٰ أربعة أنواع:

الأول: **شرك الدعاء**، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو لُبُّ العبادة كما قال ﷺ: «**الدُّعَاءُ هَوَ الْعِبَادَةُ**»[١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٩٦٩)، و«مسند أحمد» برقم (٨٧٤٩).

رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيًّا أو ملكًا أو وليًّا أو قبرًا أو حجرًا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر.

الثاني: شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة **إرادة كلية ليس لله فيها نصيب** كأهل النفاق الخلّص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشركٌ الشركَ الأكبر.

الثالث: شرك الطاعة، كمن أطاع المخلوقين في تحليل الحرام المجمع عليه ضرورة أو تحريم الحلال المجمع عليه ضرورة، أو يعتقد ذلك بقلبه؛ أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا من عند أنفسهم ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك.

الرابع: شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتىٰ صَرَفَ العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر.

(٢) الشرك الأصغر:

هو كل ما كان ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو ما جاء في النصوص تسميته شركًا ولم يصل إلىٰ حد الأكبر، وهو يقع في هيئة العمل وأقوال اللسان.

حكمه: من وقع فيه فهو تحت المشيئة، كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته:

١- يسير الرياء، كقيام العبد للصلاة يتقرب بها لله ثم هو يلاحظ مدح الناس له في أنفسهم علىٰ عبادته وصلاته.

٢- **قول**: ما شاء الله وشئت، ولكن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان.

٣- **قول**: لولا الله وفلان، أو قول: لولا الكلب لأتانا اللصوص؛ وهذا في حالة إيمانه بأنها مجرد أسباب وإنما غفل قلبه حال هذا القول عن أنها أسباب، فإن قال هذه العبارات مع اعتقاد وحضور قلب أنها أسباب سببها الله فلا حرج فيها، لكن التحرز منها وذكر تسبيب الله لها أفضل، فيقول مثلًا: **لولا أن الله يسر لي فلانًا**.

- **مسألة: ما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر؟**

الجواب: بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، **أهمها**:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبطٌ لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، محرمةٌ عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

المسألة الثامنة: الكفر: معناه وأنواعه.

الكفر ضد الإيمان، وهو عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شَكٍّ ورَيْبٍ، أو إعراض عن ذلك حسدًا أو كبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

• **وينقسم الكفر إلىٰ قسمين: أكبر وأصغر.**

(١) **الكفر الأكبر**: هو الموجِبُ للخلود في النار.

وهو خمسة أنواع:

الأول: كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام.

الثاني: كفر الإباء والاستكبار: وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يُذعِنُ لأمره، استكبارًا وعنادًا.

الثالث: كفر الشك: وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له: كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين، وطلب مزيد من الأدلة لمزيد من الطمأنينة ليس شكًا.

الرابع: كفر الإعراض: والمراد الإعراض الكلي عن الدِّين، بأن يُعْرِضَ بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، فلا يسمع له، ولا يتعلمه، ولا يعمل به.

الخامس: كفر النفاق: والمراد النفاق الاعتقادي بأن يُظْهِرَ الإيمان ويُبْطِنَ الكفر.

• **والنفاق علىٰ ضربين:**

١- **نفاق اعتقاد**: وهو كفر أكبر ناقل من الملة، وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

٢- **ونفاق عملي**، وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ**

كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1] متفق عليه.

(٢) الكفر الأصغر: وهو لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلىٰ حد الكفر الأكبر.

ومن الأمثلة عليه: ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وفي قوله ﷺ: «**اثنتان في الناس هُمَا بِهِمْ كُفرٌ: الطَّعْنُ في النسب، والنياحةُ علىٰ الميت**» فهذا وأمثاله كفرٌ دون كفر، وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٤)، و«صحيح مسلم» برقم (٥٨).

قضايا تطبيقية على توحيد الألوهية

• **القضية الأولىٰ: في بيان ضد التوحيد وهو الشرك، وكونه ينقسم إلىٰ قسمين: أكبر وأصغر، وبيان كل منهما**

فيه أربع عشرة مسألة(١):

المسألة الأولىٰ: أقسام الشرك باعتبار أقسام التوحيد.

ينقسم الشرك باعتبار أقسام التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: شرك في الربوبية؛ كأن يعتقد وجود متصرف في الكون مع الله ﷻ.

الثاني: شرك في الإلهية؛ كأن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله ﷻ.

الثالث: شرك في الأسماء والصفات؛ كأن يشبِّه الله تعالىٰ بخلقه، أو يعطل شيئًا من صفات الله ﷻ.

المسألة الثانية: أول ظهور للشرك.

أول ما ظهر الشرك كان في قوم نوح، وكان بنو آدم علىٰ ملة أبيهم آدم عليه السلام نحو عشرة قرون.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ**

---

(١) مستفاد من: المقصد المأمول للشيخ خالد الجهني.

فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[1].

المسألة الثالثة: من الذي أدخل الوثنية وعبادة الأصنام إلىٰ بلاد العرب؟

أول من أدخل الوثنية بلاد العرب هو عمرو بن لُحَيٍّ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ عَمَرَو بْنَ لُحَيٍّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ مآبَ مِنْ أَرْضِ البَلْقَاءِ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ العَمَالِيقُ، وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاق، وَيُقَالُ: عِمْلِيق بْنُ لَاوذ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الأَصْنَامُ الَّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا فَنستَمْطرها فتُمطرنا، ونستَنْصرها فتنصُرنا.

فقالَ لهُم: ألا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا، فَأَسِيرَ بِهِ إِلَىٰ أَرْضِ العَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟

فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ: هُبَل، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَنَصَبَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وتَعظِيمِه»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ، يَجُرُّ قُصْبَهُ[3] فِي النَّارِ»[4].

المسألة الرابعة: أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأوثان.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) انظر: «السيرة»، لابن هشام (١/ ٧٢).

(٣) قصبه: أي أمعاءه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٢٨٥٦).

تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأوثان له أسباب عديدة منها:

١- تعظيم الموتىٰ الذين صَوروا تلك الأصنامَ علىٰ صورهم.

٢- تدخل الشياطين فيها، وتخاطبهم منها، وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم، وتدلهم علىٰ بعض ما يخفىٰ عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطان، فجهلتُهم وسَقَطُهم يظنون أن الصنم نفسَه هو المتكلِّم المخَاطِب.

٣- الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته حتىٰ جعلوا فيه حظًّا من الإلهية، وشبهوه بالله تعالىٰ.

المسألة الخامسة: أكثر شرك الأمم في توحيد الإلهية.

المقصود أن أكثر شرك الأمم التي بعث الله إليها رسله، وأنزل كتبه غالبهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يُذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثَّنْوية، وأما غيرُهم ممن جحدها عنادًا كفرعون ونمرود وأضرابهم، فهم مقرُّون بالربوبية باطنًا. قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطنًا وظاهرًا كما صرح بذلك القرآن.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

المسألة السادسة: أنواع التوحيد متلازمة.

أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضادَّ نوعًا من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي.

مثال ذلك: إذا نادىٰ أحدُهم المقبورَ، كأن يقول له: أغثني، أو: افعل لي كذا؛ فدعاؤه إياه عبادة صرَفها له من دون الله؛ لأن الدعاء هو العبادة، فهذا شرك في الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير

أو دفع ضُر مما لا يقدر عليه إلا الله معتقدا أنه قادر علىٰ ذلك، هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرِّف مع الله تعالىٰ في ملكوته، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعًا محيطًا بجميع المسموعات، فاستلزم هذا الشركُ في الإلهية الشركَ في الربوبية، والأسماء والصفات.

المسألة السابعة: تعريف الشرك الأكبر، وبيان خطره، وتقرير ذلك.

الشرك الأكبر: هو أن يتخذ العبد مع الله ندًّا يدعوه من دون الله ﷻ، وهو مخرِج من الدين، وهو أعظم ذنب عُصِي اللهُ به.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟

قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ**»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٩٧).

المسألة الثامنة: حقيقة شرك مشركي قريش.

قد أخبرنا الله ﷻ أن مشركين قريش مقرُّون له تعالىٰ بالربوبية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ولكنهم سَوَّوا أصنامهم وأوثانهم بالله تعالىٰ في حبهم إياهم كحب الله، ولم يجعلوا المحبة الله وحده، وفي خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشية لله مع أنهم لم يعبدوهم استقلالًا بل زعموهم شفعاء لهم عند الله؛ ليقربوهم إلىٰ الله زلفىٰ، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة مِلكًا للمخلوق ويطلبونه منه، ولهذا سمىٰ الله تعالىٰ استشفاعهم ذلك شركًا كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فجمعوا في ذلك بين شركين:

الأول: عبادتهم إياهم من دون الله ﷻ.

والثاني: جعلهم شفعاء بدون إذن الله ﷻ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

المسألة التاسعة: الفرق بين مشركي زماننا، ومشركي قريش.

١- مشركو زماننا من عُبَّاد القبور وغيرها يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء بخلاف مشركي قريش، فكانوا يشركون في الرخاء دون الشدة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢- مشركو زماننا يعتقدون في معبوداتهم من صفات الربوبية، وأنهم متصرِّفون فيما لا يقدر عليه إلا الله، بخلاف مشركي قريش، فكانوا يقرون بالربوبية لله تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

المسألة العاشرة: أقسام المعبودات من دون الله تعالىٰ.

القسم الأول: معبودات عاقلة، كالآدميين، والملائكة، والجن، وهي علىٰ نوعين:

أحدهما: راضٍ بالعبادةِ له، كفرعونَ وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم، كما قال الله ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وقال تعالىٰ في شأن إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص: ٨٥].

وقال في شأن فرعونَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

والثاني: غير راضٍ بالعبادة من دون الله، كعيسىٰ ومريم وعُزَير والملائكة عليهم السلام، فهم برآء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى

وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال تعالىٰ في شأن الملائكة عَلَيهِم السَّلَامُ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١-٤١].

القسم الثاني: معبودات غير عاقلة، كالأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل، فيشملها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-٩٩].

المسألة الحادية عشرة: تعريف الشرك الأصغر، وتقرير ذلك.

الشرك الأصغر: هو كل شرك يؤدي إلىٰ الشرك الأكبر، ولا يُخرج من الدِّين، مثل الرِّياء.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**».

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»(١).

المسألة الثانية عشرة: هل الرياء، والنفاق شيء واحد؟

يُطلق الرياء علىٰ النفاق، وقد أتىٰ ذلك كثيرا في القرآن الكريم.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣٩/ ٣٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥١).

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

ولكن المراد بالنفاقِ النفاقَ العملي وليس الاعتقادي؛ لأن النفاقَ الاعتقاديَّ مخرجٌ من الدين.

المسألة الثالثة عشرة: تأثير النية علىٰ العمل.

النية لها حالان في تعيين المراد بالعمل:

الأولىٰ: إن كان الباعثُ علىٰ العمل هو إرادة الله والدار الآخرة، وسَلِمَ من الرياء في فعله، وكان موافقا للشرع، فذلك العمل الصالح المقبول.

والثانية: إن كان الباعث علىٰ العمل هو إرادة غير الله ﷻ، فذلك النفاق الأكبر.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١).

المسألة الرابعة عشرة: من أنواع الشرك الأصغر: الحلف بغير الله تعالىٰ، وقول: ما شاء الله وشئت، و: لولا الله وفلان

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٢٩)، ومسلم (١٩٠٧).

من الأدلة علىٰ أن الحلف بغير الله من الشرك الأصغر:

حديث عَبْدِ اللهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(١).

وعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّىٰ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٣).

وعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»(٤).

ومن الأدلة علىٰ أن قول: «ما شاء الله، وشئتَ» من الشرك الأصغر:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه، وَ: شَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهِ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»(٥).

والفرق بين الواو، وثم: أن العطف بالواو يقتضي المقارَنة، أما العطف بـ «**ثم**» فيقتضي الترتيب مع التراخي.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وحسنه، وأحمد (٩/ ٢٧٦)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٥٣)، وأحمد (٣٨/ ٨٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٥٢).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٥٥)، وأحمد (٣٨/ ٣٠٠)، وصححه الألباني.

ومن الأدلة علىٰ أن قول: «لولا الله وفلان» من الشرك الأصغر:

عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قَولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قَالَ: **«الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاة سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبَةٌ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَىٰ اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وشئتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ.**

لَا تَجْعَلُ فِيهَا «فَلَانَ»، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»[1].

❁ ❁ ❁

• **القضية الثانية: في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه.**

المسألة الأولىٰ: من الشرك الاعتقاد في غير الله سُبحَانَهُ وَتعَالَىٰ.

كالاعتقاد في الوَدَعَة[2]، أو الناب، أو الحلْقة، أو الخيط، أو تربة القبور.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»**[3].

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير (١/ ١٩٦).

(٢) **الودعة:** شيء أبيض يُجلب من البحر، ويُعلق في حلوق الصبيان.

(٣) **حسن:** رواه أحمد (٢٨/ ٦٢٣)، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ الحَلْقَةُ؟**».

قَالَ: هَذِهِ مِنَ الوَاهِنَةِ.

قَالَ: «**انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا**»[1]، أي مرضًا، وتعبًا.

وعن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ، أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهُ بَرِيءٌ**»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»[3].

المسألة الثانية: حكم الرقية من العين والحُمَة.

العين: تكون من الإنس.

والحُمَة: تطلق علىٰ لدغ ذوات السموم، كالحية والعقرب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**العَيْنُ حَقٌّ**»[4].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٣٣/ ٢٠٤)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧)، وأحمد (٢٨/ ٢٠٥)، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٧٢)، والنسائي (٤٠٧٩)، وأحمد (٣١/ ٨١)، وصححه الألباني.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

المسألة الثالثة: مشروعية الرقىٰ الشرعية.

من الأدلة علىٰ مشروعية الرقية الشرعية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ[1]، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟

فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً -أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟-.

قَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ.

قُلْنَا: لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّىٰ نَأْتِيَ -أَوْ نَسْأَلَ- النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»[2].

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ، فَقَالَ: «**اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**»[3].

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»[4].

المسألة الرابعة: شروط الرقىٰ الشرعية، ومتىٰ تصير شركية؟

الرُّقىٰ لا تجوزُ إلا باجتماعِ ثلاثةِ شروطٍ، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعيةً، وإن اختلَّ منها شرطُ لم تكن شرعية:

---

(١) **نفرنا غيب**: أي رجالنا غائبون.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٠).

الشرط الأول: أن تكون من الكتاب والسنة، فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغةِ العربيةِ، محفوظة ألفاظها، مفهومة معانيها، فلا يجوز تغييرها إلىٰ لسان آخر.

الشرط الثالث: أن يُعتقد أنها سبب من الأسباب، لا تأثير لها إلا بإذن الله ﷻ، فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي سبب، والله هو المسبِّب إذا شاء.

فائدة: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان ﷺ يرقي نفسه، وغيره، ولا يطلب من أحد أن يرقيه».

المسألة الخامسة: حقيقة تعليق التمائم إذا كانت من القرآن.

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في حكم تعليق التمائم إذا كانت من القرآن علىٰ قولين:

القول الأول: الجواز.

القائلون به: عائشة ﵂، وأبو جعفر محمد بن علي، وغيرهما.

القول الثاني: لا يجوز.

القائلون به: عبد الله بن عُكيم، وعبد الله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن مسعود ﵃، والأسود، وعلقمة، وإبراهيم النَّخَعي.

والصواب عدم جواز تعليق القرآن؛ لعدة أمور:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصِّصَ للعموم.

فعن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ**(١) **شِرْكٌ**(٢)».

---

(١) **التولة**: نوع من السحر يحبب المرأة إلىٰ زوجها.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وصححه الألباني.

٢- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلىٰ تعليق ما ليس من القرآن.

٣- أنه إذا عُلِّق فلا بد أن يمتهن المعلَّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد علىٰ صفة معينة، وهي القراءة به علىٰ المريض فلا تُتجاوز.

المسألة السادسة: حكم التمائم إذا كانت من غير الكتاب والسنة.

التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

والأزلام كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم ويستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا، وهي ثلاثة قِداح، مكتوب علىٰ أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غُفَل، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضىٰ لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغُفَل أعاد استقسامه.

القضية الثالثة: حكم التبرك بالأشجار، والأحجار، واتخاذها عيدًا:

التبرك: هو طلب البركة، وهو قسمان: مشروع، وممنوع.

أما المشروع، فهو ما أذن الله فيه؛ كالتبرك بالأنبياء، والبيت الحرام، والحجر الأسود، والأيام الفاضلة.

والتبرك الممنوع، هو ما لم يأذن الله به؛ وهو من أعمال المشركين؛ كالتبرك بالأشجار، والأحجار، واتخاذها عيدًا.

والدليل علىٰ ذلك حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا

أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[١].

ومن صور التبرك الممنوع:

العكوف عند قبور الموتىٰ، والتمسح بالصالحين، وأخذ ريقهم، وشد الرحال إلىٰ أضرحة الصالحين، والطواف عندها، والذبح لها، والصلاة عندها، ونحو ذلك، وسيأتي تفصيل لذلك فيما بعد.

القضية الرابعة: أحكام الزيارة.

أقسام زيارة القبور:

تنقسم زيارة القبور ثلاثة أقسام:

القسم الأول: زيارة شرعية: صفتها:

١- أن ينوي الزائر الاتعاظ بأهل القبور، وتذكر الآخرة.

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**»[٢].

٢- أن يسلِّم علىٰ الأموات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَىٰ الْمَقْبَرَةِ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح.
(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٠٥٤)، وقال: حسن صحيح.
(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٣٧)، والنسائي (١٥٠)، وابن ماجه (٤٣٠٦).

٣- ألا يشد الرحال إليها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ**»(١).

٤- ألا يقول، أو يفعل محظورًا شرعيًا عندها.

عَنِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ قَبْرًا فَلْيَزُرْ وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا**»(٢)، والهُجْر: الكلام بالباطل.

القسم الثاني: زيارة بدعية: صفتها:

أن يقصد الزائر القبر للدعاء، والتوسل به إلىٰ الله تعالىٰ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

وفي لفظ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٤).

وعن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ المُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٥).

ومن صور الزيارة البدعية أن يقول الزائر: اللهم إني أسألك بجاه هذا البيت أن تفعل لي كذا، ونحو ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٢٠٣٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٨).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢).

القسم الثالث: زيارة شركية: صفتها:

أن يقصد الزائر القبر، فيدعو صاحبه، وهذا من الشرك الأكبر المخرِج من الملة.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

❁ ❁ ❁

القضية الخامسة: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور.

فيه خمس مسائل:

المسألة الأولىٰ: حكم من أوقد سراجًا علىٰ القبر، أو بنىٰ علىٰ الضريح مسجدًا.

من أوقد سراجًا علىٰ القبر، أو بنىٰ علىٰ الضريح مسجدًا، فهو مجدِّد لسنن اليهودِ والنصارىٰ، وقد لعنَ رسولُ الله ﷺ فاعله.

فعن عَائِشَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ الله عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1]، أي يحذِّر أمته أن يصنعوا بقبره مثل ما صنعوا.

وعَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[2].

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[3].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله اليَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟**»[4]، أي فَمَن غيرهم؟

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٢).
(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن
(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٩٦٩).

المسألة الثانية: حكم رفع القبور والزيادة عليها.

لا يجوز رفع القبر أكثر من شبر، ولا يجوز البناء عليه، أو الكتابة عليه، أو تجصيصه.

فعَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَىٰ عَلَيْهِ**»(١)، زَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَىٰ: «**أَوْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ**»(٢).

المسألة الثالثة: حكم إطراء النبي ﷺ، والغلو فيه.

لا يجوز الغلو في الرسول ﷺ بالزيادة في مدحه، ونحوه.

فعَنْ عُمَرَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»(٣).

وعَنْ أَنَسٍ ﵁، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٤).

المسألة الرابعة: الواجب علينا تجاه الرسل ﵈.

انقسم الناس تجاه الرسل عَلَيهِم السَّلَامُ ثلاث طوائف:

الطائفة الأولىٰ: الغلاة: هم الذين غَالوا في حق الأنبياء والرسل عَلَيهِم السَّلَامُ، وصرفوا شيئًا من الربوبية، أو الإلهية إليهم.

الطائفة الثاني: جفاة: هم الذين فرطوا في حق الأنبياء والرسل عَلَيهِم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٢٠٢٧)، وصححه الألباني.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٤٥)، ومسلم (١٦٩١).

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٠٠٠٧).

السَّلَامُ، فأعرضوا عن شرائعهم، ونبذوها خلف ظهورهم، فلم يمتثلوا أمرها، ولم يجتنبوا نهيها.

الطائفة الثالثة: الوسطية: هم الذين توسطوا بين الغلاة، والجفاة، فأعطوا الأنبياء والرسل عليهم السلام حقوقهم من غير إفراط، ومن غير تفريط، وهم أهل السنة والجماعة.

ومما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم السلام:

١- تصديق خبرِهم.

٢- امتثال أمرهم.

٣- اجتناب نهيهم.

٤- اتباعهم علىٰ شريعتهم.

٥- محبتهم، وأتباعهم.

٦- عدم الغلو فيهم، كادِّعاء الربوبية لهم، فلم يَدَّعِ أحد منهم الربوبية، ولا دعوا إلىٰ عبادة أنفسهم، ولا ينبغي لهم ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

وقال تعالىٰ عن النبي ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

المسألة الخامسة: حكم الغلو في القبور.

لا يجوز الغلو في القبور، ولقد لعن النبي ﷺ من يفعل ذلك.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**»(١).

ومن صور الغلو في القبور:

١- رفع وتشييد القبور بالآجُرِّ، والحجارة.

٢- وضع الشموع، والمصابيح عليها.

٣- نصب الأعلام، والرايات عليها.

٤- ذبح الذبائح عندها.

٥- التماس الحاجات من أصحابها.

* * *

القضية السادسة: التبرك.

وفيها مسألتان:

المسألة الأولىٰ: التبرك المشروع.

وهو التبرك بما دل الدليل الصحيح علىٰ أنه بركة، ومن أمثلته:

١- التبرك بذات النبي ﷺ خاصة، وما انفصل منه كشعره، وقد جاءت النصوص بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان ينفث علىٰ نفسه في

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وحسنه، والنسائي (٢٠٤٣)، وحسنه الألباني.

المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها»، وقال أنس: «لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل».

٢- التبرك القولي المشروع، كالتبرك بقراءة القرآن والذكر، فقد دلت الأدلة علىٰ الفضائل والمنافع الدينية والدنيوية لمن قرأ القرآن والأذكار، وكقول النبي ﷺ عن سورة البقرة: «أخذها بركة».

٣- التبرك بالبقاع بالطريقة المشروعة، كالتبرك بالمسجد الحرام والنبوي والأقصىٰ، فكما في الأحاديث أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي النبوي بألف صلاة، وكالتبرك بسكنىٰ المدينة، وهناك بلاد مباركة كالشام، وقد دعا النبي ﷺ بالبركة للشام واليمن.

تنبيه: أمران لا بد من التنبه لهما، وهما ١- المتبرك به، ٢- طريقة التبرك به، فإذا قلنا أن المساجد الثلاثة يُتبرك بها، فلا يعني هذا أن يأتي الرجل ويتمسح بأرضها!، بل لا بد من الطريقة المشروعة، فيكون التبرك بها بالصلاة فيها، فلكل شيء مبارك طريقة شرعية للتبرك به، فالقرآن بقراءته يُتبرك وبالعمل به وتدبره وسماعه، والمساجد بالصلاة فيها، وبعض البقاع بسكناها والموت فيها -كالمدينة-، فمتىٰ خالف الطريقة المشروعة كان ذلك بدعة.

٤- التبرك ببعض المجالس، كمجالس الصالحين العامرة بالذكر، فكما في الحديث القدسي: «هم الجلساء لا يشقىٰ بهم جليسهم».

٥- التبرك بشرب وأكل ما دل الدليل علىٰ بركته، كماء زمزم وزيت الزيتون وغير ذلك مما دل عليه الدليل، ففي الحديث عن ماء زمزم: «إنها مباركة» وقال تعالىٰ عن شجرة الزيتون: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ وفي الحديث: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه شجرة مباركة».

٦- التبرك ببعض الأزمان والأوقات الفاضلة، كشهر رمضان والعشر الأواخر منه وليلة القدر، والعشر الأوائل من ذي الحجة، والأشهر الحرم، وثلث الليل الآخر، وعاشوراء وغير ذلك، ويكون التبرك بالطريقة الشرعية، فمثلًا يتبرك بعاشوراء بصومه لا بالضرب والنياحة كما تفعل الرافضة.

٧- التبرك ببعض الأحوال والهيئات، كأن يكون العبد ساجدًا، أو صائمًا أو مظلومًا أو مسافرًا، أو إمامًا عادلًا، ونحو ذلك، فيتبرك بالطريقة المشروعة، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وفي الحديث: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب عزَّ وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين». وفي حديث آخر: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد علىٰ ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم».

٨- التبرك بالعبادات القلبية والعملية، فإن لها بركة عظيمة منها أن العلم يتبارك، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾، وتزيد التثبيت قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾، وقد جاء في تفسير قول الله عن قول عيسىٰ عليه السلام «وجعلني مباركًا أينما كنت» أن بركته في نفع الغير وتعليم الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المسألة الثانية: التبرك الممنوع.

وهو علىٰ نوعين: شركي وبدعي

أولًا: التبرك الشركي: ما يقع فيه صاحبه في الشرك الأكبر، ومن أمثلته:

١- أن يعتقد أن هذا المتبرك به يهب البركة بنفسه فيبارك في الأشياء استقلالًا، فهذا شرك أكبر.

٢- أن يطلب منه الخير والنماء فيما لا يقدر عليه إلا الله أو أن يعتقد هذا فيه، فالله وحده سبحانه هو موجد البركة وواهبها فاعتقاد أن غيره يبارك استقلالًا أو يطلبها من غيره شرك أكبر، وفي الحديث: «البركة من الله».

ثانيًا: التبرك البدعي: وهو التبرك بما لم يدل عليه الدليل المعتبر، ومن أمثلته:

١- التبرك بذوات الصالحين وما انفصل منها، كالتمسح بهم وبملابسهم، كما تفعل الصوفية والرافضة، فإن هذا لا دليل عليه، وهو خاص بالنبي ﷺ، لذا لم يتبرك الصحابة بأبي بكر رضي الله عنه.

٢- التبرك ببعض الأزمان بصيامها أو فعل عمل معين فيها، ولم يدل الدليل علىٰ ذلك، كالاحتفال بالمولد النبوي وما يقع فيه، وكما يفعل الرافضة في عاشوراء، ونحو ذلك، فالصحابة والسلف لم يفعلوا ذلك ولا دليل عليه، وفي الحديث: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

٣- التبرك ببعض البقاع بلا دليل، كالتبرك بالأماكن التي مر بها النبي ﷺ، وقد جاء عن عمر رضي الله عنه: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا، من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل وإلا فليمض» وكذا أمر رضي الله عنه بقطع شجرة بيعة الرضوان، ومن أمثلة ذلك أيضًا التبرك بالعبادات التي لم تشرع عند القبور والتمسح بالقبور، وبالآثار والأشجار ونحو ذلك مما هو بدعة لا أصل لها.

٤- التبرك ببعض الأحوال والهيئات والأفعال البدعية التي يظنها الجهلة عبادة ولم يدل الدليل علىٰ التبرك بها، كأحوال الصوفية، وهيئة الاجتماع عند الذكر أو الرقص وغير ذلك.

٥- التبرك بما دل الدليل علىٰ أنه بركة، لكن بطريقة غير مشروعة، فمثلًا: دل الدليل علىٰ أن المساجد الثلاثة بركة، ولكن طريقة التبرك بها هو بالصلاة والذكر والاعتكاف ونحو ذلك، فمن تمسح بها، فهو مبتدع، وكذا زيارة القبور الشرعية يكون بالسلام عليها ودفن الموتىٰ فيها والدعاء لهم بالرحمة، لا بالتمسح بها والصلاة فيها ونحو ذلك.

❁ ❁ ❁

القضية السابعة: التوسل.

وفيها مسألتان:

المسألة الأولىٰ: تعريفه.

لغة: التقرب للشيء بالشيء.

اصطلاحًا: له إطلاقان، عام وخاص.

العام: مطلق التقرب إلىٰ المطلوب بما يحب.

الخاص: ذكر الداعي في دعائه، ما يرجو أن يكون سببًا في قبول دعائه، أو أن يطلب من غيره الدعاء له.

المسألة الثانية: أقسامه وأحكامه.

الأول: التوسل المشروع، وهو التقرب إلىٰ الله بما يحبه وشرعه، ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

وهو أنواع، منها:

١- التوسل بالله ﷻ؛ بذاته المقدسة، أو بأسمائه الحسنىٰ، أو صفاته العلىٰ، أو أفعاله، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

٢- التوسل بالأعمال الصالحة. ودليل ذلك من كتاب الله، ومن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وما جاء في السنة: قصة النفر الثلاثة الذين توسلوا بأعمالهم الصالحة؛ من بر الوالدين، وترك الفواحش، وأداء الحقوق، وقال كل واحد منهم في آخر الدعاء: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه» فاستجاب الله ﷻ لهم.

٣- التوسل بطلب الدعاء من الصالح الحي الحاضر، ودليل ذلك قوله ﷻ حكاية عن أبناء يعقوب ﷺ: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾، وكذا طلب عمر من العباس أن يدعو الله أن يسقيهم.

٤- التوسل إلىٰ الله بذكر الداعي لحاله وضعفه، ودليله ما أخبر الله تعالىٰ عن عبده زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾، وقول أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

الثاني: التوسل الممنوع

لما كان الدعاء عبادة توقيفية لم يجز أن يطلب قبوله بما لم يدل عليه الدليل، فلا ابتداع، وكل تقرب إلىٰ الله بما لم يشرع فهو بدعة ممنوعة، فالتوسل إليه سبحانه بما لم يشرع من البدع، والتوسل الممنوع منه ما يصل للشرك الأكبر ومنه ما دون ذلك، ومن أنواعه:

١- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالأعمال الشركية والبدعية، وبالمنكرات، كالتوسل إلىٰ الله بالدعاء عند قبر الولي، أو بالشرك الأكبر كدعاء الغائبين والموتىٰ.

٢- التوسل إلىٰ الله بذات أو جاه نبي أو صالح أو حقه، كأن يقول: اللهم بنبيك اغفر لي، أو بحق نبيك ارزقني، أو بجاه نبيك اشفني، فهذا توسل ممنوع، للأمور التالية:

أ- أنه لا دليل علىٰ ذلك، والصحابة والسلف لم يفعلوا ذلك، فلم يتوسلوا بذات النبي ﷺ، ومن باب أولىٰ غيره من الصالحين، بل جاء عن الصحابة ما هو خلاف ذلك، ففي عهد عمر، قدم عمر العباس رضي الله عنه ليدعو الله لهم، وقال: «اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قم يا عباس فادع الله»، فدل كلامه أنهم ما توسلوا بالنبي ﷺ إلا التوسل المشروع في حياته، لا الممنوع بعد وفاته، فدل ذلك علىٰ أن هذا الفعل لا دليل عليه وهو خلاف فعل السلف.

ب- أن قرب الأنبياء والصالحين إلىٰ الله لا ينفع غيرهم إلا باتباع أثرهم، لذا قال النبي ﷺ لابنته فاطمة: «لا أغني عنك من الله شيئًا» وقال تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

ج- أنه لا مناسبة بين ذات النبي والصالح وجاههما وبين استجابة دعاء الداعي، فكأن الداعي يقول: اللهم لأن عبد فلان صالح ويعبدك فاغفر لي أنا!، فأي علاقة بين هذا وهذا وأي مناسبة؟!

د- أنه لا حق لأحد علىٰ الله إلا ما أوجبه علىٰ نفسه، فالله أوجب علىٰ نفسه إثابة الطائعين ونصرة المتقين، وليس مما أوجبه الله علىٰ نفسه إجابة دعوة من يذكر ذات وجاه ذلك الصالح!

٣- من أنواع التوسل الممنوع، الإقسام علىٰ الله بالمتوسل به، وهذا يدخل في الحلف بغير الله، وقد جاء في الحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

القضية الثامنة: التطير.

وفيها ست مسائل:

المسألة الأولىٰ: تعريف التطير.

لغة: أصله مأخوذ من الطير، لأنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون علىٰ الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأىٰ الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهما يهيج الطير ليطير، فيعتمدها؛ فجاء الشرع بالنهي عن ذلك.

اصطلاحًا: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

بمرئي: مثل لو رأىٰ طيرًا يساره فتشاءم، أو مسموع: مثل من هم بأمر فسمع رجلًا يقول: خسارة، فتشاءم، أو معلوم: كالتشاؤم ببعض الأيام.

المسألة الثانية: حكم التطير.

التطير ينافي التوحيد من وجوه، منها:

١- من جهة الإلهية بنقص التوكل علىٰ الله.

٢- من جهة الربوبية بأنه يجعل ما ليس بسبب سببًا، أو اعتقد تأثيره من دون الله.

وهذه المنافاة قد تكون منافاة لكمال التوحيد الواجب، وقد يذهب معها التوحيد فتكون منافية كلية، وذلك يختلف باختلاف حال المتطير، فهو علىٰ حالين:

١- أن يعتقد أن لا يعتقد أن هذا الطير مؤثر من دون الله، بل يعتقد أنه سبب ونحوه، فهذا شرك أصغر.

٢- أن يعتقد أنه مؤثر من دون الله، فهذا شرك أكبر.

الدليل: قال ﷺ: «لا عدوىٰ ولا طيرة»، وقال: «لا طيرة وخيرها الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قالك «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»، وقال: «الطيرة شرك».

المسألة الثالثة: ما الفرق بين الطيرة والفأل؟

الجواب: الطيرة سوء ظن بالله ﷻ، وصرف شيء من حقوقه ﷻ لغيره، وتعلق للقلوب بمخلوق لا ينفع ولا يضر. والفأل حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، والرسول ﷺ «إنما كان يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به ﷻ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالىٰ علىٰ كل حال، ولا يعني التفاؤل أن يجعل ما ليس بسبب سببًا، بل هو حسن ظن بالله واستبشار بفضله.

المسألة الرابعة: ما ضابط الطيرة المنهي عنها؟

الجواب: يقع المكلف في الطيرة المحرمة إن ردته عن الذي عزم عليه، أو إن بقي قلبه خائف قلقًا منها.

فالطيرة هي ما أنقصت التوكل، أو أمضتك أو ردتك، كما في الحديث: «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه؛ فلا يصدنكم» وفي حديث آخر: «من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك».

أما إن وقع التشاؤم ابتداء ثم دفعه مباشرة، ومضىٰ متوكلًا علىٰ الله فلا إثم عليه، لما جاء في الحديث الموقوف: «الطيرة شرك، وما منا وإلا ولكن الله يذهبه بالتوكل» وقول (وما منا وإلا..) من مدرجات الصحابي.

المسألة الخامسة: كفارة الطيرة وطرق صرفها.

إن وقعت الطيرة في القلب، فكفارتها المبادرة بنفيها، والتوكل علىٰ الله بأن يعلم أن الأمور كلها بيده سبحانه، وأن هذا التطير هو وسواس في النفس لا أثر له، ثم يذكر ما ورد في نفي التطير:

١- قال رسول الله ﷺ: «من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك»، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

٢- قال ﷺ: «فإذا رأىٰ أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

المسألة السادسة: من أمثلة التطير.

التشاؤم من بعض الأيام والشهور، والتطير بحركة العين: كأن يقال: إذا رفت اليسر فخير وإن رفت اليمنىٰ فشر، ولا خير ولا شر في هذا، التشاؤم ببعض الملابس، أو جعل بعضها جالبًا للحظ أو للتعاسة، ما يفعله أحدهم بالمصحف، كأن يفتحه ثم ينظر لأول آية تقع عليها عينه، فيتطير، كذا ما يفعله بعضهم بالأرقام أو الصور ونحوها.

❁ ❁ ❁

القضية التاسعة: السحر والتنجيم والكهانة.

فيه أربعَ عشرةَ مسألة:

المسألة الأولىٰ: السحر حق، وله تأثير.

السحر متحقِّقٌ وجوده ووقوعه، وقد أخبر الله تعالىٰ أنه كان موجودًا في زمن فرعون، فقال الله تعالىٰ: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

والسحر يؤثِّر في الأبدان بالمرض والقتل، والأبصار بالتخييل، ولكن بقضاء الله، وقدرته الكونية لا الشرعية.

ومن أمثلة سحر الأبدان: سحر لَبيدِ بنِ الأَعْصَم اليهودي للنبيِّ ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّي إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي، دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟**».

قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «**جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ**(١)**، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ**».

فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ البِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «**وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟

قَالَ: «**لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا**»، وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ(٢).

---

(١) مطبوب: أي مسحور.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: كل ما جاء في الروايات من أنه يُخيَّل إليه فِعلُ شيء لم يفعله ونحوه فمحمولٌ علىٰ التخيُّل بالبصر لا لخلل تطرَّق إلىٰ العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسًا علىٰ الرسالة، ولا طعنا لأهل الضلالة[(١)].

ومن أمثلة سحر الأبصار: سحر قوم فرعون.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

فقال: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، ولم يقل: سحروا الناس، فدل علىٰ أن السحر بالتخييل.

قال ابن هُبيرَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمعوا[(٢)] علىٰ أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عندي»

ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر[(٣)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: عندنا أن السحر حقٌ، وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء، خلافًا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفَراييني حيث قالوا: إنه تمويهٌ، وتخييل[(٤)].

المسألة الثانية: حكم الساحر.

الساحر كافر سواء تعلم السحرَ، أو لم يتعلمه.

الدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا

(١) **انظر**: «شرح صحيح مسلم»، للنووي (٤/ ١٧٥).
(٢) **أجمعوا**: أي الأئمة الأربعة.
(٣) **انظر**: «إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم»، لابن هبيرة (٢/ ٣٢٥).
(٤) **انظر**: «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٢/ ٤٦).

كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢-١٠٣].

الشاهد من هاتين الآيتين من وجوه:

الوجه الأول: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾، أي ما تتقوله، وتزوِّره الشياطين في مُلك وعهد سليمان عليه السلام، وتركوا ما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ رسوله ﷺ، فهذا من عبادة الطاغوت، وقد سمىٰ الله تعالىٰ طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله عبادة، فقال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، قالَ عَدِيُّ بنُ حَاتِم رضي الله عنه حِينَ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يتلُوهَا: إنَّا لَسنَا نعبدُهُم، قَالَ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»(١)، فإذا كان هذا في طاعة الأحبار والرهبان، فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي؟!

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني.

الوجه الثاني: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ برأ الله ﷻ نبيه عليه السلام من الكفر، وهذا الكفر الذي برأه تعالىٰ منه هو عِلم الساحر وعَمَله، وإن كان بريئًا من الكفر كله معصومًا مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوصِ السحر، وأنه بريء منه.

الوجه الثالث: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، أكذب الله تعالىٰ اليهود فيما نسبوه إلىٰ نبيه سليمان عليه السلام بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر؛ لأن السحر كفر؛ ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، وكذلك كل من تعلم السحر، أو علَّمه أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس، إذا لا فرقَ بينه وبينهم.

الوجه الرابع: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، يعني من أراد أن يتعلم السحر فلا بدَّ أنْ يكفُر.

الوجه الخامس: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، يعني: من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفىٰ بدخول الجنة خَلَاقًا، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ.

الوجه السادس: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]، يعني لو آمنوا بمحمد ﷺ والقرآن، واتقوا السحر وسائر الذنوب، وهذا من أصرح الأدلة علىٰ كفر الساحر، ونفي الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن، واتقىٰ.

المسألة الثالثة: حد الساحر.

حد الساحر ضربُه بالسيف.

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ بَجَالَةَ، يَقُولُ: كَتَبَ عُمَرُ ﵁: «**أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ**»، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ(١).

المسألة الرابعة: حكم من تعلم السحر.

اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر، ويستعمله علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: يكفر.

القائلون به: أبو حنيفة، ومالك، وأحمد.

القول الثاني: إن تعلمه؛ ليتقيه أو ليتجنَّبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقدًا جوازه، أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

القائلون به: بعض أصحاب أبي حنيفة.

القول الثالث: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلىٰ الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

القائلون به: الشافعي.

والصحيح أن السحر يكون شركًا إذا كان بواسطة الشياطين؛ يعبدهم، ويتقرب إليهم؛ ليسلطهم علىٰ المسحور، ويكون عدوانًا، وفسقًا إذا كان بالأدوية، والعقاقير(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه الشافعي، ص(٣٨٣)، وأبو داود (٣٠٤٣)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد»، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٤٨٩).

المسألة الخامسة: هل يقتل الساحر بمجرد فعله واستعماله؟

اختلف العلماء فيمن تعلم السحر هل يقتل بمجرد استعماله علىٰ قولين:

القول الأول: يُقتل.

القائلون به: مالك، وأحمد.

القول الثاني: لا يُقتل.

القائلون به: الشافعي، وأبو حنيفة.

واختلف العلماء فيمن قَتل بسحره إنسانًا علىٰ قولين:

القول الأول: يُقتل.

القائلون به: مالك، والشافعي، وأحمد.

القول الثاني: لا يُقتل حتىٰ يتكرر منه ذلك، أو يقر بذلك في حق شخص معين.

القائلون به: أبو حنيفة.

والصحيح أنه يجب قتل السحرة، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل؛ لأنهم يمرضون ويقتلون، ويفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك بالعكس؛ فقد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء، ويتوصلون إلىٰ أغراضهم؛ فإن بعضهم قد يسحر أحدًا؛ ليعطفه إليه وينال مأربه منه، كما لو سحر امرأة ليبغي بها، ولأنهم كانوا يسعون في الأرض فسادًا؛ فكان واجبًا علىٰ ولي الأمر قتلهم بدون استتابة ما دام أنه لدفع ضررهم وفظاعة أمرهم، فإن الحد لا يستتاب صاحبه، متىٰ قبض عليه وجب أن ينفذ فيه الحد(١).

---

(١) **انظر:** «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٥٠٩).

المسألة السادسة: هل تُقبل توبة الساحر؟

اختلف العلماء في توبة الساحر علىٰ قولين:

القول الأول: لا تُقبل.

القائلون به: مالك، وأبو حنيفة، والمشهور عن أحمد.

القول الثاني: تُقبل توبته.

القائلون به: الشافعي، ورواية عن أحمد.

والصحيح أنه لا تقبل توبته؛ لأنه يُقتل حدًّا، وليس قصاصًا، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة ﵃ أنه استتاب ساحرًا، ولأن السحر معنىٰ في قلبه، ولا يزول بالتوبة، فيُشبه من لم يتب.

المسألة السابعة: حكم ساحر أهل الكتاب.

اختلف العلماء في حكم ساحر أهل الكتاب علىٰ قولين:

القول الأول: يقتل.

القائلون به: أبو حنيفة.

القول الثاني: لا يقتل.

القائلون به: مالك، وأحمد، والشافعي.

الصحيح أنه لا يُقتل لسحره إلا أن يُقتل به -وهو مما يقتل به غالبًا- فيقتل قصاصًا؛ لأن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ فلم يقتله، ولأن الشرك أعظم من سحره، ولا يقتل به، والأخبار وردت في ساحر المسلمين؛ لأنه يكفر بسحره، وهذا كافر أصلي[(١)].

---

(١) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

المسألة الثامنة: حكم الساحرة المسلمة.

اختلف العلماء في حكم الساحرة المسلمة علىٰ قولين:

القول الأول: لا تقتل، ولكن تُحبس.

القائلون به: أبو حنيفة.

القول الثاني: حكمها حكم الرجل.

القائلون به: مالك، والشافعي، وأحمد.

والصحيح أن الساحرة المسلمة تعامل معاملة الرجل؛ لعموم الأخبار الواردة في قتل الساحر، فهي تشمل الرجل، والمرأة، وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا أنها قتلت جارية سحرتها(١).

المسألة التاسعة: حكم التنجيم.

التنجيم: هو الاستدلال بحركة النجوم علىٰ الحوادث الأرضية، وهو نوع من السحر.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**»(٢)، أي كلما زاد في تعلم السحر زاد في الإثم.

والتنجيم أنواع بعضها أعظم من بعض، ومنه:

١- ما يفعله عبدة النجوم، ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتًا لأجلها، وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها

---

(١) **انظر:** «المغني»، لابن قدامة (١٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢/ ٤٨٠)، وصححه الألباني.

مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل، وغيرها، وهذا أعظم أنواع التنجيم.

٢- ما يفعله من يكتب حروف «**أبي جاد**»، ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا، ويجري علىٰ ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها.

٣- النظر في حركات الأفلاك، ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفردًا، وله تأثيرات أُخَرَ عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار، ورخصها، وهبوب الرياح، وسكونها، ووقوع الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقًا، ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء.

٤- النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته، وأن في تلك سعودًا، أو نحوسًا، وتأليفًا وتفريقًا، وغير ذلك.

فائدة: لماذا خلقت النجوم؟

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال:

١- جعلها زينة للسماء.

٢- جعلها يهتدىٰ بها.

٣- جعلها رجومًا للشياطين.

فمن تعاطىٰ فيها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به.

المسألة العاشرة: من السحر زجر الطير، والخط في الأرض، والعقد والنفث فيه.

عَنْ قَبِيصَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**العِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، وَالطَّرْقُ مِنَ الجِبْتِ**»(١).

العِيَافَةُ: الزَّجْرُ. **الطَّرْقُ**: الخَطُّ.

قالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**الجِبتُ هو السِّحرُ**».

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

المسألة الحادية عشرة: إن من البيان لسحرًا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»(٢).

والبيان قسمان:

القسم الأول: بيان مذموم، وهو ما يكون لنصرة الباطل، أو المفاخرة والخصومات بالباطل، ونحوها.

القسم الثاني: بيان محمود، وهو ما يكون لنصرة الحق.

المسألة الثانية عشرة: حكم حل السحر.

حل السحر له حالان:

الحال الأولىٰ: حَل السحر بالرقىٰ والتعاويذ من الكتاب والسنة، وهذا جائز، فقد ثبت أن جبريل عليه السلام، وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا رقيًا النبيَّ ﷺ بالمعوذَتين.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٤٣)، وصححه الألباني.
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٤٦)، ومسلم (٨٦٩).

الحال الثانية: حَل السحر بسحر مثله، وهذا محرم؛ لأنه معاونة للساحر، وإقرار له علىٰ عمله، وتقرب إلىٰ الشيطان بأنواع القُرَب؛ ليبطل عمله عن المسحور.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يحلُّ السحرَ إلا ساحرٌ.

المسألة الثالثة عشرة: حكم الكاهن.

الكاهن: هو من يستعين بالشياطين لمعرفة المغيبات، وهو يكفر بذلك؛ لأسباب:

١- كونه وليًا للشيطان؛ لأن الشيطان لم يوحِ إليه إلا بعد أن تولاه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]. والشيطان لا يتولىٰ إلا الكفار، ويتولونه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي نور الإيمان والهدىٰ، ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾، أي ظلمات الكفر والضلالة.

٣- قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٩].

٤- تسميته طاغوتًا في قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠]، نزلت في المتحاكِمينَ إلىٰ كاهن جُهَينة.

٥- قوله ﷻ: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، أي بالطاغوت.

٦- تشبهه بالله ﷻ في صفاته، ومنازعته له تعالىٰ في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالىٰ بها دون من سواه، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٧- أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله عليهم السلام.

٨- النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول، فكيف به هو نفسه فيما ادعاه؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**»(١).

وعن بعضِ أزوَاجِ النَّبيِّ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا**(٢) **فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٣) (٤).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وصححه الألباني.

(٢) **العراف**: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها علىٰ المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجِّم والرمال ونحوهم ممن يتكلمون في معرفة الأمور بتلك الطرق، فكل من تكلم في معرفة الأمور المغيبة الماضية، أو المستقبلة بتلك الطرق -طريق التنجيم، أو الخط في الرَّمل، أو بالوَدَع، ونحو ذلك من الأساليب، أو بالخشبة المكتوب عليها أبي جاد، ونحو ذلك من قراءة الفنجان، أو قراءة الكف، وكل من يخبر عن الأمور المغيبة بشيء يجعله وسيلة لمعرفة الأمور المغيبة- يسمىٰ كاهنًا، ويسمىٰ عرافًا؛ لأنه لا يحصل له أمره إلا بنوع من أنواع الكهانة

(٣) **المقصود من قوله**: «**لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»: أنها تقع مجزئة لا يجب عليه قضاؤها، ولكن لا ثواب له فيها؛ لأن الذنب والإثم الذي اقترفه حين أتىٰ العراف فسأله عن شيء يقابل ثواب الصلاة أربعين يومًا، فأسقط هذا هذا.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٩٥٩).

وعَنْ عِمرانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه مَرفُوعًا: «**لَيسَ منَّا منْ تَطيَّرَ أو تُطِيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أَو سُحِرَ لهُ، ومن أتىٰ كاهنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فقدْ كَفَرَ بِما أُنْزِل علىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**»(١).

المسألة الرابعة عشرة: حكم تصديق الكاهن.

من أتىٰ الكاهن فسأله عن شيء، فصدقه بما يقول كفر كفرًا أصغر، ولم تقبل له صلاة أربعين يومًا؛ لأن تصديقه فيه شبهة، وهي أن الكاهن يخبر بالأمور المغيبة فيما صدق فيه عن طريق استراق الجن للسمع، وقد يأتي الآتي إلىٰ الكاهن ويقول: أنا أصدِّقه فيما أخبر من الغيب؛ لأنه قد جاءه علم ذلك الغيب من السماء عن طريق الجن، وهذه الشبهة تمنع من تكفير من صدق الكاهن الكفر الأكبر.

۞ ۞ ۞

---

(١) **صحيح**: «مسند البزار» (٩/ ٥٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧): «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٢٨).

أبرز شبهات المخالفين في توحيد الإلهية والرد عليها

الشبهة الأولىٰ: الاحتجاج بفعل الآباء، فيقول المشرك: هذا ما كان عليه الناس، وورثناه خلفًا عن سلف.

الجواب: أن هذه حجة المشركين الأوائل التي أبطلها الله، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، وحجتهم هذه حجة فرعونية، فقد قال فرعون لموسىٰ لما دعاه للتوحيد: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقال قوم صالح لصالح: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

الشبهة الثانية: قولهم: أن من قال (لا إله إلا الله) فلا يجوز تكفيره وإن دعا غير الله وذبح له.

الجواب: تقدم أن من شروط لا إله إلا الله الانقياد والقبول والإخلاص، فلابد من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها - كما تقدمت أدلة تلك الشروط-، ولذا قال ﷺ: «من قال لا إله إلا وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» وهؤلاء لم يكفروا بما يعبد من دون الله، لذا أجمع أهل العلم علىٰ كفر المنافق الناطق للشهادة بفمه معتقدًا خلافها، وأجمع الصحابة علىٰ كفر أهل الردة وحرب أبي بكر لهم مع أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، وأجمعت الأمة علىٰ كفر من سب الله ورسوله وإن كان يقول لا إله إلا الله.

الشبهة الثالثة: قولهم: ندعو الأولياء ولا نعتقد فيهم الربوبية، بل نريد أن يشفعوا لنا عند الله، لأنهم أهل صلاح.

الجواب: أن هذا هو عين شرك المشركين الأوائل الذين كفرهم الله تعالىٰ، فهم زعموا أنهم يشركون للشفاعة، وهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ولكنهم برروا شركهم بإرادة الشفاعة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وقال عن المشركين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

والشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله ورضاه قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ والله لا يرضىٰ الكفر، فلا شفاعة مع الشرك، لذا الشفاعة لا تطلب من الموتىٰ بل من الله، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾.

الشبهة الرابعة: ظنهم أن الشرك مخصوص بعبادة الأوثان بخلاف دعاء الصالحين.

الجواب: أن الله أخبر أن هناك من أشرك بعبادة الصالحين، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾، وقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قد جاء أن اللات وكان رجل يلت السويق للحجاج فغلوا فيه حتىٰ عبدوه، وكذا جاء عن ابن عباس أن قوم نوح كان شركهم في الغلو بالصالحين، فمن عبد غير الله صالحًا كان أو لا فهو مشرك.

الشبهة الخامسة: زعمهم أن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم ليس عبادة لهم، وليس شركًا، بل هو استشفاع وطلب وسيلة.

الجواب: أن الدعاء عبادة من أعظم العبادة، قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، وسمي الله تعالىٰ الدعاء عبادة فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، فدلت الأدلة الصريحة أن دعاء المشركين للأولياء من العبادة، وكل من عبد غير الله تعالىٰ فهو مشرك، لذا أمر الله تعالىٰ بإخلاص الدعاء له فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال في وصف المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

الشبهة السادسة: زعمهم أن هذه الأمة لا يقع فيها الشرك، واستدلوا بقول النبي ﷺ: «**إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**».

الجواب:

١- أن النبي ﷺ أخبر بوقوع الشرك في هذه الأمة فقال: «لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة» وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة، وقال: «لا تقوم الساعة حتىٰ تلحق قبائل من أمتي بالمشركين فتعبد الأوثان»، والوثن اسم جامع لكل ما يعبد من دون الله وليس خاصًا بالأصنام، لذا قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد» وقد أجمع الصحابة علىٰ وقوع الردة في جزيرة العرب وقامت حروب الردة، ولم يقولوا أن الردة لا تقع في هذه الأمة! وقد أشرك أهل الكتاب والنبي ﷺ أخبر أن كثير هذه الأمة سيتبع سننهم.

٢- استدلالهم بالحديث علىٰ عدم وقوع الردة باطل من وجوه منها:

أ- ما تقدم من إخبار النبي ﷺ من وقوعها، ومن فعل الصحابة في حروب الردة.

ب- أن المراد الإخبار عن ظن الشيطان وقت عز الإسلام، ولا يلزم أن يكون ظن الشيطان صحيحًا، فلا يعلم الغيب إلا الله، ويحتمل أن يكون المراد هو إياسه من إطباق الأمة علىٰ الشرك.

الشبهة السابعة: ظنهم أن الشرك لا يكون إلا في الربوبية، فمن عبد غير الله تعالىٰ دون أن يعتقد فيه الربوبية فليس مشركًا.

الجواب: أن الكفر والشرك أنواع، إذا وقع المكلف في واحدة منها كان مشركًا كافرًا، ولو لم يقع في الأخرىٰ، ألا ترىٰ أن من سب النبي ﷺ يصبح كافرًا ولو لم يعتقد فيه الربوبية، وكذلك الشرك في العبادة يخرج صاحبه من الملة، ولو لم يعتقد ربوبية من عبد وقد تقدم أن معنىٰ لا إله إلا الله هو: لا معبود بحق إلا الله، فمن ترك مقتضاها كان تاركًا للتوحيد.

وتقدم معك أن الله بعث الرسل لتوحيد العبادة، وأن المشركين الأولين كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق ولكنهم عبدوا الصالحين بزعم أنهم يشفعون لهم عند الله، لا أنهم اعتقدوا أنهم يخلقون من دون الله ويرزقون من دون الله، وقد جاء عن ابن عباس تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قوله: «من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ من خلق الجبال؟ قالوا الله وهم مشركون» وعن عكرمة قال: «تسألهم من خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره» وجاء نحوه عن غيرهم من السلف كمجاهد، فإقرارهم بالربوبية لله لم ينفعهم لما عبدوا

غيره، فلا فرق بين الربوبية والألوهية، فكلها من خصائص الله، فمن عبد غير الله كان مشركًا، كمن تعتقد أن غير الله يخلق، إذ الشرك أن تجعل ما لا يكون إلا لله لغيره، فمن عبد غير الله كان كذلك.

الشبهة الثامنة: قولهم: أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون الشهادتين، ويكذبون الرسول ولا يقرون بالبعث، ويكذبون القرآن، ونحن بخلاف ذلك.

الجواب: أن الإجماع منعقد أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول فهو كافر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾، ألا ترىٰ أن من استهزأ بالنبي ﷺ يكفر ولو كان قصده اللعب ولو كان يشهد بالشهادتين وغيرها من أمور الإسلام، وأن من زعم أن الزنا حلال كفر، ومن أنكر وجوب الصلاة كفر، ولو كان يشهد الشهادتين ويؤمن بالبعث وغيرها، وأن الصحابة قاتلوا مانعي الزكاة من أهل الردة مع أنهم كانوا يشهدون بالشهادتين والبعث وغيرها، ولكن لما منعوا الزكاة وقاتلوا عليها كفروا، فكيف بمن ترك معنىٰ لا إله إلا الله والعمل به وهو أعظم الفرائض؟!

ألا ترىٰ أن المرء قد يكفر بكلمة بعد إسلامه مع أنه يشهد بالشهادتين ويصلي وغير ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ وقال عن الذين استهزأوا بالدين ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ مع أنهم زعموا أنهم كانوا يلعبون فقط، فالشرك أعظم النواهي من فعله خرج من الملة، سواء نطق بالشهادتين وأقر بالبعث والنبوة أم لا.

كما أن من فعل الشرك لم يكن محققًا للشهادتين، وإن نطقها بلسانه، فهو نطق شيئًا يخالفه وهذا لا ينفعه، كالمنافق.

الشبهة التاسعة: قالوا قد دلت الأدلة علىٰ جواز الاستغاثة بالصالحين والاستشفاع بهم، كما في حديث الشفاعة العظمىٰ أنهم يستشفعون بالأنبياء.

الجواب: أنه لا خلاف في جواز الاستغاثة بالحي القادر، وكذا طلب الشفاعة من الصالح الحي كأن تقول: ادع الله لي، وهو حي حاضر يسمعك، هذا جائز، وكلامنا ليس عنه، فإن هذا من طلب المخلوق ما يقدر عليه كما قال تعالىٰ عن موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾.

وإنما الشرك هو أن تدعو دعاء عبادة لغير الله، كأن تدعو غائبًا عاجزًا من المخلوقات، أو تدعو مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فإن الناس يستشفعون بالأنبياء يوم القيامة بطلبهم أن يدعو الله أن يزيل الشدة، لا أنهم يدعونهم من دون الله في إزالة الشدة، وكذا الصحابة لم يطلبوا من النبي لما كان حيًا إلا الدعاء لهم أو ما يقدر هو عليه مع توكلهم علىٰ الله، أما طلب ما لا يقدر عليه إلا الله فشرك، كذا دعاء الموتىٰ والغائبين، ولما مات النبي ﷺ، وقام الصحابة للاستسقاء في عهد عمر، قدم عمر العباس رضي الله عنه ليدعو الله لهم، وقال: «**اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قم يا عباس فادع الله**» فانظر إلىٰ الصحابة لم يتوسلوا بدعاء النبي بعد موته، بل طلبوا من العباس وكان حيًا أن يدعو لهم، وهذا توسل مشروع.

❁ ❁ ❁

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات

سبق أن ذكرنا أن التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد سبق الحديث عن النوعين الأولين، وكل نوع من هذه الأنواع جحدَه طائفةٌ من البشر:

١- **فتوحيد الربوبية**: جحدَه المعطلةُ الذين أنكروا وجودَ الله تعالىٰ؛ كالدهرية والملاحدة، ومنهم الشيوعيون في العصر الحاضر، وإن كان جحودهم له إنما هو في الظاهر مكابرةً منهم.

٢- **أما توحيد الألوهية**: فقد جحدَه أكثرُ الخلق، وهو الذي بعثَ الله تعالىٰ رسلَه وأنزلَ كتبَه بالدعوة إليه، وقد جحده المشركون قديمًا وحديثًا، وجحودُهم له يتمثل في عبادة الأشجار والأحجار والأصنام والقبور . . .

٣- **وأما توحيد الأسماء والصفات**: فقد جحده الجهميةُ ومَن تابعهم من المعتزلة وغيرهم من بعض الفرق الإسلاميةِ، علىٰ تفاوتٍ بينهم في الجحود.

وهذا القسمُ داخلٌ في توحيد الربوبية، لكن لما كثُرَ منكروه وروّجوا الشبَهَ حولَه: أُفرِدَ بالبحث، وجُعل قسمًا مستقلًا، وأُلِّفَت فيه المؤلفات الكثيرة.

والمرادُ بتوحيد الأسماء والصفات: «اعتقاد انفراد الرب بالكمال المطلق بلا شريك، بإثبات ما أثبته الأسماء والصفات علىٰ ما يليق به ﷻ

من غير تعطيل ولا تحريف ولا الشرع من تكييف ولا تمثيل، ونفي ما يخالف هذا الكمال من النقائص والعيوب».

ويكون ذلك بأصلين:

الأصل الأول: إثبات ما أثبتَه الله تعالىٰ لنفسه أو أثبتَه له رسولُه ﷺ من صفات الكمال، ونفي ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ من صفات النقص، علىٰ حدِّ قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن عبد البر: «**أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك**»[(١)].

- **ومما أثبته الله لنفسه ﷻ:**

١- صفة الوجه.

قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

٢- صفة النفس.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٣- صفة اليدين.

قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

٤- صفة العينين.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

---

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، (٧/ ١٤٥).

٥- صفة الحب.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٦- صفة الرضىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ٨].

٧- صفة السَّخط.

قال الله تعالىٰ: ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ٨٠].

٨- صفة الكُرْه.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

٩- صفة الغضب.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [النساء: ٩٣].

١٠- صفة الرحمة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

١١- صفة العزة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

١٢- صفة الانتقام.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

- **ومما أثبته له رسوله ﷺ:**

١- صفة الوجه.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»،

قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ -أَوْ: هَذَا أَيْسَرُ-»(١).

٢- صفة اليد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»، وَقَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(٢).

٣- صفة المحبة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»(٣).

٤- صفة العَجَب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»(٤).

٥- صفة الضحك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ»(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٦٢٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٠١٠).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

٦- صفة الغضب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(١).

٧- صفة السَّخط.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٢).

٨- صفة البُغض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**»(٣).

٩- صفة الرضا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٤).

١٠- صفة الرحمة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»(١).

١١- صفة القَدَمِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ يُلْقَىٰ فِيهَا -أي النار- وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ(٢)، حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ**»(٣).

الأصل الثاني: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولْيُعلَم أن أسماءَ الله تعالىٰ وصفاتِه من الغيب الذي لا يَعرفه الإنسانُ علىٰ وجه التفصيل إلا بطريق السمع؛ لأن البشرَ لا يُحيطون بالله تعالىٰ علمًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، والكلامُ في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات.

فلا يمكن للعقل البشريِّ أن يستقِلَّ بالنظرِ في أسماء الله تعالىٰ وصفاتِه

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).
(٢) **تفضل**: أي تزيد، وتتسع.
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨).

ومعرفتِها علىٰ التفصيل إثباتًا ونفيًا، ومن فعل شيئًا من ذلك فقد ضلَّ عن الصراط المستقيم.

فيجبُ علىٰ العبد أن يقفَ عند كلام الله تعالىٰ وكلامِ رسوله ﷺ، فيؤمن بجميع ما ثبتَ في النصوص الشرعيةِ من أسماء الله تعالىٰ وصفاتِه، وينفي عنه تعالىٰ ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ.

وقد دلّت النصوصُ الشرعيةُ الكثيرةُ علىٰ إثبات صفاتِ الكمال لله تعالىٰ علىٰ وجه التفصيل، فيجب إثباتُها له تعالىٰ علىٰ الوجه اللائقِ بجلاله، كما دلّت النصوصُ أيضًا علىٰ نفي صفاتِ النقص عنه تعالىٰ، فيجبُ نفيُها عنه وإثبات كمال ضدها له سبحانه وتعالى، وهذا هو الحقُّ الواجبُ في أسماء الله تعالىٰ وصفاتِه علىٰ وجه الإجمال.

- **وأهل السنة والجماعة:**

لا يحددون كيفية صفات الله؛ فالله -جل وعلا- لم يخبر بالكيفية، ولأنه لا أعلم من الله بنفسه؛ سبحانه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

ولا أحد أعلم بالله بعد الله، من رسوله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

- **وأهل السنة والجماعة:**

يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى هو الأول ليس قبله شيءٌ، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ، والظاهر الذي ليس فوقه شيءٌ، والباطن الذي ليس دونه شيءٌ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وكما أن ذاته ﷻ لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؛ لأنه -جل وعلا- لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه؛ فأهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل؛ فحين يثبتون لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه لا يمثلون، وإذا نزهوه؛ لا يعطلون الصفات التي وصف نفسه بها؛ ﷻ.

ويؤمنون بأن الله ﷻ محيطٌ بكل شيء، وخالق كل شيء، ورازقٌ كل حي، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

- **وأهل السنة والجماعة:**

يؤمنون بأن الله ﷻ استوىٰ[(١)] علىٰ العرش فوق سبع سموات، كما يؤمنون بعلوه تعالىٰ، وأنه بائنٌ من خلقه؛ أحاط بكل شيء علمًا، كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز وفي سبع آيات كريمات؛ بلا تكييف، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٤][(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

---

(١) الاستواءُ علىٰ العرشِ والعلوُّ؛ صفتانِ نثبتُهما للهِ تعالىٰ إثباتًا يليقُ بجَلالهِ، وتفسيرُ كلمة «استوىٰ» عند السَّلف: «عَلا، ارتفعَ، صَعَدَ، استقرَّ» والسَّلفُ يفسِّرونها بهذه الكلماتِ، لا يتجاوزونَها ولا يزيدونَ عليها، ولم يَرِدْ في تفسير السَّلف تفسيرها بمعنىٰ: (استولَىٰ، ولا مَلَكَ، ولا قَهَرَ).

(٢) وقالَ الإمامُ إسحاقُ بنُ راهويه ﷺ في هذه: (إجماعُ أهل العلم: أَنَّهُ فوقَ العَرْشِ استوىٰ ويَعْلَمُ كُلَّ شيءٍ في أَسفلِ الأَرضِ السَّابعةِ) رواه الإمام الذهبي في «العلو للعلَىٰ الغفار».

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي! وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟**»(١).

- **وأهل السنة والجماعة:**

يؤمنون بأن العرش والكرسي حق؛ لا ريب فيهما.

وَالْعَرْشُ: هُوَ أَعْلَىٰ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَكْبَرُهَا وَأَعْظَمُهَا وَسَقْفُهَا، وَهُوَ كَالْقُبَّةِ عَلَىٰ الْعَالَمِ، لاَ يَقْدرُ قَدْرَهُ إِلاَّ اللهُ، وَهُوَ ذُو قَوَائِمَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

والكرسي: بين يدي العرش، وهو موضع القدمين للبارئ ﷻ وَالْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ؛ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاَةٍ، وَسِعَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ويؤمنون أن الله تعالىٰ مستغن عن العرش والكرسي، وهو -سبحانه- منزهٌ عن أن يحتاج إلىٰ العرش وما دونه، فشأن الله -جل وعلا- أعظم من ذلك؛ بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه، ويؤمنون أن الله تعالىٰ خلق آدم -عليه الصلاة والسلام- بيديه، وأن كلتا يديه يمين، ويداه مبسوطتان؛ ينفق كيف يشاء، كما وصف نفسه سبحانه؛ فقال تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [سورة ص: ٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) «رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) ».

- **وأهل السنة والجماعة:**

يثبتون لله - تبارك وتعالىٰ علمًا، وقدرةً، وقوةً، وعزًا، وكلامًا، وحياةً، ومحبةً، ورحمةً، ونفسًا، وغضبًا، وسخطًا، وكراهيةً، ورضا، وضحكًا، ومعيةً، وقدمًا وساقًا، ويدًا، وسمعًا، وبصرًا، ووجهًا، وعينًا، وغيرها من الصفات التي تليق بجلاله وعظمته وكماله سبحانه، والتي وصف الله ﷻ بها نفسه في كتابه العزيز، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ بكيفية يعلمها الله ولا نعلمها؛ لأنه لم يخبرنا بالكيفية، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٣].

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وغيرها من آيات الصفات.

- **وأهل السنة والجماعة:**

يؤمنون بأن أفضل وألذ نعيم يناله أهل الجنة؛ هو رؤية ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم، ويكلمونه، قال الله تعالىٰ:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وأنهم سيرونه ﷻ كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، كما أخبر النبي ﷺ بذلك،

فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١).

ويؤمنون بأن الله -تبارك وتعالىٰ- ينزل إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل؛ نزولًا يليق بجلاله وعظمته -جل وعلا- بلا كيف.

قال النبي ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءَ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(٢).

ويؤمنون بأن الله تعالىٰ يجيء يوم الميعاد والملك صفًا صفًا للفصل بين العباد وللحكم بينهم؛ مجيئًا يليق بجلاله وعظمته -جل وعلا- بلا كيف؛ كما وصف نفسه في كتابه العزيز، بقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [البقرة: ٢١٠].

- **فمنهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالله تعالىٰ يتلخص في:**

الإيمان الجازم، والإقرار الكامل، والتسليم التام؛ بما أخبر به الله تعالىٰ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ في سنته، والعمل بهما من جميع وجوههما من دون إلحاد، أو تحريف، أو تأويل، أو تعطيل، أو تكييف، ومن دون تردد، أو شك، أو ريب؛ بل إيمانٌ وتسليمٌ وعملٌ؛ **كما قال الإمام -التابعي الفقيه- محمد بن مسلم الزهري، رحمه الله تعالىٰ:**

---

(١) «البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١) ».
(٢) «البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) ».

«مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ الْبَلاَغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»(١).

وكما قال الإمام -الحافظ الحجة- سفيان بن عيينة، رَحِمَهُ اللهُ:

«كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي القُرآنِ؛ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيْرُه، لاَ كَيْفَ، وَلاَ مِثْلَ»(٢).

وَكَمَا قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«آمَنْتُ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ»(٣).

وقال -إمام دار الهجرة- مالك بن أنس، رحمه الله تعالىٰ:

«إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ!» قِيل: وما البدع؟ قال، رَحِمَهُ اللهُ: «أهل البدع؛ هم الذين يتكلمون في أسماء الله، وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان»(٤).

وسأل رجل الإمام مالكًا رَحِمَهُ اللهُ **عن قول الله تبارك وتعالىٰ:**

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوىٰ؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ! وما أراك إلا ضالا!». وأمر به؛ أن يخرج من المجلس!(٥) (٦).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي: ج٥، ص٣٣٧.

(٢) رواه الإمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» ج٤، ص٤٧٨.

(٣) انظر: «لُمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد» للإمام ابن قدامة المقدسي.

(٤) أخرجه الإمام البغوي في «شرح السُّنَّة» ج١، ص٢١٧.

(٥) رواه الإمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» ج٣، ص٤٤٠.

(٦) الكيف مجهول؛ لا يعلمه إلاَّ الله. والإيمان به واجب؛ لثبوت الأَدلة. والسؤال عنه بدعة؛ لأَنَّ كيفية الاستواء لا يعلمها إلاَّ الله، والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يسأَلوا الرسول ﷺ عن الكيفية.

وقال الإمام أبو حنيفة، رحمه الله تعالىٰ:

«لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء؛ بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا؛ تبارك الله رب العالمين»(١).

وقال: «من أنكر أن الله ﷻ في السماء؛ فقد كفر»(٢).

ولما سئل عن صفة النزول، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينزل بلا كيف»(٣).

وقال الوليد بن مسلم القرشي: سألت الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس؛ عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقالوا:

«أمروها كما جاءت؛ بلا كيف»(٤) (٥).

وقال -الإمام الحافظ- نعيم بن حماد الخزاعي، رحمه الله تعالىٰ:

«من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا»(٦).

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام ابن أَبي العز الحنفي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أَخرجه الإِمام الذهبي في «العُلو للعليِّ الغفار» ج٢، ص٤٢٧.

(٣) «عقيدة السَّلف أَصحاب الحديث» الإِمام الصابوني.

(٤) أَخرجه الإِمام البغوي في «شرح السُّنَّة» واللالكائي في «أُصول الاعتقاد».

(٥) قولُ الأَئمَّةِ، رحمهم الله: **(أَمرُّوها كما جاءَتْ!)** فيه رَدٌّ علىٰ المعطِّلَةِ، وقولهم: «بلا كيف!» رَدٌّ علىٰ الممثِّلَةِ. ومعنىٰ كلامهم: إثبات معانيها اللائقة بالله -تبارك وتعالىٰ- كما وردت في نصوص الوحيين، أَي: لا يُسأَل عن الكيفية لعدم العلم بها؛ بل تُمَرَّ كما جاءت، وهكذا القول في بقية الصِّفات، وليس معناها إِثباتَّها بدونِ معرفةِ معناها؛ فهذا مذهبُ المفوِّضَةِ والمعطِّلَةِ، وفيه اتهام للرسول ﷺ وأَصحابه؛ أَنَّهم كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمونه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ معناه مفهوم، وهو إثبات السمع والبصر لله تعالىٰ، ولكنْ دونَ تكييف؛ لقصور العقول عن إِدراك بعض المحسوسات! فكيف تُدرِكُ من لا تُدرِكه الأَبصار؟

(٦) رواه الإِمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» ج٤، ص٥٨٧.

وقال بعض أئمة السلف، رحمهم الله تعالىٰ:

«قدم الإسلام لا تثبت إلا علىٰ قنطرة التسليم»(١).

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي، رحمه الله تعالىٰ:

«وعلىٰ هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون علىٰ الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الإمام البغوي في «شرح السُّنَّة» ج١، ص١٧١.

(٢) انظر: «لُمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد» للإمام ابن قدامة المقدسي.

أقسام الصفات

يمكن تقسيم صفات الله بعدة اعتبارات علىٰ النحو التالي:

(١) أقسام صفات الله باعتبار الثبوت وعدمه.

وهي نوعان:

١- **صفات ثبوتية**: وهي التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ، **كالحياة والعلم والوجه والنزول والاستواء وغيرها من الصفات، وكلها صفات مدح وكمال، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وهذا النوع يجب إثباتها له سبحانه.**

٢- **صفات سلبية**: وهي التي نفاها الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، **كالموت، والنوم، والظلم، وكلها صفات نقص، والواجب في هذا النوع نفي النقص مع إثبات كمال الضد، فقوله تعالىٰ:** ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، **فيجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه.**

(٢) أقسام صفات الله باعتبار أدلة ثبوتها.

وهي نوعان:

١- **صفات خبرية**: وهي الصفات التي لا سبيل إلىٰ إثباتها إلا بالسمع والخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ، وتسمىٰ (صفات سمعية أو نقلية)، وقد تكون ذاتية، **كالوجه، واليدين، وقد تكون فعلية، كالفرح، والضحك.**

٢- **صفات سمعية عقلية**: وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي) والدليل العقلي، وقد تكون ذاتية، **كالحياة والعلم، والقدرة، وقد تكون فعلية، كالخلق، والإعطاء**.

(٣) أقسام صفات الله باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله

وهي ثلاثة أنواع:

١- **صفات ذاتية**: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها، فهي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، **كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين ونحو ذلك، ويسمىٰ هذا النوع (الصفات اللازمة لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها)**.

٢- **صفات فعلية**: وهي التي تتعلق بمشيئة الله، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة، **كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والغضب، والفرح، والضحك، وتسمىٰ (الصفات الاختيارية)**.

وضابط الصفات الفعلية: أنها تقيد بالمشيئة، تقول: يرحم إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ويكتب إذا شاء، بخلاف الصفات الذاتية، فلا تقول: يقدر إذا شاء، ويعلم إذا شاء، بل هو سبحانه عليم وقدير في جميع الأحوال.

٣- **صفات ذاتية فعلية باعتبارين: باعتبار أصل الصفة ذاتي، وباعتبار آحاد الفعل فعلي**، كصفةِ كلامِه تعالىٰ؛ فإنّ الكلامَ باعتبار أصلِه ونوعِه صفةٌ ذاتيةٌ؛ لأن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزالُ متصفًا بصفة الكلام، أمّا باعتبار آحاد الكلام وأفرادِه فصفةٌ فعلية؛ لأنّ الكلام يتعلق بمشيئتِه تعالىٰ، فالله سبحانه

يُكلِّمُ مَن شاءَ متىٰ شاء كيف شاء، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].

(٤) أقسام صفات الله باعتبار الجلال والجمال

وهي نوعان:

١- **صفات الجمال**: وهي الصفات التي تبعث في القلب محبة الخالق والرغبة فيما عنده ﷻ، ومن ذلك صفة الرحمة، والمغفرة، والرأفة.

٢- **صفات الجلال**: وهي الصفات التي تبعث في القلب مخافة الله جل وعلا وتعظيمه، ومن ذلك صفة القوة، والقدرة، والقهر.

❁ ❁ ❁

طريقةُ أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاتِه

أولًا: طريقتُهم في الإثبات.

طريقتُهم في الإثبات: إثباتُ ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريف(١) . . . .

(١) **التحريف**: هو تغيير النص لفظًا، أو معنىٰ، وهو قسمان:
١- **تحريف لفظي**: يكون بالزيادة في الكلمة، أو النقص، أو تغيير حركة في الكلمة.
مثل تحريف كلمة استوىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، إلىٰ استولىٰ.
وتحريف حركة الضم في لفظ الجلالة «**الله**» إلىٰ الفتح، في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].
٢- **تحريف معنوي**: يكون بتفسير اللفظ علىٰ غير مراد الله ورسوله ﷺ منه، كمن فسر «اليد» لله تعالىٰ بالقوة أو النعمة، فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع، ولا اللغة.
والتعطيل: هو نفي صفات الله تعالىٰ كمن زعم أن الله تعالىٰ لا يتصف بصفةٍ.
والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التحريف نفي المعنىٰ الصحيح الذي دلت عليه النصوص، واستبداله بمعنىٰ آخر غير صحيح.
أما التعطيل فهو نفي المعنىٰ الصحيح من غير استبدال له بمعنىٰ آخر.
● **أمثلة علىٰ التحريف.**
١- تحريف النفس بالغَير.
كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].
قالوا: أي غيره.
٢- تحريف الوجه بالثواب.
كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]. =

ولا تعطيل(١)، ومن غير تكييف(٢)، ولا تمثيل(٣)، فيؤمنون بأن جميع ما

= قالوا: أي ثوابه.
٣- تحريف اليد بالقدرة أو النعمة.
كما في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].
قالوا: أي بنعمته.
٤- تحريف الاستواء بالاستيلاء.
كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].
قالوا: أي استولىٰ.
أجيب عن هذا كله بثلاثة وجوه:
الأول: أن قولهم هذا يخالف إجماع السلف.
والثاني: أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
والثالث: أن قولهم يخالف طريقة السلف التي هي الإثبات، والتنزيه.

(١) التعطيل معناه: إنكارُ ما يجبُ لله تعالىٰ من الأسماء والصفات، أو إنكارُ بعضها، فهو نوعان:
تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماءَ والصفات.
تعطيل جزئي: كتعطيل المعتزلة الذين ينكرون الصفات دون الأسماء، وكتعطيل بعض الفرق الكلاميةِ الذين ينكرون بعضَ الصفات ويؤولونها، ويثبتون بعضَ الصفات.

(٢) **والتكييف**: تعيين وحكاية كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون: كيفية يده كذا وكذا، وكيفية استوائه علىٰ هيئة كذا وكذا، وكقول القائل: كيفيّةُ يد الله تعالىٰ كذا وكذا، وكيفيّةُ نزوله تعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا كذا وكذا . . . وقد يُقيّد أو يقرن هذه الكيفيّةَ بمماثلٍ فيقول مثلًا: نزولُ الله تعالىٰ كيفيّتُه: كنزول المطر، تعالىٰ الله عن ذلك، فيجمع بين التكييف والتمثيل.
فإن هذا باطل؛ إذ لا يَعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده، وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك، ويعجزون عن إدراكه.
قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٣) **والتمثيل**: هو التشبيه كمن يقول: الله سمع كسمعنا، ووجه كوجوهنا تعالىٰ الله عن ذلك، ومن العلماء من يرىٰ أن التمثيل أعم، فالتمثيل يقتضي المشابهة في كل الوجوه، =

ثبتَ في النصوص الشرعيةِ من صفات الله تعالىٰ: أنها صفاتٌ حقيقيةٌ تليق بجلال الله تعالىٰ، وأنها لا تماثلُ صفاتِ المخلوقين.

ويؤمنون كذلك بجميع أسماء الله تعالىٰ الثابتة في النصوص الشرعية، ويؤمنون بأن كل اسمٍ يتضمن صفةً لله تعالىٰ، فالاسم «العزيز» يتضمن صفةَ العزة لله تعالىٰ، والاسم «القوي» يتضمن صفةَ القوة له سبحانه، وهكذا بقية الأسماء.

وكلُّ ما ثبتَ لله تعالىٰ من الصفات فهي صفاتُ كمال يُحمد عليها، ويُثنىٰ بها عليه، وليس فيها نقصٌ بوجه من الوجوه، بل هي ثابتة له علىٰ أكمل وجه.

فمعنىٰ قول (من غير تعطيل) أي من غير إبطال معانيها وترك إثباتها، **ومعنىٰ قول (لا تحريف)** أي من غير تغيير المراد منها، وصرف معانيها إلىٰ معاني أخرىٰ.

ومعنىٰ قول (لا تكييف) أي: أننا نجهل كيفية صفات الله، فالنفي هنا هو نفي علمنا بالكيف، لا نفي وجوده، فالله أعلم بكيفية صفاته؛ لذا قال مالك (الكيف مجهول) ولم يقل معدوم، وقال أحمد: «ينزل كيف شاء»، فلصفات الله كيفية لا نعلمها الله يعلمها.

ومعنىٰ قول (لا تمثيل) أي لا نقول: يد كيد، وسمع كسمع، فلا نجعل صفات الله مماثلة لصفات خلقه، ولا يعني نفي التمثيل نفي الصفات أو معانيها، فإن هذا لا تعرفه العرب، فالاشتراك في إثبات الصفة

= والتشبيه يقتضي المشابهة من بعض الوجوه، فالتمثيل: إثباتُ مثيلٍ للشيء، كأن يقول: يدُ الله تعالىٰ مثل يد الإنسان، تعالىٰ الله عن ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

لا يقتضي التمثيل، لذا العرب تثبت للنملة ساق، وللفيل ساق، ولا تقول: ساق النملة كساق الفيل!، فإذا كان الاشتراك في الصفة بين المخلوقات لا يقتضي التمثيل، فالاشتراك في المعنىٰ العام للصفة لا يقتضي تمثيل الله بصفات المخلوقين من باب أولىٰ، لذا السلف جعلوا التمثيل قول: يد كيد، وسمع كسمع، ولم يجعلوا إثبات السمع لله واليد تمثيلًا، إنما يكون تمثيلًا إذا قيل: يد الله كيد كذا -والعياذ بالله-، جاء ذلك عن أحمد وإسحاق وأبي زرعة.

• أنواع أدلة توحيد الأسماء والصفات:

١- **النقل**، فمن الكتاب قوله تعالىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وقوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وغير ذلك من الآيات الذاكرة لأسماء الله وصفاته.

ومن **السنة** قول النبي ﷺ (**إن الله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**)، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك.

وأما الإجماع فكل الطوائف متفقة علىٰ أن: (الله تعالىٰ متفرد بالكمال المطلق) لكن من ضلّ منها أخطأ في مفهوم الكمال، فظن أن نفي الصفات هو الكمال، وإلا فالقول بأن الله تعالىٰ متفرد بالكمال المطلق، متفق عليه.

٢- العقل، والعقل يدل علىٰ تفرد الله بالكمال في أسمائه وصفاته من وجوه كثيرة، منها:

أولًا: الله هو الأول، وإليه يرجع إيجاد كل الموجودات الحادثة، وهذا يلزم ألا يكون مفتقرًا إلىٰ غيره -كما تقدم- فثبت له الكمال المطلق، وتصور الكمال المطلق يتضمن التفرد، فلا يمكن أن يكون الكمال مطلقًا إلا مع التفرد، فمثلًا الكمال في صفة الملك والرزق والخلق والإرادة وغيرها

ينافيه وقوع الشركة فلا يتصور كمال الملك المطلق إلا مع التفرد فيه، فالاشتراك في الملك ليس كمالًا مطلقًا بالاتفاق.

ثانيا: دلالة أفعال الله ومخلوقاته علىٰ كماله، فقد تقدمت دلائل أن الله هو الخالق ﷻ، فإذا نظرت إلىٰ إيجاد هذا الخلق وآثار أفعال الله وما فيها من الإتقان علمت أنه خالق عالم قدير مريد حكيم وهذه صفات لا تكون إلا مع صفة الحياة، وإذا وجدت هذه الصفات علىٰ الكمال استلزم ذلك سائر الكمالات.

قال ابن القيم: «وخلقه -تعالىٰ- لهم متضمن لكمال قدرته وإرادته وعلمه وحكمته وحياته، وذلك يستلزم لسائر صفات كماله ونعوت جلاله، فتضمن ذلك إثبات صفاته وأفعاله ووحدانيته في صفاته».

ثالثًا: دلالة الأولوية، المسمىٰ (قياس الأولىٰ) وهو المذكور في قوله تعالىٰ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وهذا يدل علىٰ تفرد الله تعالىٰ بالكمال من وجوه منها: أن الكمال ثابت للمخلوقات فالله أولىٰ به؛ لأن معطي الكمال أولىٰ به؛ لذا ذم الله قوم عاد لما استكبروا بقوتهم، ونسوا أن من خلقهم أولىٰ منهم بالقوة، فقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

٣- الفطرة، فالعباد مفطورون علىٰ اعتقاد كمال الله تعالىٰ، وتنزهه عن النقصان؛ لذا جاءت الرسل بتذكير أقوامهم بالفطرة، فأنكرت عبادتهم لناقص الصفات، كما قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾.

اعلم -وفقك الله- أن العقل والفطرة يدلان علىٰ أن الله الكمال المطلق، ويدلان علىٰ بعض الصفات -كالعلو العلم والقدرة- ولكنهما لا يدلان علىٰ كل صفة من صفات الكمال، وذلك لعجزهما عن معرفة تفاصيل كثير من الكمالات، فهما يدلان علىٰ الكمال إجمالًا، وعلىٰ كثير من تفاصيله لا علىٰ جميعها؛ لذا تجد أن بعض أهل العلم يقسم الصفات إلىٰ:

(١) عقلية و(٢) سمعية، ويقصد أن العقلية دل عليها السمع والعقل، والسمعية هي التي لولا السمع ما عرفها العقل.

ثانيًا: طريقتُهم في النفي.

طريقتُهم في النفي: نفيُ ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ من صفات النقص، مع اعتقادهم ثبوتَ كمال ضد الصفة المنفيّةِ عن الله جلَّ وعلا.

وكلُّ ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه فهي صفاتُ نقص، تنافي كمالَه الواجب، فجميعُ صفات النقص ممتنعةٌ علىٰ الله تعالىٰ لوجوب كماله.

وما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه: فالمرادُ به انتفاءُ تلك الصفة المنفيةِ وإثباتُ كمال ضدها، وذلك أن النفيَ لا يدل علىٰ الكمال إلا إذا كان متضمِّنًا لصفةٍ ثبوتيةٍ يُحمد عليها؛ فإن مجرد النفي قد يكون سببُه العَجزُ فيكون نقصًا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغدرون بذمَّةٍ ... ولا يَظلمون الناسَ حَبَّةَ خردل

وقد يكون سببُه عدمُ القابلية فلا يقتضي مدحًا، كما لو قلت: الجدارُ لا يظلم.

إذا تبين هذا: فمما نفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه (الظلم)، والمرادُ به انتفاءُ الظلم عن الله تعالىٰ مع ثبوت كمال ضده له تعالىٰ، وهو (العدل)، ونفىٰ عن نفسه (اللغوب)، وهو التعبُ والإعياء، والمراد: نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده له تعالىٰ، وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه.

ثالثًا: طريقتُهم فيما لم يَرِد نفيُه ولا إثباتُه في الكتاب والسنة:

طريقتُهم فيما هذا سبيلُه مما تنازع الناسُ فيه، كالجسم، والحيز، والجهة، ونحو ذلك: التوقفُ في اللفظ والاستفصالُ في المعنىٰ.

فأما اللفظ: فيتوقفون فيه فلا يُثبتونه لِعَدَم وُرُودِه، ولا ينفونه؛ لأنه قولٌ علىٰ الله بغير علم(١).

وأما معناه: فيستفصلون عنه: فإن أريد به باطلٌ يُنَزَّه الله تعالىٰ عنه: رَدُّوه، وإن أريد به حق لا يمتنعُ علىٰ الله تعالىٰ: قبلوه.

وهذه الطريقةُ هي الطريقةُ الواجبة، وهي القولُ الوسطُ بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، وقد دلَّ علىٰ وجوبها وصحتها العقلُ والسمع:

فأما العقلُ فوجهُ دلالتِه: أن تفصيلَ القول فيما يجب ويجوز ويمتنعُ علىٰ الله تعالىٰ أمرٌ لا يُدرك إلا بالسمع؛ لأنه من أمر الغيب الذي لا يُحيط به الإنسانُ علمًا، فوجبَ اتباعُ السمع في ذلك بإثبات ما أثبته، ونفيِ ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع: فمن أدلته قولُه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقولُه: ﴿لَيْسَ

(١) كلُّ ما يتعلق بصفات الله تعالىٰ لا يجوز إثباتُه ولا نفيُه إلّا بدليل، إلا إذا كان فيه نقص، فَيُنفىٰ عنه سبحانه، كنفي الأسنان والأضراس عنه تعالىٰ؛ لأنها إنما يُحتاجُ إليها لمضغ الأكل، والله سبحانه منزَّه عن الأكل.

كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالآيةُ الأولىٰ: دلَّت علىٰ وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل؛ لأن هذه الأمور الثلاثة من الإلحاد.

والآية الثانية: دلَّت علىٰ وجوب نفيِ التمثيل مع وجوب الإثبات.

والآية الثالثة: دلَّت علىٰ وجوب نفي التكييف، وعلىٰ وجوب التوقفِ فيما لم يَرِد إثباتُه أو نفيُه.

❁ ❁ ❁

قواعد مهمة في توحيد الأسماء والصفات

هناك قواعد مهمة ونقاط رئيسة نبّه عليها العلماءُ في هذا الباب وهي باختصار:

القاعدة الأولىٰ: الأسماء والصفات توقيفية.

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلىٰ هذا فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء والصفات فوجب الوقوف علىٰ النص.

القاعدة الثانية: أسماء الله كلها حسنىٰ.

أي: بالغة في الحسن غايته، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وذلك لدلالتها علىٰ أحسن مُسمَّىٰ وأشرف مدلول؛ وهو الله ﷻ، ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

والحسنُ في أسماء الله تعالىٰ يكون باعتبار كل اسم علىٰ انفراد، ويكون باعتبار جمعه إلىٰ غيره فيحصل بجمع الاسم إلىٰ آخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: العزيز الحكيم فإن الله تعالىٰ يجمع بينهما في القرآن كثيرًا فيكون كل منهما دالًّا علىٰ الكمال الخاص الذي يقتضيه؛ وهو العزة في العزيز، والحُكم والحِكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال علىٰ كمال آخر وهو أن العزة لله تعالىٰ مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كما يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور، وكذلك حكمه تعالىٰ وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.

القاعدة الثالثة: القول في الصفات كالقول في الذات:

القولُ في الصفات كالقول في الذات يعني: من حيث الثبوت ونفيُ المماثلة وعدم العلم بالكيفية، فكما أنّ ذات الله تعالىٰ ثابتةٌ حقيقةً: كذلك صفاتُه ثابتةٌ حقيقةً، وكما أنّ ذات الله تعالىٰ لا تُماثِلُ ذوات خلقه: فكذلك صفاتُه سبحانه لا تماثلُ صفاتِ خلقه، وكما أنّ ذاته لا يمكن العلمُ بكيفيّتِها: فكذلك صفاته؛ إذ العلمُ بكيفيَّةِ الصفات فرعٌ عن العلم بكيفيَّة الذات.

فالله سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذاتٌ حقيقةً لا تماثل الذوات: فالذات متصفةٌ بصفاتٍ حقيقةً لا تماثل صفاتِ سائر الذوات.

فإذا قال القائل: كيف استوىٰ علىٰ العرش؟

قيل له -كما قال ربيعة ومالك رحمهما الله تعالىٰ-: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمانُ به واجب، والسؤالُ عنه بدعة؛ لأنه سؤالٌ عمّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربُّنا إلىٰ سماء الدنيا؟

قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيتَه.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفيةَ نزوله؛ إذ العلمُ بكيفية الصفةِ يستلزمُ العلمَ بكيفية الموصوف، وهو فرعٌ له وتابعٌ له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفيةِ سمعه وبصره وتكليمِه ونزولِه واستوائه، وأنت لا تعلم كيفيةَ ذاته؟!

وإذا كنت تقر بأنّ له ذاتًا حقيقةً، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبةٌ لصفات الكمال، لا يماثلها شيء: فسمعُه وبصرُه وكلامُه ونزولُه واستواؤه ثابتٌ في نفس الأمر، وهو متصفٌ بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمعُ المخلوقين وبصرُهم، وكلامُهم ونزولُهم واستواؤهم.

القاعدة الرابعة: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر:

بهذه القاعدة يُردُّ علىٰ الذين يُثبتون بعضَ الصفات وينفون بعضَها، كالذين يُثبتون لله تعالىٰ الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، ويجعلونها صفاتٍ حقيقية، ثم ينازعون في محبة الله تعالىٰ ورضاه، وغضبِه وكراهيتِه، ويجعلون ذلك مجازًا، أو يفسرونه بالإرادة، أو يفسرونه بالنعم والعقوبات.

فيقال لهؤلاء: لا فرق بين ما أثبتموه وما نفيتموه، بل القولُ في أحدهما كالقول في الآخر، فإن كنتم تقولون: حياتُه وعلمُه كحياة المخلوقين وعلمِهم: فيلزمُكم أن تقولوا في رضاه ومحبتِه كذلك.

وإن قلتم: له حياةٌ وعلمٌ وإرادة تليق به، ولا تشبه حياةَ المخلوقين وعلمَهم وإرادتَهم: فيلزمُكم أن تقولوا في رضاه ومحبتِه كذلك.

وإن قلتم: إن الغضبَ غليانُ دم القلبِ لطلب الانتقام؛ فكذلك يقال: الإرادةُ ميلُ النفس إلىٰ جلب مصلحةٍ أو دفع مضرة.

فإن قلتم: هذه إرادة المخلوق، قلنا: هذا غضبُ المخلوق.

وكذلك يُلزَمُ بالقولِ في كلامه، وسمعِه، وبصرِه، وعلمِه، وقدرتِه؛ فيُقال له: إن نفيتَ عن غضبِه تعالىٰ ومحبَّتِه ورضاه ونحوِ ذلك: ما هو من خصائص المخلوقين = فهذا حقٌّ، وهو -أي: ما هو من خصائص المخلوقين- منتَفٍ عن السمع، والبصرِ، والكلام، وجميعِ الصفات.

وإن قلت: إنه لا حقيقةَ للغضبِ والمحبَّةِ والرضا ونحوِه إلّا ما يختصُّ بالمخلوقين، فيجب نفيُه عنه تعالىٰ..

قيل لك: وهكذا السمعُ، والبصرُ، والكلامُ، والعلمُ، والقدرة، فيلزمُكَ نفيُها أيضًا.

فهذا المُفَرِّقُ بين بعض الصفات وبعض: يُقال له فيما نفاه كما يَقولُه هو لِمُنازِعِه فيما أثبتَه، فإذا قال المعتزِليُّ: ليس له إرادةٌ، ولا كلامٌ قائمٌ به؛ لأنّ هذه الصفاتِ لا تقومُ إلاّ بالمخلوقات: فإنه[1] يُبيِّنُ للمعتزِلي أنّ هذه الصفاتِ يتصفُ بها القديم، ولا تكون كصفاتِ المحدَثات؛ فهكذا يقولُ له المثبِتون لسائرِ الصفات، من المحبة، والرضا، ونحو ذلك.

وهذه القاعدة تتضح بالقاعدة اللاحقة.

القاعدة الخامسة: الاتفاقُ في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسَمَّيات:

إنّ الاشتراكَ في الأسماء والصفات لا يستلزمُ تماثلَ المسمَّياتِ والموصوفات، كما دلَّ علىٰ ذلك: السمعُ، والعقل، والحس.

أمّا السمع: فقد قال تعالىٰ عن نفسِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال عن الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

(١) أي: مَن يُثبت بعضَ الصفات وينفي بعضَها.

نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، ونفىٰ أن يكون السميعُ كالسميع، والبصيرُ كالبصير، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك سمّىٰ الله تعالىٰ نفسَه حيًا، حليمًا، رؤوفًا، رحيمًا، مَلِكًا، مؤمنًا، عزيزًا، جبارًا، متكبِّرًا، وسمّىٰ بعضَ عباده بتلك الأسماءِ نفسِها، ولكن ليس الحيُّ الخالقُ كالحي المخلوق، ولا العليمُ كالعليم، ولا الحليمُ كالحليم، وكذلك في بقية الأسماء.

كما أنه تعالىٰ أثبتَ لنفسِه علمًا، وللإنسانِ علمًا، فقال عن نفسِه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال عن الإنسان: ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وليس علمُ الإنسان كعلم الله تعالىٰ، فقد قال تعالىٰ عن علمه: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ [طه: ٩٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال عن علم الإنسان: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وكذلك وصفَ الله تعالىٰ نفسَه بالقوة، والإرادة، والمحبة، والرضا، والمقت، والغضب، والمناداة، والمناجاة، والتكليم، والتعليم، والاستواء، وبسط اليدين، والإعطاء، ونحو ذلك من الصفات، ووصفَ بعضَ خلقه بهذه الصفات أيضًا، ولكن ليس قوةُ الله كقوة خلقه، ولا الإرادة كالإرادة، ولا المحبة كالمحبة، ولا الرضا كالرضا، وكذلك بقية الصفات.

وأمّا الدليل العقلي: فمن المعلوم بالعقل أنّ المعانِي والأوصاف تتقيّدُ وتتميّزُ بحسب ما تُضافُ إليه، فكما أنّ الأشياءَ مختلفةٌ في ذواتها: فإنها كذلك مختلفةٌ في صفاتِها، وفي المعانِي المضافةِ إليها؛ فإنّ صفةَ كل

موصوفٍ تناسِبُه، لا يُفهَمُ منها ما يقصرُ عن موصوفِها أو يتجاوزُه، ولهذا نَصِفُ الإنسانَ باللِّين، والحديدَ المنصَهِرَ باللِّين، ونعلم أنّ اللِّينَ متفاوِتُ المعنىٰ بحسب ما أضيفَ إليه.

وأمّا الحس: فإننا نشاهِدُ للفيل جسمًا، وقَدَمًا، وقوةً، وللبعوضةِ كذلك جسمًا، وقدَمًا، وقوةً، ونعلم الفرقَ بين جسميهما، وقدَميهما، وقوتَيهما.

فإذا عُلِمَ أنّ الاشتراكَ في الاسمِ والصفةِ في المخلوقات لا يستلزمُ التماثلَ في الحقيقة، مع كون كلٍّ منهما مخلوقًا ممكِنًا: فانتفاءُ التلازُمِ في ذلك بين الخالِقِ والمخلوقِ أولىٰ وأجلىٰ، بل التماثلُ في ذلك بين الخالِقِ والمخلوقِ ممتنِعٌ غايةَ الامتناع(١).

وهذه القاعدة تتضح بالقاعدتَين السابقتَين.

وقد ضربَ العلماء مَثَلَين مهمين لبيان هذه القاعدة -وهي: أنّ القدرَ المشتركَ بين الأسماء والصفاتِ لا يستلزمُ التشبيه- وهما:

المثالُ الأول: نعيم الجنة:

قد أخبر الله تعالىٰ أنّ في الجنةِ طعامًا، وشرابًا، ولباسًا، وزوجاتٍ، ومساكن، ونخلًا، ورمانًا، وفاكهةً، ولحمًا، وخمرًا، ولبنًا، وعسلًا، وغير ذلك، وكلُّه حق علىٰ حقيقتِه، وهو في الاسم موافقٌ لِمَا في الدنيا من حيث المعنىٰ، لكنه مخالِفٌ له في الحقيقة:

أمّا موافقتُه لِمَا في الدنيا في المعنىٰ: فلأنّ الله تعالىٰ قال عن القرآن الكريم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، ولولا موافقتُه له في المعنىٰ: ما فهمناه ولا عقلناه.

(١) انظر: (تقريب التدمرية) للشيخ ابن عثيمين -ضمن فتاواه- (٤/ ١١٧-١١٨).

وأمّا مخالفتُه له في الحقيقة: فلقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقولِه ﷻ في الحديث القدسي: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطَرَ علىٰ قلب بشر**»(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**ليس في الدنيا مما في الجنةِ إلاّ الأسماء**»(٢).

فإذا كانت هذه الأسماءُ دالةً علىٰ مسمّياتِها حقيقةً، وكان اتفاقُها مع ما في الدنيا من الأسماء لا يستلزمُ اتفاقَ المسمَّياتِ في الحقيقة، بل بينهما من التبايُنِ ما لا يعلمه إلاّ الله تعالىٰ: فإنّ مباينةَ الخالقِ للمخلوقِ أعظمُ وأظهرُ من مباينة المخلوقِ للمخلوق؛ لأنّ التبايُنَ بين المخلوقات تبايُنٌ بين مخلوقٍ ومخلوقٍ مثلِه، فإذا ظهرَ التبايُنُ بين المخلوقات: كان ما بينها وبين الخالق أظهرُ وأولىٰ.

المَثَلُ الثانِي: الروح التي فينا، والتي بها الحياة، وهي أقربُ شيءٍ إلىٰ الإنسان، بل هي قوام الإنسان، وقد وُصِفت في النصوص بأنها تَعرُجُ وتَصعَد من سماء إلىٰ سماء، وأنها تُقبَضُ من البدن، وتُسَلُّ منه كما تسَلُّ الشعرةُ من العجين، كما في روح المؤمن، أما روحُ الكافر: فتُنزَعُ من بدنه كما يُنتَزَعُ السفودُ من الصوف المبلول(٣)، ولا يُنكِرُ أحدٌ وجودَها حقيقةً،

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاريُّ (ح/ ٣٢٤٤)، ومسلم (ح/ ٢٨٢٤/ ٢-٤).

(٢) أخرجَه ابنُ جرير في تفسيره (١/ ٤١٦) في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، وكذلك ابنُ أبِي حاتم في تفسيره (١/ ٦٦- برقم/ ٢٦٠)، والبيهقي في (البعث والنشور) (٣٦٨) وغيرُهم، وصححه الشيخ الألبانِيُّ في (الصحيحة) (٥/ ٢١٩- ٢٢٠ - برقم/ ٢١٨٨).

(٣) كما وردَ في حديث البراء بن عازبٍ رضي الله عنه الطويل، وسيأتي في الباب الخامس.

وقد عجَزَ الناسُ عن إدراكِ كنهها وحقيقتها إلاّ ما علموه عن طريق الوحي، واضطربوا فيها -فلاسفةً، ومتكلمين، وغيرهم- اضطرابًا كثيرًا، لكونهم لا يُشاهدون لها نظيرًا.

فإذا كانت الروحُ حقيقة، واتصافُها بما وُصِفَت به في الكتاب والسنة حقيقة، مع أنها لا تماثِلُ الأجسامَ المشهودة: كان اتصافُ الخالق بما يستحقُّه من صفات الكمال -مع مبايَنَتِه للمخلوقات- من باب أولىٰ، وكان عَجزُ أهل العقولِ عن أن يحدّوا الله تعالىٰ أو يُكيِّفوه أبينَ من عَجزِهم عن حدِّ الروح وتكييفِها.

وإذا كان مَن نفىٰ صفاتِ الروح جاحدًا معطِّلًا، ومَن مَثَّلَها بما يُشاهد من المخلوقاتِ جاهلًا بها ممثلًا: فالخالقُ سبحانه أولىٰ أن يكون مَن نفىٰ صفاتِه جاحدًا معطِّلًا، ومَن قاسَه بخلقه جاهلًا به ممثلًا[١].

---

(١) انظر: (مجموع الفتاوى) (٤/ ١٤١-١٤٤).

ثمرات الإيمان بالله وتوحيده

نشير هنا إلىٰ جملة من الفوائد والثمرات التي يجنيها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن ذلك:

١- تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته ألوهيته.

٢- الخوف من الله سبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبدُ بربه أعرفَ كان إليه أقربَ، ومنه أخشىٰ، ولعبادته أطلب، وعن معصيته ومخالفته أبعد.

٣- أن العبد ينال بذلك طمأنينة القلب، وراحة النفس، وأنس الخاطر، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

٤- أن نيل ثواب الآخرة متوقف علىٰ الإيمان بالله وصحته.

٥- الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل تُرد علىٰ صاحبها وإن كثرت وتنوعت.

٦- الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه علىٰ التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي المواعظ النافعة والعبر المؤثرة، ويوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلىٰ الخيرات ومجانبة المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، والآداب النافعة.

٧- أن الإيمان بالله ملجأ المؤمنين في كل ما يلم لهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم وملجؤهم إلىٰ الإيمان بالله وحده.

٨- أن معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب، إذ إن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جبلت علىٰ حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال لطاعته وعبادته وترك مخالفته.

٩- العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالىٰ بتصريف شئون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له.

١٠- إحصاء الأسماء الحسنىٰ والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالىٰ أو أمرًا، وهي إما علم بما كَوَّنَهُ، وإما علم بما شَرَعَهُ، ومصدرُه الخلق والأمر عن أسمائه الحسنىٰ وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضىٰ بمقتضيه، فمن أحصىٰ أسماء الله كما ينبغي للمخلوق أحصىٰ جميع العلوم.

۞ ۞ ۞

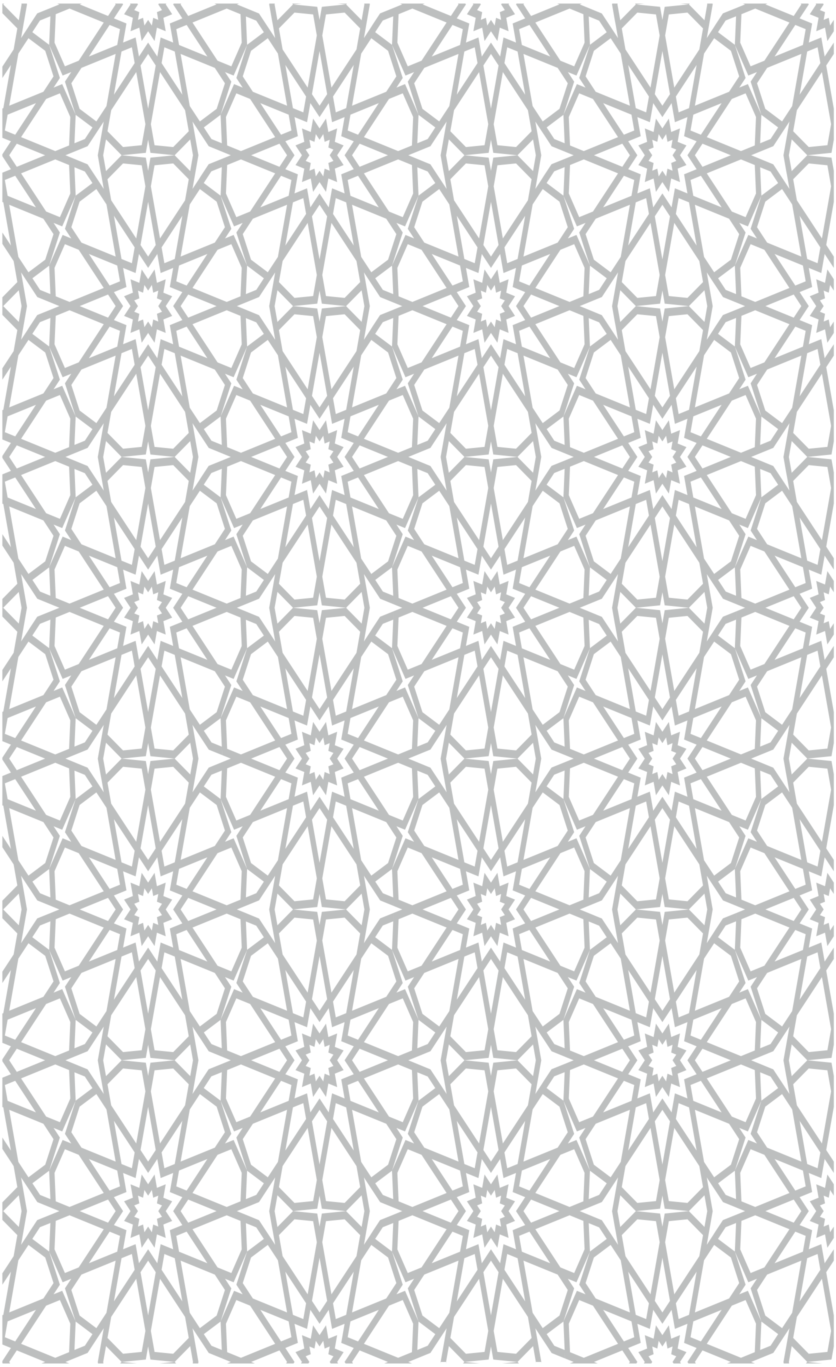

الفصل الثاني

بقية أركان الإيمان

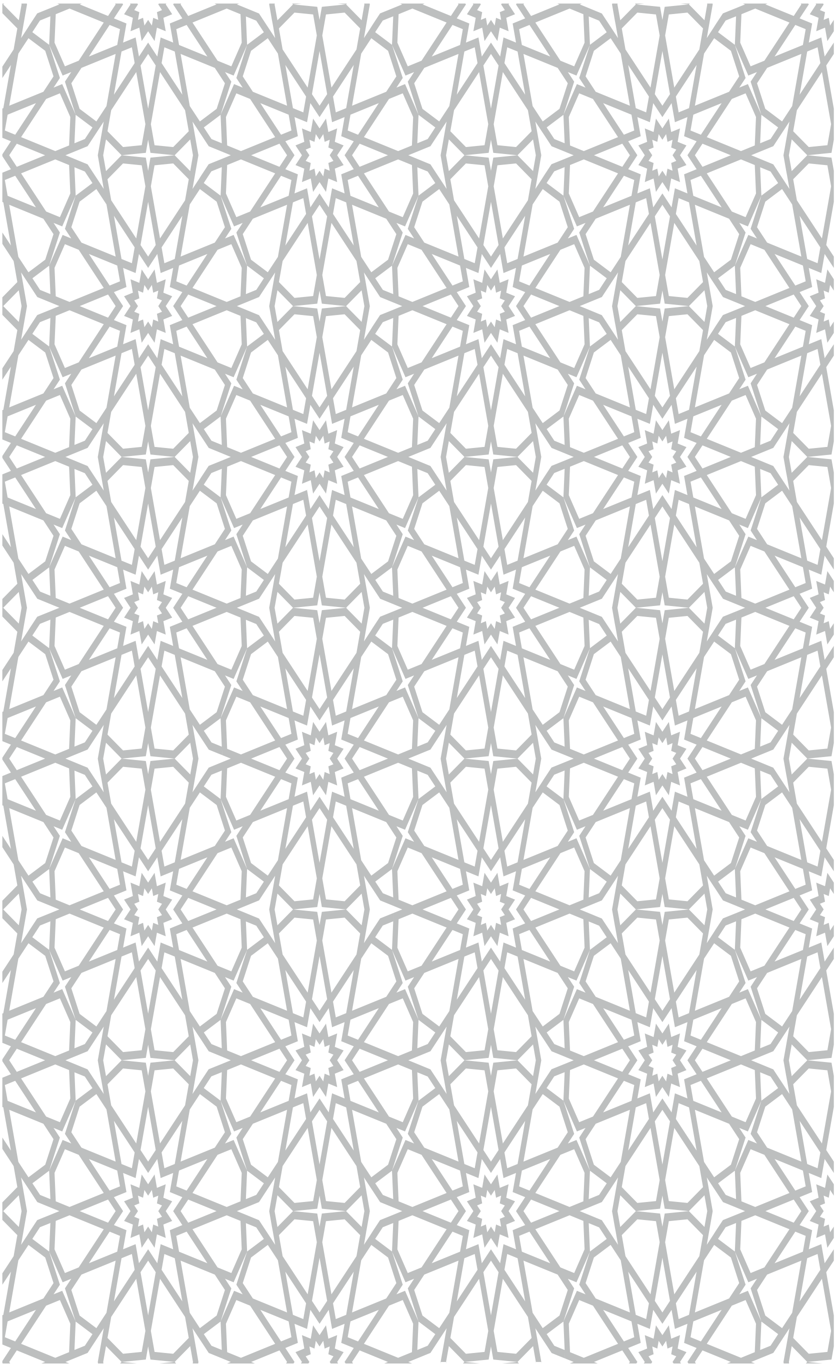

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

• **المسألة الأولىٰ: تعريف الملائكة، وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم.**

تعريفهم: الملائكة: جمع مَلك. أخذ من (الأَلُوكِة) وهي الرسالة.

وهم خَلْقٌ من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة علىٰ التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوىٰ عظيمة.

ولا يعلم عددهم إلا الله، اصطفاهم الله لعبادته والقيام بأمره، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خِلقتهم: المادة التي خلق الله منها الملائكة هي النور.

صفاتهم: قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها، فمن ذلك: أنهم موصوفون بالقوة والشدة، وموصوفون بعظم الأجسام والخلق، ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا علىٰ درجة واحدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح.

• **ومن صفاتهم أيضًا الحُسن والجمال فهم علىٰ درجة عالية من ذلك.**

وهم كرام أبرار، ومن صفاتهم الحياء والعلم إلىٰ غير ذلك مما ثبت

في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة علىٰ علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

• **خصائصهم**: للملائكة خصائص وصفات قدِ اختصهم الله بها عن الجن والإنس، فمنها:

١- أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلىٰ الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شئونهم.

٢- وأنهم لا يوصفون بالأنوثة.

٣- لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طَبَعَهُم الله علىٰ طاعته، والقيام بأمره.

٤- لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون.

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن.

وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكوينهم عن الإنس والجن، كما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر، والله أعلم.

• **المسألة الثانية: منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته.**

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به، وقد نص الله علىٰ ذلك في كتابه، وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب قال ﷺ: «**الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ باللَّه وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ**

الآخرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خيرهِ وشره»(١)، فالحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، وهو المقصود هنا.

• **وأما كيفية الإيمان بالملائكة**: فيتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها:

١- الإقرار بوجودهم والتصديق بهم.

٢- الإيمان بأنهم خَلْقٌ كثيرٌ جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالىٰ.

٣- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده.

٤- اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله، وأن أفضل الملائكة هم المقربون مع حملة العرش، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل: **«اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»**(٢).

وأفضل الثلاثة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الموكل بالوحي.

٥- موالاتهم والحذر من عداوتهم، لشرفهم، فوجبت موالاة الملائكة علىٰ المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم، وقد حذر الله تعالىٰ من عداوة الملائكة فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٨]، فأخبر أن عداوة الملائكة موجِبَةٌ لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عاداهم فقد عادىٰ ربه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «صحيح مسلم» برقم: (٧٧٠).

٦- الاعتقاد بأن الملائكة خَلْقٌ من خَلْقِ الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالىٰ هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك.

٧- الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة علىٰ وجه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت، وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم.

وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة، كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلىٰ آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

- **المسألة الثالثة: وظائف الملائكة.**

هم جند من جنود الله، أسند الله إليهم كثيرًا من الأعمال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة علىٰ تأديتها علىٰ أكمل وجه.

فمنهم الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام، ومنهم الموكل بالصُّور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين، وهو أحد حملة العرش.

والصُّور قَرْنٌ عَظِيمٌ ينفخ فيه إسرافيلُ ثلاثَ نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت، ولملك الموت أعوان من الملائكة يأتون العبد بحسب عمله، فإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة، ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، ومنهم الموكل بالرحم.

ومنهم حملة العرش، وخزنة الجنة، وخزنة النار وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر، ومنهم مالك خازن النار، وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، ومنهم زوار البيت المعمور يدخله في كل يوم منهم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، وثبت أنهم يُبَلِّغون النبي ﷺ من أمته السلام، ومنهم الكرام الكاتبون، وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم، ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما منكر ونكير.

فهؤلاء الملائكة جميعًا هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين علىٰ العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالىٰ أعلم.

- **المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالملائكة.**

١- العلم بعظمة خالقهم ﷻ وكمال قدرته وسلطانه.

٢- شكر الله تعالىٰ علىٰ لطفه وعنايته بعباده حيث وَكَّلَ بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تحقق به مصالحهم.

٣- محبة الملائكة علىٰ ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله علىٰ الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

❁ ❁ ❁

الركن الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة

- **المسألة الأولىٰ: الوحي لغة وشرعًا وبيان أنواعه.**

الوحي لغة: الإعلام السريع الخفي.

ويطلق علىٰ: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام.

وكل ما ألقيتَهُ علىٰ غيرك حتىٰ عَلِمَهُ فهو وحي كيف كان، وهو لا يختص بالأنبياء ولا بكونه من عند الله تعالىٰ.

- **والوحي بمعناه اللغوي يتناول:**

(١) الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

(٢) الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلىٰ النحل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

(٣) الإشارة السريعة علىٰ سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه؛ قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

(٤) وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(٥) ما يلقيه الله تعالىٰ إلىٰ ملائكته من أمر ليفعلوه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

وأما الوحي شرعًا: فهو إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب، بواسطة أو غير واسطة.

- **أنواع الوحي**:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فأخبر أن تكليمه ووحيه للبشر يقع علىٰ ثلاث مراتب:

الأولىٰ: الوحي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحىٰ إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله، وأَلْحَقَ بعضُ أهل العلم بهذا القسم رؤىٰ الأنبياء في المنام.

الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء، كتكليم الله تعالىٰ لموسىٰ علىٰ ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وكتكليم الله لآدم، قال تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] وكتكليم الله تعالىٰ لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء كما ثبت في السنة.

الثالثة: الوحي بواسطة الملك، وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله علىٰ الأنبياء والرسل، والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ وبلغه جبريل لمحمد ﷺ.

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١- أن يراه الرسول ﷺ علىٰ صورته التي خُلق عليها.

٢- أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعىٰ الرسول ﷺ ما قال.

٣- أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كما مر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين.

- **المسألة الثانية: حكم الإيمان بالكتب.**

الإيمان بكتب الله التي أنزل علىٰ رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به، وتقرر في الكتاب والسنة وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالىٰ أنزلها علىٰ رسله بالحق والهدىٰ والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئًا منها فهو كافر خارج من الدين.

- **المسألة الثالثة: كيفية الإيمان بالكتب.**

الإيمان بكتب الله يشتمل علىٰ عدة جوانب دلت النصوص علىٰ وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، وهي:

(١) التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله ﷻ وأنها كلام الله تعالىٰ لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلىٰ الوجه الذي أراد سبحانه.

(٢) الإيمان بأنها كلها دعت إلىٰ عبادة الله وحده، وقد جاءت بالخير والهدىٰ والنور والضياء.

(٣) الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تناقضَ بينها ولا تعارضَ.

(٤) الإيمان بما سمىٰ الله ﷻ من كتبه علىٰ وجه الخصوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها، وهذه الكتب هي:

أ- **التوراة**: وهي كتاب الله الذي آتاه موسىٰ عليه السلام وقد ألقىٰ الله التوراة علىٰ موسىٰ مكتوبة في الألواح، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى

﴿ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ، وقد كان علىٰ العمل بها أنبياء بين إسرائيل الذين جاؤوا من بعد موسىٰ، وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليهود للتوراة وتبديلها.

ب- **الإنجيل**: وهو كتاب الله الذي أنزله علىٰ عيسىٰ ابن مريم ﷺ، وقد أنزل الله الإنجيل مصدقًا للتوراة وموافقًا لها.

قال بعض العلماء: لم يخالف الإنجيلُ التوراةَ إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصَّا علىٰ البشارة بنبينا محمد ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة(١).

ج- **الزَّبور**: وهو كتاب الله الذي أنزله علىٰ داود ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

قال قتادة: «كنا نحدث أنه دعاء علَّمه الله داود وتحميد وتمجيد لله ﷻ ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود»(٢).

د- **صُحُف إبراهيم وموسىٰ**: وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله، الأول في سورة النجم في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ

(١) «تفسير ابن كثير» برقم (٢/ ٣٦).
(٢) «معجم الطبراني» برقم (٨/ ٩٤) (٢٢٣٧٢).

﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٣٩].

والثاني في سورة الأعلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٩] فأخبر الله ﷻ عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله علىٰ رسوليه إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام.

هـ- **القرآن العظيم**: وهو كتاب الله الذي أنزله علىٰ نبينا محمد ﷺ مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نزولًا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب، ودعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن، **وهو آية النبي العظمىٰ التي يثبت بها صدقه؛ لأنه إذا عجز البشر عن مثله فلم يبق إلا أنه من عند الله وأن ناقله نبي مرسل من الله.**

وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر.

• فيجب الإيمان بهذه الكتب علىٰ ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها، وما قُصَّ علينا من أخبار أهلها.

(٥) الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله علىٰ رسله بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلىٰ غيره، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ

نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالىٰ آمرًا نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

• المسألة الرابعة: بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرىٰ المنزلة دخلها التحريف، وسلامة القرآن من ذلك:

قال تعالىٰ في حق اليهود: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالىٰ مخبرًا عن النصارىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: ١٤-١٥].

وقد كان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرىٰ، فدليل الزيادة قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، ودليل النقص قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ

جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرًاۖ﴾ [الأنعام: ٩١].

سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ علىٰ الكتب السابقة من التحريف والتبديل، وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله بل وصيانته إياه، كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الطبري: «قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل؛ ليس منه، أو ينقص منه؛ ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه»(١).

وعبر القرون المتطاولة ورغم الجهود الحثيثة لناقدي الإسلام لم يستطيعوا إثبات وجود تحريف واحد حقيقي في نص الوحي.

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلىٰ سر لطيف ونكتة بديعة تتعلق بتحريف التوراة وعدم تحريف القرآن علىٰ ما روىٰ أبو عمرو الداني عن أبي الحسن ابن المنتاب قال: «كنت يومًا عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل علىٰ أهل التوراة ولم يجز علىٰ أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله ﷻ في أهل التوراة: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فوكل الحفظَ إليهم فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر] فلم يَجُزِ التبديل عليهم، قال: فمضيت إلىٰ أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلامًا أحسن من هذا»(٢).

---

(١) «تفسير الطبري»، (١٧/ ٦٨).

(٢) «تاريخ قضاة الأندلس»، (ص: ٣٣).

المسألة الخامسة: الإيمان بالقرآن وخصائصه.

(١) تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفرق بينهما:

القرآن الكريم: هو كلام الله، منه بَدَا بلا كيفية قولًا، وأنزله علىٰ رسوله وحيًا، وصدَّقه المؤمنون علىٰ ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل ونزل به علىٰ خاتم رسله محمد ﷺ بلفظه ومعناه، المنقولُ بالتواتر، المفيد للقطع واليقين، المكتوبُ في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل.

الحديث القدسي: هو ما رواه النبي ﷺ عن ربِّه باللفظ والمعنىٰ ونُقل إلينا آحادًا أو متواترًا ولم يبلغ تواتر القرآن.

والحديث النبوي: ما أضيف إلىٰ النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

• **والفرق بينهم:** أن القرآن متعبَّدٌ بتلاوته معجزٌ في نظمه متحدًّى به، يحرم مسه لمحدِثٍ، وتلاوته لجنب، وروايته بالمعنىٰ، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حرف منه حسنة والحسنة بعشر حسنات، بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوي؛ فإنهما ليسا كذلك.

والفرق بين الحديث القدسي والنبوي: أن الحديث القدسي من كلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي ﷺ لفظًا ومعنًى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كلام الله علىٰ كلام المخلوقين.

• **خصائص الإيمان بالقرآن:**

(١) اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه.

(٢) اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه.

(٣) سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويُسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة، فقد كانت مشتملة علىٰ كثير من الآصار والأغلال التي فرضت علىٰ أصحابها.

(٤) أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفَّل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي.

(٥) أن القرآن الكريم مشتمل علىٰ وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمىٰ وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلىٰ قيام الساعة.

ومن صور الإعجاز: حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته، وقد وقع التحدي للإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثله أو ببعضه فما استطاعوا.

(٦) أن الله تعالىٰ بيَّن في القرآن كلَّ شيءٍ مما يحتاج له الناس في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم.

(٧) أن الله تعالىٰ يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه.

(٨) أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل.

(٩) أن القرآن مشتمل علىٰ أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله.

(١٠) أن القرآن هو آخر كتب الله نزولًا وخاتمها والشاهد عليها.

- **المسألة السادسة: ثمرات الإيمان بالكتب.**

١- شكر الله تعالىٰ علىٰ لطفه بخلقه وعنايته بهم بحيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢- ظهور حكمة الله حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب وهو القرآن مناسبًا لجميع الخلق في سائر العصور.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ، وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثله.

۞ ۞ ۞

الركن الرابع: الإيمان بالرُّسل

- **المسألة الأولىٰ: حكم الإيمان بالرسل وأدلته.**

الإيمان بالرسل واجب من واجبات هذا الدِّين وركن عظيم من أركان الإيمان، وقد دلت علىٰ ذلك الأدلة من الكتاب والسُّنة، قال الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وبيَّن الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء].

وفي السنة أن النبي ﷺ أجاب لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**»(١).

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر خصال الإيمان وأن من كذَّب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

- **المسألة الثانية: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.**

النبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة، وقيل: النبي مشتق من النباوة: وهو الشيء المرتفع.

---

(١) سبق تخريجه.

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالىٰ مخبرًا عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

وقد اختلف العلماء في تعريف كلٍّ من النبي والرسول في الشرع علىٰ أقوال؛ أرجحها:

أنَّ النبيَّ: هو من أوحىٰ الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين، وقد لا يؤمر بتبليغه.

والرسول: هو من أوحىٰ الله إليه وأرسله إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

والفرق بينهما: أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلىٰ الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلىٰ عبادته.

- **وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف علىٰ ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا علىٰ شريعة التوراة وكلهم رسل.**

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ [غافر: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] فذكر الله ﷻ أنه يرسل النبي والرسول، وبيان ذلك أن الله تعالىٰ إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلىٰ أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد، وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلىٰ عامة الخلق من الكفار والمؤمنين.

- **المسألة الثالثة: كيفية الإيمان بالرسل.**

هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالًا وتفصيلًا.

فالإيمان المجمل: هو التصديق الجازم بأن الله تعالىٰ بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وبأنهم جميعًا صادقون، بارُّون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وبأنهم علىٰ الحق المبين، والهدىٰ المستبين جاؤوا بالبينات من ربهم إلىٰ أقوامهم.

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلىٰ توحيد الله، وأما شرائعهم فمختلفة، وبأنهم قد بلَّغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة علىٰ الخلق.

ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة.

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم.

وأما الإيمان المفصل: وهو الإيمان التفصيلي علىٰ نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، وورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦] وورد ذكر الباقين في مواضع أخرىٰ من القرآن.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٤]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٤]، وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة علىٰ ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

• ويجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ إبراهيم ومحمدًا ﷺ خليلين، وكتكليم الله تعالىٰ موسىٰ وآدم ومحمدًا ﷺ، وتسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، وإلانة الحديد لداود، وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، وتعليم سليمان منطق الطير.

• ويجب كذلك الإيمان علىٰ وجه التفصيل بما قضىٰ الله ﷻ في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرىٰ بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم، وكذلك ما جاءت في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

• **المسألة الرابعة: ما يجب علينا نحو الرسل.**

يجب علىٰ الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله ﷻ من المنازل الرفيعة في الدين، ومن هذه الحقوق:

١- تصديقهم جميعًا فيما جاؤوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك، فيجب تصديق الرسل فيما جاؤوا به من الرسالات وهذا مقتضىٰ الإيمان بهم.

ويجب معرفة أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، فشريعته ناسخة للشرائع السابقة.

٢- موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

٣- اعتقاد فضلهم علىٰ غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحدٌ من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوىٰ، إذ الرسالة اصطفاء من الله، ولا تنال بالاجتهاد في العمل.

٤- اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا علىٰ درجة واحدة بل فضل الله بعضهم علىٰ بعض، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فإنزال كل واحد

منهم منزلته في الفصل والرفعة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم علىٰ الأمة.

٥- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن علىٰ رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم، قال تعالىٰ عن نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٨-١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١].

ونقل الإمام النووي إجماع العلماء علىٰ جواز الصلاة علىٰ سائر الأنبياء واستحبابها(١).

• **المسألة الخامسة: أولو العزم من الرسل.**

قال تعالىٰ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] هم: ذوو الحزم والصبر.

واختلف أهل العلم فيهم: فقيل: المراد بأولي العزم هم جميع الرسل و(من) لبيان الجنس، وقيل: هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ، وقد ذكر هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتاب الله، الأول في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، والثاني في سورة الشورىٰ، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

(١) «الأذكار»، (ص: ١١٨).

• وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم، وأفضلهم محمد ﷺ.

• **المسألة السادسة: خصائص نبينا ﷺ وحقوقه علىٰ أمته مع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق:**

أ- خصائصه:

(١) عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته.

(٢) أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت علىٰ ذلك النصوص، والأمة مجمعة علىٰ هذا، وأجمعت علىٰ تكفير من ادعىٰ النبوة بعده ﷺ، ووجوب قتل مدعيها إن أصر علىٰ ذلك.

(٣) أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلىٰ أن يأذن الله برفعه إليه.

(٤) أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة.

(٥) أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة.

(٦) أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمىٰ، وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(٧) أنه ﷺ صاحب لواء الحمد، وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعًا له وتحت رايته واختص به؛ لأنه ﷺ حمد اللهَ بمحامد لم يحمده بها غيره.

(٨) أنه صاحب الوسيلة، وهي أعلىٰ درجات الجنة، ولا تكون إلا لعبد واحد.

ب- حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته:

حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته كثيرة، وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجب علىٰ الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة، وفيما يلي عرضٌ لبعض حقوقه الخاصة علىٰ أمته، وهي:

(١) الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة، ومقتضىٰ ذلك؛ من تصديقه ووجوب طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

(٢) وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهىٰ الأمة عنه وحذرها منه.

(٣) محبته ﷺ وتقديم محبته علىٰ النفس وسائر الخلق، والمحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ﷺ مزيد اختصاص بها، ولذا وجب أن تكون محبته مقدَّمة علىٰ محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدَّمة علىٰ محبة المرء نفسه.

(٤) تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله.

(٥) الصلاة والتسليم علىٰ النبي ﷺ والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك، والصلاة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متأكدة في حق نبينا ﷺ، ومن أعظم حقوقه علىٰ أمته وهي واجبة عليهم، ولذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة علىٰ أمته.

وقد صرح العلماء بوجوب الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ونقل بعضُهم الإجماعَ علىٰ ذلك.

قال القاضي عياض: «اعلم أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ فرض علىٰ الجملة، غير محدد بوقت؛ لأمر الله تعالىٰ بالصلاة عليه، وحَمَلَهُ الأئمةُ والعلماءُ علىٰ الوجوب وأجمعوا عليه»(١).

(٦) الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة علىٰ ما تقدم بيانه.

(٧) تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك، فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ، قال تعالىٰ آمرًا نبيه أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وبقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

كما حذَّر النبيُّ ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه، ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا تطروني كَمَا أطرت النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْن مَرْيَم إِنَّمَا أَنا عبد الله وَرَسُوله**»(٢)، والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

ومن صور الغلو في النبي ﷺ التي تصل إلىٰ حد الشرك، التوجه له بالدعاء، فيقول القائل: يا رسول الله افعل كذا وكذا، فإن هذا دعاء، والدعاءُ عبادةٌ لا يصحُّ صرفها لغير الله.

(١) «الشفا»، (٢/ ٦١).

(٢) سبق تخريجه.

ومن صور الغلو فيه ﷺ الذبح له أو النذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم؛ لأنه عبادة وقد نهىٰ الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين، فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

(٨) ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب علىٰ هذه الأمة موالاة أصحاب نبيِّه، وندب من جاء بعدهم إلىٰ الاستغفار لهم وسؤال الله ألا يجعل في قلوبهم غِلًّا لهم، وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليهم كلمتهم محبة أصحاب رسول الله ﷺ وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال.

قال الإمام أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل يتنقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق»(١).

وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أي بسوء فاتهمه علىٰ الإسلام»(٢).

ج- بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق:

دلَّت السنة علىٰ إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام، وأن من رآه في المنام فقد رآه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي**»(٣) متفق عليه.

(١) «الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي»، (ص: ٤٩).
(٢) «مناقب الإمام أحمد»، (ص: ٢٠٩).
(٣) «صحيح البخاري» برقم (٦١٩٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٦٦).

وينبغي أن يتنبه إلىٰ أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ﷺ هو أن يُرىٰ علىٰ صورته الحقيقية المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة.

وأما قول النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»(١) متفق عليه، فللعلماء في تفسير الرؤية في اليقظة أقوال، أشهرها ثلاثة:

الأول: أنها علىٰ التشبيه والتمثيل، وقد دل علىٰ هذا ما جاء في رواية مسلم من حديث أبي هريرة، وفيها: «**فكأنما رآني في اليقظة**».

الثاني: أنها خاصة بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثالث: أنها تكون يوم القيامة، فيكون لمن رآه في المنام مزيد خصوصية علىٰ من لم يره في المنام.

- **المسألة السابعة: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.**

النبي ﷺ خاتم النبيين، ولهذه العقيدة أثر علىٰ دين المسلمين، فمن ثمارها:

(١) استقرار التشريع وكمال الدين لدىٰ الأمة، وأثر ذلك الكبير في حياة الأمة، ولذا امتن الله علىٰ هذه الأمة بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣].

(٢) ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ ببعثه نبيًّا آخر، ومعنىٰ ختم النبوة بنوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نزول عيسىٰ عليه السلام وكونه متصفًا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، علىٰ أن عيسىٰ عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة، لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولًا وفروعًا.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦٩٩٣)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٦٦).

(٣) القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظرٍ أو تأمل، فبذلك تحدث العصمة للأمة من اتباع من ادعىٰ النبوة من الدجالين والكذابين.

(٤) ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حين جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**». **قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ**: «**فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»(١) متفق عليه.

فكان مقام الخلفاء من هذه الأمة مقام الأنبياء في بني إسرائيل في سياسة الناس وقيادتهم، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(٢) رواه أبو داود والحاكم.

وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظًا بالخلفاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع.

وعلىٰ كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القيام في الثبات عليه، إلىٰ أن يأتي أمر الله.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٤٥٥)، و«صحيح مسلم» برقم (١٨٤٢).

(٢) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٤٢٩١)، و«مستدرك الحاكم» برقم (٨٨٠٥) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني برقم (٥٩٩).

• **المسألة الثالثة: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته.**

الإسراء لغة: من السرىٰ وهو: سير الليل أو عامته، وقيل: سير الليل كله.

والإسراء في الشرع: يراد به: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلىٰ بيت المقدس ورجوعه من ليلته.

والإسراء آية عظيمة أيد اللهُ بها النبيَّ ﷺ قبل الهجرة حيث أسرىٰ به ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ راكبًا علىٰ البراق بصحبة جبريل عليه السلام حتىٰ وصل بيت المقدس، فربطه بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلَّىٰ فيه بالأنبياء إمامًا، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار النبيُّ ﷺ اللبن علىٰ الخمر، فقال له جبريل: «**هُدِيتَ لِلْفِطْرَةِ**»(١).

وقد دل عليه الكتاب والسنة، واتفقت كلمة علماء المسلمين سلفًا وخلفًا وانعقد إجماعهم علىٰ صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق.

والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا منامًا، هذا الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققون من أهل العلم.

وأما المعراج: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي: يصعد، وفي الشرع فهو: صعود النبي ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقدس إلىٰ السماء الدنيا ثم باقي السموات إلىٰ السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السماوات علىٰ منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلىٰ سدرة المنتهىٰ، ورؤيته جبريل عندها علىٰ الصورة التي خلقه الله عليها،

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٣٠٣١).

ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نزوله إلىٰ الأرض، وكان المعراج ليلة الإسراء علىٰ الصحيح.

والإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ، والواجب علىٰ المسلم اعتقاد صحَّتها وأنهما منقبتان عظيمتان اختص الله بها نبيّنا ﷺ من بين الرسل.

ولا يشرع للمسلم الاحتفال بذكرىٰ الإسراء والمعراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقل بها أحد ممن يقتدىٰ به في العلم، **وتذاكر أخبار الإسراء والمعراج في هذا التوقيت والتذكير بها لا حرج فيه.**

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب من البدع المحدثة باتفاق أئمة الإسلام، ولا ينشأ مثل هذا إلا من جاهل مبتدع، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]؛ أي: مردود عليه.

- **المسألة التاسعة: القول في حياة الأنبياء** عليهم السلام.

دلت الأدلة علىٰ موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسىٰ عليه السلام فإنه لم يمت بَعْدُ وإنما رُفع إلىٰ الله تعالىٰ حيًّا، ودلت النصوص علىٰ أنهم عليهم السلام يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله ﷻ عن عيسىٰ عليه السلام من رفعه إليه كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥] فدلت الآية علىٰ رفع الله تعالىٰ لعيسىٰ بجسده وروحه إلىٰ السماء وأنه لم يمت.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٧١٨).

وأما الوفاة المذكورة في الآية في قوله تعالىٰ: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ فقد جاء في تفسير الآية أن: توفيه هو رفعه إليه، وإلىٰ ذلك ذهب ابن جرير الطبري، وأكثر المفسرين علىٰ أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

فتقرر بهذا أن عيسىٰ حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موته قبل قيام الساعة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] والموت المذكور هنا هو موت عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، كما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الصحيحة في نزول عيسىٰ في آخر الزمان، وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وممن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، وإنما رفع كما رفع عيسىٰ عليه السلام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]، وقيل: رفع إلىٰ السماء فمات بها، **وقيل**: رفع إلىٰ السماء الرابعة، والقصد حصول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وأمَّا ما عدا عيسىٰ وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحدٌ من أهل العلم المعتد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم من النصوص والواقع المشاهد من موتهم.

وما ما ورد من رؤية النبي ﷺ للأنبياء عليهم السلام في أحاديث المعراج، فالذي عليه المحققون من أهل السنة أنه ﷺ رأىٰ أرواحَ الرسل مصورةً في

صور أبدانهم، وأما أجسادهم فهي في الأرض إلَّا من جاءت النصوص برفعهم.

وينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالىٰ كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلىٰ السماء فإنه حفظ أجسادهم في الأرض، وحرم علىٰ الأرض أن تأكل أجسادهم، لما ثبت أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ أي: يقولون: قد بليت -. قال: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**».

المسألة العاشرة: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المعجزة: أمر خارق للعادة يجري علىٰ أيدي الأنبياء للدلالة علىٰ صدقهم مع سلامة المعارضة، **وتعبير الوحي عن المعجزة كان بلفظ: الآية، فمعجزات الرسل آيات الرسل وبينات صدقهم.**

- **ومعجزات الأنبياء كثيرة:**

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرةٍ عَيَّنوها له ناقةً، ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربَّه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة علىٰ الوجه الذي طلبوا.

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جَعْلُ الله النارَ التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردًا وسلامًا عليه.

ومن معجزات موسىٰ عليه السلام العصا، التي كانت تتحول إلىٰ حية عظيمة إذا ألقاها إلىٰ الأرض، ومن معجزاته أيضًا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء.

ومن معجزات عيسىٰ عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، ويمسح الأكمه -وهو الأعمىٰ- والأبرص فيبرأ بإذن الله، وينادي الموتىٰ في قبورهم فيجيبون بإذن الله.

ومن معجزات نبينا ﷺ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل علىٰ الإطلاق، ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ آيةً فانشقَّ القمر شِقَّين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم، ومنها -أيضًا- الإسراء والمعراج.

ومعجزات الرسل كثيرة، خصوصًا معجزات نبينا محمد ﷺ فإن الله أيَّده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله.

● **وأما الكرامة**: فهي أمر خارق للعادة غير مقرونٌ بدعوىٰ النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر علىٰ يد عبدٍ ظاهِرِ الصلاحِ، مصحوبٌ بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمم الماضية، منها ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام، ومنها ما أخبر الله به عن أهل الكهف علىٰ ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أُسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظُّلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم علىٰ عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها، وخُبيب بن عدي رضي الله عنه كان أسيرًا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالىٰ وكان يُؤتىٰ بعنب يأكله وليس بمكة عنبة .... وغير ذلك كثير مما هو منقول في كتب السير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة: الفرق بينهما أن المعجزة تكون مقرونة بدعوىٰ النبوة، وإنما الكرامة وقعت لصاحبها باتباعه النبي والاستقامة علىٰ شرعه، فالمعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض العلماء إلىٰ أن كرامات الأولياء في الحقيقة تدخل في معجزات الأنبياء؛ لأن الكرامات إنما حصلت للولي باتباع الرسول، فكلُّ كرامة لوليٍّ هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

والإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصلٌ من أصول الإيمان دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب علىٰ المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق، وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكار شيء منه ردٌّ للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدِّين وعلماء المسلمين في هذا الباب، والله تعالىٰ أعلم.

• **المسألة الحادية عشرة: الولي والولاية في الإسلام.**

الولاية ضد العداوة، وهي في الشرع معناها: القرب من الله بطاعته، والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

• **تفاضل الأولياء**: بحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالىٰ، فمن كان أكمل إيمانًا، فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ.

وأفضلُ أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضلُ أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضلُ المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ،

وأفضلُ أولي العزم: محمدٌ ﷺ ثم إبراهيم عليه السلام، ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقين.

● **أقسام الأولياء: أولياء الله علىٰ قسمين:**

(١) سابقون مقربون.

(٢) أصحاب يمين مقتصدون.

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالىٰ بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمستحبات، ولا الكف عن فضول المباحات، وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه تعالىٰ بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات.

● **لا يختص أولياء الله بلباسٍ ولا هيئةٍ:** وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئة؛ علىٰ ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحًا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحًا، كما قيل: كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع[١].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، (١١/ ١٩٤).

• **بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو**: وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قدرة علىٰ التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلىٰ تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي الله، بل كذَّاب أفَّاك وليٌّ للشيطان، والله تعالىٰ أعلم.

• **المسألة الثانية عشر: ثمرات الإيمان بالرسل.**

١- العلم برحمة الله تعالىٰ وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢- شكر الله علىٰ هذه النعمة.

٣- أنه به تقوم في القلب محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله خلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحهم لأقوامهم وصبرهم علىٰ أذاهم.

۞ ۞ ۞

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

• **المسألة الأولىٰ: أشراط الساعة وأنواعها.**

الأشراط: جمع شرط، وهو العلامة، وقيل: أشراط الشيء: أوائله.

وسُمِّي ذلك اليوم بالساعة؛ لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها، وتنقسم أشراط الساعة وأماراتها إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول ﷺ، وانشقاق القمر، ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ، وقد خرجت هذه النار في مستهل جمادىٰ الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأىٰ ضوءها أهل الشام، ورأىٰ أهلُ بصرىٰ - وهي إحدىٰ قرىٰ دمشق -، أعناق الإبل في ضوئها كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرىٰ**»(١) متفق عليه.

القسم الثاني: الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تَنْقَضِ بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدًّا.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧١١٨)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٠٢).

منها: أن تلد الأَمَةُ ربَّتها (أي: تلد الأمة المملوكة من سيدها، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها)، وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان وخروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة، ومنها: انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، وهذه العلامة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرىٰ: وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت، وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء.

روىٰ مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: «**اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**»[١] رواه مسلم.

وجاء في بعض الأحاديث الأخرىٰ ذِكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمىٰ هي هذه الثلاث: المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوىٰ الخسوف، فإنها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمىٰ، وهي مقدمة لها، وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة:

العلامة الأولىٰ: خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي رضي الله عنه يخرج وقد ملئت الأرض جورًا وظلمًا فيملؤها قسطًا

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٩٠١).

وعدلًا يوافق اسمُهُ اسمَ النبي ﷺ واسمُ أبيه اسمَ أبي النبي ﷺ علىٰ ما روىٰ أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي واسمَ أبيهِ اسمُ أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمت وجورًا، لا تذهبُ الدنيا حتىٰ يملكَ العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمُه اسمي واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلِئَتْ جورًا وظلمًا»**[(١)].

العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يُجري الله علىٰ يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله علىٰ المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة، فنارُهُ جنةٌ وجنتُهُ نارٌ.

العلامة الثالثة: نزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام من السماء إلىٰ الأرض حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقضي علىٰ الدجال.

العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج: وهم خَلْقٌ كثير لا يَدَينِ لأحد بقتالهم، قيل: إنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام.

العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها علىٰ يد ذي السويقتين من الحبشة كما صَحَّتْ بذلك السنة.

فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»**[(٢)].

العلامة السادسة: الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشىٰ الناس ويعمهم.

---

(١) [حسن صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٢٣٠)، و«المعجم الطبراني الكبير» (١٠/ ١٣٣) (١٠٢١٤).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (١٥٩١)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٠٩).

العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلىٰ السماء فلا يبقىٰ منه آية في سطر ولا صدر إلا رفعت.

وقد دلت علىٰ ذلك السنة فقد أخرج ابن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّىٰ لَا يُدْرَىٰ مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»(١).

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها.

العلامة التاسعة: خروج الدابة، وهي مخلوق عظيم، قيل: إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة، تخرج من عدن تحشر الناس إلىٰ محشرهم وهي آخر العلامات العظام.

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها، فإذا انقضت قامت الساعة بإذن الله تعالىٰ، وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة كتتابع الخرز في النظام، فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرىٰ.

روىٰ الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**خُرُوجُ الآياتِ بَعْضُها علىٰ أَثَرَ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتابَعُ الخَرَزُ فِي النِّظامِ**»(٢).

---

(١) [حسن صحيح] «سنن ابن ماجه» برقم (٤٠٤٩).

(٢) [صحيح] «مصنف عبد الرزاق» برقم (٤٠٣٩٩). قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح.

- **المسألة الثانية: نعيم القبر وعذابه.**

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقًّا له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فدلت الآية علىٰ تثبيت الله تعالىٰ للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»(١) رواه البخاري.

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور».

وأما ما جاء في السنة من الأدلة علىٰ نعيم القبر وعذابه فكثير جدًّا، من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢). **متفق عليه.**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٣٦٩).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (١٣٧٩)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٨٦٦).

وفي «**صحيح مسلم**» من حديث أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَلَّا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعَنِىٰ**»(١).

ونعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعًا، كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحيانًا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفردًا عن البدن، خلافًا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط علىٰ كل حال ولا يتعلق بالبدن.

قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: والعذاب والنعيم علىٰ النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن.

منكر ونكير: دلت الأحاديث الصحيحة علىٰ وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ»- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَلِلْآخَرِ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ**

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٨٦٨).

يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

فيجب الإيمان بما دَلَّت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما وسؤالهما المَقْبُورِين، وكيفية ذلك، وما يجيب به المؤمن، وما يجيب به المنافق، وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب علىٰ التفصيل الذي جاءت به الأحاديث.

• وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهب لذلك البعض؟ أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر من أهل العلم، والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عام في كل الأمم وعلىٰ هذا أكثر المحققين من أهل العلم، والله تعالىٰ أعلم.

• **المسألة الثالثة: الإيمان بالبعث.**

• **معنىٰ البعث وحقيقته:**

البعث في لغة العرب يأتي علىٰ وجهين:

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٣]: أرسلنا.

الثاني: الإثارة والتحريك، تقول: بعثت البعير فانبعث، أي: أثرته فثار، ومنه بعث الموتىٰ وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] أي: أحييناكم.

---

(١) [حسن] «سنن الترمذي» برقم (١٠٧١).

• **والبعث في الشرع**: هو إحياء الله للموتىٰ وإخراجهم من قبورهم.

• **وحقيقة البعث**: أن الله تعالىٰ يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها، ويسوقهم إلىٰ محشرهم لفصل القضاء.

ودلت النصوص علىٰ أن الله تعالىٰ يعيد الأجساد نفسها، ويجمع رفاتها المتحلل حتىٰ تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها، فسبحان من لا يعجزه شيء وهو علىٰ كل شيء قدير.

وثبت في السنة بيان كيفية البعث وأن الله يُنْزِل إلىٰ الأرض ماء فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبِيتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبِيتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبِيتُ، قَالَ: «ثُمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ بِهِ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١) متفق عليه.

فقد دلَّ الحديث علىٰ كيفية البعث، وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهما نفخة الإماتة ونفخة البعث، ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي؟ وهل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة؟ علىٰ أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة، ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء، جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب، بعد أن فنيت أجسادهم إلَّا عجب الذنب، **وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلىٰ كما تقدم تقريره.**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٤٩٣٥)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٥٥).

ودلَّ الكتاب والسنة علىٰ بعث الله تعالىٰ للأموات، وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كما دلَّ النظر الصحيح علىٰ تقرير البعث، وذلك أن البعث هو إعادة للخلق، ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه؛ ولهذا قال الله تعالىٰ في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشأته الأولىٰ، وبأن القادر علىٰ الابتداء قادر علىٰ الإعادة من باب أولىٰ، فقال المعترض علىٰ البعث كما حكىٰ الله عنه: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ [الروم: ٢٧] فهذا دليل شرعي عقلي من كتاب الله للرد علىٰ كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يستطيع رده.

ودلت النصوص علىٰ حشر العباد بعد بعثهم إلىٰ أرض المحشر حفاة عراة غرلًا، وهذا الحشر عام لجميع الخلائق، وقد دلت النصوص أن هناك حشرًا آخر إما في الجنة وإما في النار، فيحشر المؤمنون إلىٰ الجنة وفدًا، وأما الكفار فإنهم يحشرون إلىٰ النار علىٰ وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا.

- **الحوض:**

هو مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحشر يَرِدُه هو وأمته، جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلىٰ من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دَلَّ علىٰ ثبوت الحوض وأنه حقٌّ كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر.

والحوض كون في أرض المحشر، ويمد ماؤه من الكوثر، وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا ﷺ في الجنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

واختلف العلماء في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض، والصحيح: أن الحوض قبل.

قال القرطبي: «والمعنىٰ يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم»).

- **الميزان:**

هو مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شر.

والذي يوزن في الميزان ثلاثة أمور:

١- **الأعمال:** فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان.

٢- صحف الأعمال.

٣- العامل نفسه.

- **الشفاعة:**

وهي لغة: الوسيلة والطلب، وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثار للغير، والله ﷻ بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة فيها لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

• **ولا تصح الشفاعة عند الله تعالىٰ إلا بشرطين:**

(١) أحدهما: إذن الله تعالىٰ للشافع أن يشفع.

(٢) الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دلت النصوص أن الله لا يرضىٰ أن يشفع إلا في أهل التوحيد.

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا، وقد صرح الأئمة المحققون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد.

• **أقسام الشفاعة:**

الشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلىٰ قسمين:

مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، **ومقبولة** وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة.

وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي:

١- الشفاعة العظمىٰ، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم، وهي المقام المحمود، وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ علىٰ غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣- شفاعته ﷺ في أقوام استحقوا النار ألا يدخلوها.

٤- شفاعته ﷺ رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥- شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

٧- شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخولها.

٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة علىٰ هذه الأنواع كلها، وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد، وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمىٰ وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها، ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرىٰ علىٰ اختلافٍ بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه.

• **الصراط:**

الصراط لغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود علىٰ متن جهنم يَرِدُه الأولون والآخرون، وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور علىٰ الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف، دحض مزلة، لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله، وأنه يُنصب في ظلمة فيعطىٰ الناس أنوارًا علىٰ قدر إيمانهم، ويمرون فوقه علىٰ قدر إيمانهم.

• **ومما يجب اعتقاده والإيمان به: الجنة والنار.**

• **والجنة:** هي دار الثواب لمن أطاع الله، وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهىٰ، وهي مائة درجة بين كل درجة والأخرىٰ كما بين السماء والأرض، وأعلىٰ الجنة الفردوس الأعلىٰ وفوقه العرش ومنه تنفجر أنهار الجنة، وللجنة ثمانية أبواب، وقد أعَدَّ الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

• **وأما النار:** فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلىٰ الجنة، وموضعها في الأرض السابعة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وللنار دركات بعضها أسفل من بعض.

قال عبد الرحمن بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوًّا ودرجات النار تذهب سفولًا، وأسفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وللنار سبعة أبواب، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم.

• **والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:**

(١) الاعتقاد الجازم بأنها حق، وأن الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين والمنافقين.

(٢) اعتقاد وجودهما الآن.

(٣) اعتقاد دوامهما وبقائهما، وأنهما لا تفنيان ولا يفنىٰ من فيهما.

• **المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان باليوم الآخر.**

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

(١) الحرص علىٰ طاعة الله رغبةً في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

(٢) تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

(٣) استشعار كمال عدل الله تعالىٰ حيث يجازي كلًّا بعمله مع رحمته بعباده.

الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

• **المسألة الأولىٰ: تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما.**

القضاء لغة: الحكم الفصل.

وشرعًا: هو ما قضىٰ به الله ﷻ في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

والقدر لغة: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

وفي الشرع: هو ما قدره الله تعالىٰ في الأزل أن يكون في خلقه بناء علىٰ علمه السابق بذلك.

• **الفرق بين القضاء والقدر:**

ذكر العلماء في التفريق بينهما، أن القدر: هو تقدير الشيء قبل قضائه.

والقدر: هو الفراغ من الشيء.

قال ابن الأثير: «فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»(١).

(١) «النهاية»، (٤/ ٧٨).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنىٰ فأصبح لكلٍّ منهما معنًى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنىٰ الآخر.

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ إثباته وتقريره، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وفي حديث أركان الإيمان: «**الإيمان بالقدر خيره وشره**».

- **والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم.**

قال الإمام النووي: «تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف علىٰ إثبات قدر الله سبحانه وتعالى»(١).

- **المسألة الثانية: مراتب القدر.**

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقرَّرها أهل العلم، وهي:

(١) مرتبة العلم: أي علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا، فَعَلِمَ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(٢) مرتبة الكتابة: أي كتابة الله تعالىٰ لكل شيء مما هو كائن إلىٰ قيام الساعة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**»(٢).

---

(١) «شرح مسلم»، (١/ ١٥٥).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢٦٥٣).

(٣) **مرتبة المشيئة:** فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

(٤) **مرتبة خلق الله تعالىٰ للأشياء:** فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

• فالله سبحانه يعلم ما نحن فاعلين قبل أن يخلقنا، فيكتبه لنا، ثم إذا شاء أمضاه فخلقه ففعلناه، فالاختيار لنا والخلق من الله، والاختيار هو الذي بني عليه التكليف والثواب والعقاب، وما يقع لنا من خير أو شر لم تعمله أيدينا فنحن متعبدون فيه بالصبر علىٰ الضراء والشكر علىٰ السراء.

• **المسألة الثالثة: ثمرات الإيمان بالقدر.**

(١) الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ عند فعل الأسباب، لأنه مقدر بالأسباب والمسببات.

(٢) راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

(٣) طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

(٤) طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر علىٰ ذلك ويحتسب.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

أصول في السنة والاعتقاد

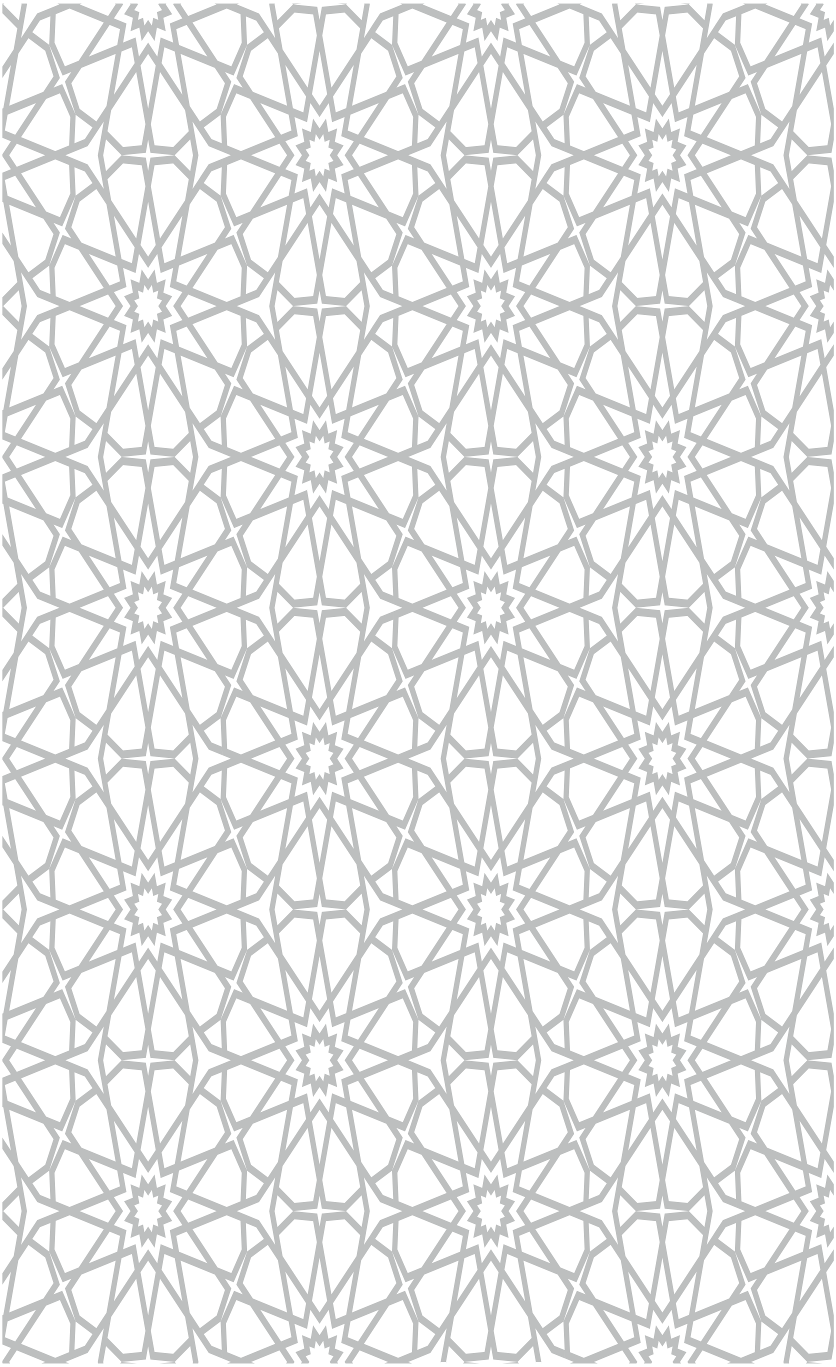

الأصل الأول: الولاء والبراء معناه وضوابطه

المسألة الأولىٰ: تعريفه.

الولاء: مصدر وَلِيَ بمعنىٰ قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم علىٰ أعدائهم والسكن معهم.

والبراء: مصدر برىٰ، بمعنىٰ قطع، ومنه: برىٰ القلم بمعنىٰ قطعه، والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

المسألة الثانية: حكمه.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد فيجب علىٰ المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم، ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويتضح من هذه الآيات وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير، ووجوب معاداة الكافرين والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

المسألة الثالثة: مكانته في الدين.

للولاء والبراء مكانة عظيمة في الإسلام، فهو أوثق عرىٰ الإيمان، ومعناه: توثيق عرىٰ المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام، وفي الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»(١)

المسألة الرابعة: الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما في الولاء والبراء.

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا، والتنازل عما يجب علىٰ المسلم من الغيرة علىٰ الدين، ومثاله: الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم علىٰ معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه.

وأما المداراة: فهي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له، كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلىٰ تأليفه، وقد فعله النبي ﷺ مع أقوام، فدلَّ علىٰ أن المداراة لا تتنافىٰ مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كفِّ الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ومن ذلك: مداراة

---

(١) [حسن] «مسند أحمد» برقم (١٨٥٢٤).

النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًا لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لأهل المصلحة دينية وإنما لأجل الدنيا.

المسألة الخامسة: حكم موالاة العصاة والمبتدعين.

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة العقاب بحسب ما فيه من الشر، فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

المسألة السادسة: هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية؟

دلت النصوص الصحيحة علىٰ جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء، والإيجار والاستعانة بهم في أمور الدنيا، وهذا كله لا يؤثر علىٰ الولاء والبراء.

❁ ❁ ❁

الأصل الثاني: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المسألة الأولىٰ: من هم الصحابة، ووجوب محبتهم وموالاتهم.

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مسلمًا ومات علىٰ ذلك.

وجوب محبتهم وموالاتهم: الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فيجب علينا أن نتولاهم، ونحبهم ونترضىٰ عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة علىٰ كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقُربىٰ إلىٰ الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان، والطعن فيهم طعن في الدين فهم حملته، وقد نقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص، ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله علىٰ أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة علىٰ وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل، فمن الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن السنة: حديث أنس عن النبي ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»(١) متفق عليه.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٢٨).

المسألة الثانية: الآثار الطيبة لموالاتهم في الدنيا والآخرة.

(١) من آثار موالاتهم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

قال ابن كثير: «كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة»[١].

(١) ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجىٰ لُمحبِّهم من الحشر معهم؛ لقول النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[٢]

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتقربون إلىٰ الله بمحبة أبي بكر وعمر، ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله.

روىٰ الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ.

قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٣) «صحيح البخاري» برقم (٣٦٨٨).

المسألة الثالثة: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم.

فضلهم: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فقد دلَّت الآيات الكريمة علىٰ فضل الصحابة، والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكل من حصل علىٰ شرف الصحبة، ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالىٰ ألَّا يجعل في قلوبهم غِلًّا للذين آمنوا.

وقد أثنىٰ عليهم رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة منها:

ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(١)، وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميع الصحابة، وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفرادٍ بخصوصهم.

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (١١٠).

فالواجب علىٰ المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكلِّ جميلٍ، والاقتداء بهم والسير علىٰ نهجهم.

• وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم:

عرفنا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ، فهم السابقون إلىٰ الإسلام، وهم أعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاء حسنًا في الذَّوْدِ عن حياض الإسلام حتىٰ مَكَّنَ الله لهذا الدين في الأرض علىٰ أيديهم.

فمن تنقصهم أو سبَّهم أو نال من أحدٍ منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هذا اعتداء علىٰ الدين كله.

ومن كَفَّرَهُم أو اعتقد ردتهم فهو أولىٰ بالكفر والردة، وقد دَلَّتِ الأحاديث علىٰ تحريم سَبِّ أصحاب رسول الله ﷺ، والتأكيد علىٰ أنه لن يبلغَ أحدٌ مبلغهم مهما قَدَّمَ من عمل.

فالواجب علىٰ المسلمين اعتقاد عدالتهم، والترضِّي عنهم، والكف عما شجر بينهم، وعدم الخوض فيما جرىٰ بينهم من خلاف، وترك سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أولئك قوم طهَّر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهِّر ألسنتَنا من أعراضِهم».

وخلاصة القول: أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم ويُنْزِلُونَهُمْ منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوىٰ والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

المسألة الرابعة: أهل بيت النبي ﷺ.

• **التعريف بهم**: أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حُرِّمت عليهم الصدقة، وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ.

أدلة فضلهم: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١).

• **دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت:**

قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ثم الذي لا يشك فيه مَنْ تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾، أي: واعملن بما يُنْزِلُ الله تبارك

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٤٠٨).

وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قال قتادة وغير واحد: واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء.[١] اهـ.

- **الوصية بأهل البيت:**

تقدم حديث: «**أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[٢]

فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين علىٰ الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعليٍّ وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم علىٰ الدِّين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا ينفعه شيئًا حتىٰ يستقيم علىٰ دين الله.

فقد روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢١٤].

فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ

---

(١) «تفسير ابن كثير»، (٦/ ٤١٥).

(٢) تقدم تخريجه.

مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» متفق عليه، ولحديث: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١)، ومعنىٰ بطَّأ: أي تأخر.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة، ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذي يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره علىٰ المنهج المعتدل والصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

المسألة الخامسة: الخلفاء الراشدون.

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاهم.

وهم أفضل الصحابة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

• مكانتهم ووجوب اتباعهم:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، الذين أمر رسول الله ﷺ باتباعهم، والتمسك بهديهم، كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: «**أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمَسَّكُوا بِهَا،**

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٦٩٩).

وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وأجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة.

المسألة السادسة: العشرة المبشرون بالجنة.

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول، وأنهم يتفاضلون في الصحبة، وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم مَنْ هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بَعْدُ وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنىٰ.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

روىٰ أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ،**

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٦٧٦)، و«سنن ابن ماجه» برقم (٤٢)

وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ» (١).

وقد بشر النبي ﷺ آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير.

وأهل السنة يَنُصُّون علىٰ مَنْ وَرَدَ النَّصُّ من المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعالىٰ بعد ذكر الصحابة وبيان فضل بعضهم علىٰ بعض: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠] والحسنىٰ هي: الجنة.

• كما أن مذهب أهل السنة في عموم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجون للمحسنين الثواب ويخافون علىٰ المسيئين العقاب مع القطع لمن مات علىٰ التوحيد بعدم تخليده في النار، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

❁ ❁ ❁

(١) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٤٦٤٩).

الأصل الثالث

الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم

روىٰ مسلم عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

فالنصيحة لله: إفراده تعالىٰ بالعبادة وتعظيمه، وخوفه ورجاؤه ومحبته، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم: تصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بهديه ومحبته، وألَّا نعبد الله إلَّا وفق ما جاء به صلى الله عليه وسلم.

وأمَّا النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتهم، وطاعتهم في حدود طاعة الله تعالىٰ.

وأمَّا النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحبُّ الخير لهم كما نحب لأنفسنا، وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٥٥).

• الواجب نحو ولاة الأمور:

دَلَّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة علىٰ وجوب طاعة الإمام الذي يقيم الدين في الناس بكتاب الله وسنة نبيه وإن وقع منه جور وظلم ومعصية، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما تجب الصلاة خلفه، والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المصالح الخاصة، كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعته وعدم الخروج عليه.

ونستخلص من النصوص في الكتاب والسنة أنها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمور في غير معصية، ونلخص ذلك فيما يلي:

(١) أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

(٢) عدم الخروج علىٰ ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

(٣) أن من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ من الذنب.

(٤) النهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها.

(٥) عدم الخروج علىٰ الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البواح، أي: الظاهر الذي لا يحتمل التأويل.

(٦) وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون علىٰ هدي الكتاب والسنة قولًا وعملًا واعتقادًا، وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص علىٰ جمع كلمتهم علىٰ الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ

﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء]، وقال رسول الله ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، ومَنْ شَذَّ شذَّ في النَّارِ»**(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجماعة شبرا فمات، فميتته جَاهِلِيَّةٌ»**(٢) **متفق عليه.**

فدلت هذه النصوص علىٰ وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعة الأمر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك؛ إذ إن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

۞ ۞ ۞

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢١٦٥).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٧٠٥٤)، و«صحيح مسلم» برقم (١٨٤٩).

الأصل الرابع: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة

المسألة الأولىٰ: معنىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف علىٰ أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهىٰ عن التفرق وبيَّن خطورته علىٰ الأمة في الدارين؛ ولتحقيق ذلك أُمرنا بالتحاكم إلىٰ كتاب الله تعالىٰ في الأصول والفروع، ونُهينا عن كل سبب يؤدي إلىٰ التفرق.

فالطريق الصحيح إلىٰ النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فأمر الله بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله، والعهد الذي أخذه الله علىٰ المسلمين هو الاعتصام بالكتاب والسنة، فقد أمر الله تعالىٰ بالجماعة، ونهىٰ عن التفرق والاختلاف.

وما جاء به الرسول ﷺ يتعيَّن علىٰ العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأنَّ نَصَّ الرسول علىٰ حكم الشيء كنَصِّ الله تعالىٰ لا رخصة لأحدٍ ولا عذرَ له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد علىٰ قوله، وفي كتاب الله آيات كثيرة، وكذلك في السنة أحاديث كثيرة وردت في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن، ويسعىٰ إلىٰ تحقيقه مَنْ كان في قلبه أدنىٰ مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة.

جاءت هذه البشرىٰ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**». قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»(١).

وأي إباءٍ ورفضٍ للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدِّين.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد علىٰ سبيل وسنة ذَكَرَ الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة»(٢).

المسألة الثانية: التحذير من البدع.

تعريف البدعة:

لغةً: هي الاختراع علىٰ غير مثال سابق، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مخترعها.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧٢٨٠).

(٢) [إسناده ضعيف] «مصنف عبد الرزاق» برقم (٣٨٢٦٤).

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

- **خطر البدع:**

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة علىٰ الفرد والمجتمع بل وعلىٰ الدين كله أصوله وفروعه.

فالبدع: إحداث في الدين، وقولٌ علىٰ الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله.

والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره، ووزر من تبعه في بدعته.

والبدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ، فعن سهل بن سعد الأنصاري، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي!**»[١]

والبدعة تشويه للدين، وتغيير لمعالمه.

والخلاصة: أن البدعة خطر عظيم علىٰ المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧٠٥٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٨٩).

• **أسباب البدعة:**

للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلىٰ الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد علىٰ العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد علىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة علىٰ بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

• **تحريم البدع، وبيان التفاوت في ذلك:**

من تأمَّل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدِّين محرمة ومردودة علىٰ أصحابها مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بين بدعة وأخرىٰ، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد علىٰ وجه واحد في قول النبي ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(١)، وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» فدلَّ الحديثان علىٰ أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنىٰ ذلك: أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربًا إلىٰ أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء علىٰ القبور، والصلاة والدعاء

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٨٦٧).

عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائمًا في الشمس.

● **أنواع البدع وأقسامها**(١)

للبدع أنواع وأقسام متعددة باعتبارات مختلفة، ومن هذه الأقسام ما يلي:

أولًا: بدعة حقيقية وبدعة إضافية:

تنقسم البدعة باعتبار مدىٰ تعلُّق أصلها بالدليل الشرعي إلىٰ بدعة حقيقة وإضافية:

فالبدعة الحقيقية هي: «التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا التفصيل»(٢).

ومثالها: إحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كالتقرب إلىٰ الله بالرهبانية والتَّبَتُّل مع وجود الداعي إلىٰ الزواج، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]، ومن أمثلتها كذلك صلاة الرغائب، وبدعة تحكيم العقل وتقديمه علىٰ النقل، ورَدّ النصوص الشرعية لذلك، وكالطواف بالأضرحة والتوسّل بأصحاب القبور، وتعليق الشموع والمصابيح حول الأضرحة، فكل هذه المخترعات لم يقم عليها دليل لا باعتبار جملتها، ولا باعتبار تفصيلها، فهي بدع محضة لا تعلق لها بكتاب ولا سنة.

---

(١) انظر: «المبتدعة»، د. محمد يسري إبراهيم.

(٢) الاعتصام، للشاطبي (١/٢٨٦)، وانظر: الإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٤٧-٥٠.

وأما البدعة الإضافية فهي: «التي لها شائبتان:

إحداهما: لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرىٰ: ليس لها متعلق إلا كما للبدعة الحقيقية .. فهي بالنسبة إلىٰ إحدىٰ الجهتين سنة؛ لأنها مستندة إلىٰ دليل، وبالنسبة إلىٰ الجهة الأخرىٰ بدعة؛ لأنها مستندة إلىٰ شبهة لا إلىٰ دليل، أو غير مستندة إلىٰ شيء»(١)

فليست هي بحق محض؛ لأنها لو كانت كذلك لكانت مشروعة، وليست بباطل محض؛ لأنها لو كانت كذلك لما اشتبهت علىٰ أحد.

ومن أمثلتها: اعتياد الصلاة في أوقات الكراهة بدون سبب يدعو إلىٰ ذلك، والدعاء أو الذكر الجماعي علىٰ صفة مخصوصة لم يرد بها نص شرعي، أو التلحين والتطريب في الأذان(٢)، أو تخصيص يوم لم يخصّه الشارع بصوم، أو ليلة لم يخصّها الشارع بقيام، فالصلاة والصوم والدعاء والذكر والأذان كلها من حيث الأصل عبادات مشروعة مستندة إلىٰ أدلة شرعية، ولكنها من جهة أخرىٰ التبست بأمور غير مشروعة ولا دليل عليها، فصارت بدعة بهذا الاعتبار الثاني.

فالفرق بين البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية، أن الحقيقية لا دليل عليها من جهة الأصل، وأما الإضافية فالدليل عليها من جهة الأصل قائم، ولكنه غير قائم عليها من جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل بالرغم من احتياجها له؛ لكونها تقع غالبًا في العبادات.

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (٢٨٦/١)، وانظر: الإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٥٠-٥٣.

(٢) تحسين الصوت بالأذان سنة، وإخراج الحروف من غير مخارجها أو بغير صفاتها أو إخراج المدود عن حقها بما قد يغير المعنىٰ ونحوه ممنوع.

ثانيًا: بدعة عادية وبدعة تعبدية:

تنقسم البدعة باعتبار تعلقها بأفعال العباد إلىٰ بدعة عادية وتعبدية:

فالبدعة العادية: هي التي تتعلق بالأمور العادية، وهي الأمور التي لا يقصد منها التقرب إلىٰ الله تعالىٰ من حيث أصلها الموضوع كالعقود والمعاملات، وإن صحّ فيها التقرب باعتبار أمر غير لازم لها.

وأما **البدعة التعبدية**: فهي التي تتعلق بنوع من أنواع العبادة، والعبادة هي كل ما قصد به التقرب إلىٰ الله تعالىٰ طمعًا في الثواب.

والعلماء متفقون علىٰ وقوع البدع في العبادات سواء كانت عبادة قلبية أو قولية أو عملية.

وأما الأمور العادية فقد اختلف العلماء في وقوع الابتداع فيها، فذهب بعض العلماء كالعز بن عبد السلام والقرافي إلىٰ أن البدع تدخل في الأمور العادية مطلقًا، وذهب الأكثرون إلىٰ أنها لا تدخل مطلقًا، وذهب الإمام الشاطبي إلىٰ التفصيل، فقال إن الابتداع لا يدخل في الأمور العادية إلا من جهة ما فيها من معنىٰ التعبد[(١)].

قال الشاطبي: «وإن العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يتعبدّ بها أو توضع وضع المتعبد تدخلها البدعة، وحصل بذلك اتفاق القولين وصار المذهبان مذهبًا واحدًا»[(٢)].

---

(١) انظر: الاعتصام، للشاطبي (١/ ٣٧-٤٠) (٢/ ٧٣-٩٨)، والإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٥٥-٦٠، وأصول السرخسي (٢/ ١٢٣).

(٢) الاعتصام، للشاطبي (٢/ ٩٨).

ثالثًا: بدعة فعلية وبدعة تَّركية:

تنقسم البدعة باعتبار الفعل والتَّرك إلىٰ بدعة فعلية وتركية[(١)]:

فالبدعة الفعلية: هي فعل ما لم يشرع في الدين تقربًا لله تعالىٰ.

وأكثر البدع من هذا النوع، ومثال ذلك: إحداث صلاة غير مشروعة، أو تخصيص ليلة بقيام لم يأت الشرع بتخصيصها كما يفعل بعض العوام في ليلة السابع والعشرين من رجب، أو الاحتفال بأعياد لم تشرع أصلًا كالاحتفال برأس السنة الميلادية، والأعياد القومية والوطنية.

أما **البدعة التَّركية**: فهي ترك المباح أو المطلوب شرعًا تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، مثل: ترك أكل اللحم، أو ترك الزواج بنية التقرب إلىٰ الله كفعل الرهبان.

رابعًا: بدعة عملية وبدعة اعتقادية:

تنقسم البدعة باعتبار ما تعلقت به من أمور الاعتقاد القلبية أو العبادات العملية إلىٰ بدعة اعتقادية وعملية:

فالبدعة الاعتقادية: هي اعتقاد شيء علىٰ خلاف ما هو عليه من المعروف عن الرسول ﷺ سواء أكان مع الاعتقاد عمل أم لا[(٢)].

مثل: بدع الخوارج، والمعتزلة، والشيعة، والمرجئة، والجهمية، والقدرية وغيرها من الفرق الضّالة، وتكون هذه البدعة لا بمعاندة، ولكن بنوع شبهة وتأوُّل وجهل غالبًا.

---

(١) انظر الموافقات، للشاطبي (٢/ ٣٤٢).

(٢) الإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٤٦.

وأما **البدعة العملية**: فهي التعبد لله تعالىٰ بعبادة لم يشرعها[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ **-في بيان أنواع البدع العملية-**: «إن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة:

الأول: السبب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي بدعة مردودة علىٰ صاحبها، مثال ذلك: أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ، فالتهجد عبادة ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنىٰ هذه العبادة علىٰ سبب لم يثبت شرعًا. وهذا الوصف -موافقة العبادة للشريعة في السبب- أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس: فلابد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح ذلك أضحية؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، البقر، الغنم.

الثالث: القَدْر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة علىٰ أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة؛ لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولىٰ لو أن الإنسان صلىٰ الظهر مثلًا خمسًا عامدًا غير ناس فإن صلاته لا تصح باتفاق.

الرابع: الكيفية: فلو أن رجلًا توضأ فبدأ بغسل رجليه ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم وجهه فنقول: وضوؤه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٤٦.

الخامس: الزمان: فلو أن رجلًا ضحَّىٰ في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان. وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقربًا لله تعالىٰ بالذبح وهذا العمل بدعة علىٰ هذا الوجه؛ لأنه ليس شيء يتقرب به إلىٰ الله بالذبح إلا الأضحية والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر علىٰ الذبح كالذبح في عيد الأضحىٰ فبدعة. وأما الذبح لأجل اللحم فجائز.

السادس: المكان: فلو أن رجلًا اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح؛ وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلىٰ البيت، فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان، ومن الأمثلة: لو أن رجلًا أراد أن يطوف، فوجد المطاف قد ضاق، ووجد ما حوله قد ضاق، فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه؛ لأن مكان الطواف البيت، قال تعالىٰ لإبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]»[١].

خامسًا: بدعة كلية وبدعة جزئية:

تنقسم البدعة بحسب ما يتفرّع عنها وينشأ من مخالفات وانحرافات إلىٰ كلية وجزئية:

فالبدعة الكلية: هي التي يكون الخلل الناشئ عنها خللًا كليًّا مثل: بدعة التحسين والتقبيح العقليين، وإنكار حجية السنة[٢]، إذ يترتب عليهما من المخالفات والنقص في الدين ما لا ينحصر من المسائل والأحوال.

---

(١) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع، لابن عثيمين ص٢١-٢٤.

(٢) انظر: الاعتصام، للشاطبي (٢/ ٥٩)، والإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٥٣-٥٥.

وأما **البدعة الجزئية**: فهي التي يكون الخلل الواقع بسببها يأتي في بعض الفروع دون بعض، كبدعة التطريب والتغني بالقرآن بحيث تخرج الحروف من غير مخارجها أو بغير صفاتها وأحكامها.

فهذا النوع من البدع لا تتعدىٰ البدعة فيه محلها، ولا تنتظم تحتها غيرها حتىٰ تكون أصلًا لها(١).

سادسًا: البدعة البسيطة والبدعة المركبة(٢):

تنقسم البدعة باعتبار تعددها وتداخلها إلىٰ بدعة بسيطة ومركبة:

فالبدعة البسيطة: هي التي تكون مجرد مخالفة بسيطة لا تستتبع مخالفات أخرىٰ، كمَنْ يُتْبع الفرض النفل بلا فاصل من تسبيح، ونحوه.

أما **البدعة المركبة**: فهي التي تشتمل علىٰ عدة بدع تداخلت وصارت كأنها بدعة واحدة، كاعتقاد الشيعة عصمة الأئمة، ومن ثم انتشار كثير من البدع علىٰ أساس هذا الاعتقاد الفاسد، وكادِّعاء بعض مشايخ الطرق الصوفية العلم اللَّدُنِّي، وما ترتب علىٰ القول به من طوامّ.

سابعًا: بدعة مكفرة وبدعة غير مكفرة(٣):

تنقسم البدعة باعتبار حكمها وما يترتب عليها إلىٰ بدعة مكفرة وغير مكفرة:

فالبدعة المكفرة: هي التي يلزم منها إنكار أمر مجمع عليه، أو متواتر من الشرع، أو معلومٍ من الدين بالضرورة، من جحود مفروض، أو فرض ما

---

(١) انظر: الاعتصام، للشاطبي (٢/ ٦٠)، والإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ ص٥٥.

(٢) انظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، لإبراهيم الرحيلي (١/ ١٠٣)، والبدعة لعزت عطية ص٣٠٥.

(٣) انظر: معارج القبول لحافظ حكمي (٣/ ١٠٢٦-١٠٣٠).

لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله ﷺ وكتابه عنه من نفي أو إثبات.

وأما **البدعة غير المكفرة**: فهي التي لا يلزم منها تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله، كبدع المَرْوانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة، ولم يقرّوهم عليها، ولم يكفِّروهم بشيء منها، ولم ينزعوا يدًا من بيعتهم لأجلها، مثل: تقديم الخطبة قبل صلاة العيد، وتأخير الصلوات إلىٰ أواخر أوقاتها.

وقَسَّم بعضهم البدع إلىٰ كبائر وصغائر، وجعل الضابط في التفريق بين البدعة الكبيرة والصغيرة هو مدىٰ إخلال هذه البدعة بضرورة من ضروريات الدين المعتبرة، **قال الإمام الشاطبي**: «ما أخلّ منها بأصل من هذه الضروريات فهو كبيرة، وما لا فهي صغيرة»[(١)].

ولكن ينبغي التنبه إلىٰ أن هذا الضابط ليس علىٰ إطلاقه؛ لأن حكم الكبيرة يختلف بحسب حال المبتدع وعلمه، وما إذا كان يدعو إلىٰ بدعته أم لا، ومدىٰ انتشار العلم في زمانه ومكانه، ومدىٰ إصراره علىٰ بدعته، وغير ذلك من الأمور المعتبرة في الحكم علىٰ البدعة.

ومما يجدر التنبيه إليه كذلك أن بعض العلماء ذهب إلىٰ أن أقسام البدعة تدور مع الأحكام الخمسة، ولكن هذا التقسيم تقسيم باطل لا دليل عليه من القرآن أو السنة؛ بل إنه تقسيم متناقض في نفسه.

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (٢/ ٥٧).

المسألة الثالثة: ذم التفرق والاختلاف.

الأدلة علىٰ ذم التفرق:

لقد ذَمَّ الله التفرق ونهىٰ عن الطرق والأسباب المؤدية إليه، وقد جاءت النصوص التي تحذر منه وتبين سوء عاقبته وأنه من أعظم الأسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران].

قال ابن عباس: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام].

ومن السنة: حديث معاوية رضي الله عنه أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(١)

- **الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة:**

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لا سيما الاختلاف في الكتاب المنزل عليهم.

---

(١) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٤٥٩٧).

عن أنس رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: **«أنَّ حُذَيْفَةَ قدِمَ علىٰ عثمانَ بنِ عفَّانَ، وَكانَ يغازي أَهْلَ الشَّامِ في فتحِ أرمينيةَ وأذربيجانَ معَ أَهْلِ العراقِ، فرأىٰ حُذَيْفةُ اختلافَهُم في القُرآنِ، فقالَ لعُثمانَ بنِ عفَّانَ: يا أميرَ المؤمنينَ، أدرِكْ هذِهِ الأمَّةَ قبلَ أن يختلِفوا في الكتابِ كما اختلفتِ اليَهودُ والنَّصارَىٰ، فأرسلَ إلىٰ حفصةَ أن أرسِلي إلينا بالصُّحفِ ننسخُها في المصاحفِ ثمَّ نردُّها إليكِ، فأرسلَت حفصةُ إلىٰ عثمانَ بنِ عفَّانِ بالصُّحفِ، فأرسلَ عثمانُ إلىٰ زيدِ بنِ ثابتٍ وسعيدِ بنِ العاصِ وعبدِ الرَّحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ أنِ انسخوا الصُّحفَ في المصاحفِ، وقالَ للرَّهطِ القرشيِّينَ الثَّلاثةِ: ما اختلفتُمْ فيهِ أنتُمْ وزيدُ بنُ ثابتٍ فاكتبوهُ بلسانِ قُرَيْشٍ، فإنَّما نزلَ بلِسانِهِم، حتَّىٰ نسَخوا الصُّحفَ في المصاحِفِ، بعثَ عثمانُ إلىٰ كلِّ أفقٍ بمصحَفٍ من تلكَ المصاحفِ الَّتي نسَخوا»** (١).

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**(٢) متفق عليه.

فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به معللًا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف علىٰ الرسل بالمعصية، أي: بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٧١٨).
(٢) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٣١٠٤).

• هل الاختلاف رحمة؟

اختلاف فقهاء المسلمين في المسائل الفقهية الفرعية، رحمة وسعة، كما سماها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما جاءه رجل بكتاب في اختلاف الفقهاء فقال له: «سمه كتاب السعة»، ووجه الرحمة أن للمسلم أن يقلد من شاء منهم، من غير أن يتعمد التيسير دائمًا أو التشديد دائمًا، بعكس ما لو ضُيق عليه بقول واحد يجعل عليه الحرج، والحرج مرفوع في دين الله.

أما الاختلاف الذي يجلب التنازع والفرقة والسباب والشتم والشحناء والبغضاء، فهو مذموم سواء كان في مسائل الاعتقادات أو الفقهيات، ولا يكون ذلك إلا من بغي الإنسان وظلمه، فاعتبر بذلك، واجعل موالاتك للمسلمين، وأحسن الظن بهم أنهم ما أرادوا إلىٰ معرفة الدين الحق الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام.

• طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف:

من المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة، والجماعة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الاعتصام»**: «إن الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان».

فطريق الخلاص: هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ

تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة -أو قال: أمة محمد علىٰ ضلالة- ويد الله علىٰ الجماعة**»(١).

وبهذا نختم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالىٰ، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ ... وأي منهج خالف هذا الطريق فإنه منهج خاسر، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من البدع، وهو الطريق الذي صلحت به أحوال الأمة في صدر الإسلام.

❁ ❁ ❁

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢١٦٧). انظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، للألباني برقم (١٨٤٨).

الأصل الخامس

نواقض الإسلام(١)

يُشهد للإنسان للإسلام في الظاهر بأداء الشهادتين أو بإظهاره أي معلم من معالم الإسلام وشرائعه، لكنه يخرج عن ملة الإسلام إن أتىٰ بمجموعة من الاعتقادات أو الأقوال أو الأفعال نص عليها العلماء، وهي المسماة: «**نواقض الإسلام**»، **والحكم بخروج شخص معين من الإسلام لا يكون بمجرد فعله لناقض من هذه النواقض بل لابد من إقامة الحجة عليه والتبيين له والتوضيح لشبهاته بما يصلح لزوالها وهي وظيفة العلماء والقضاة وأولو الأمر.**

النواقض لغةً:

النواقض جمع، مفرده ناقض. يُقال: نَقَضَ الشيءَ نَقْضًا: أفسده بعد إحكامه. ونَقَضَ ما أبْرَمه فلانٌ: أبطله. فالنَّقْضُ ضد الإبرام، ومنه نقض العهدَ أو اليمين: نكثَه، ونقضَ الحبلَ أو الغزلَ: حلَّ طاقاته، ونقضَ البناءَ: هَدَمَه(٢).

(١) انظر: «المفيد في مهمات التوحيد» لعبد القادر صوفي.

(٢) انظر: أساس البلاغة للزمخشري ص٦٥١. والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص٨٤٦. ولسان العرب لابن منظور ٧/ ٢٤٢. والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص٩٤٧.

المراد بنواقض الإسلام:

يُراد بنواقض لا إله إلا الله (الإسلام) مُفسِدَاتُها؛ أي الأمور التي إذا فعلها الشخص، فَسَدَ توحيدُه وانتقضَ(١).

فإذا وُجِد في العبد ناقضٌ من نواقض «لا إله إلا الله»، فإنَّه لا يكون من المسلمين، ولا يكتسب أحكامَهم، بل يُعطىٰ أحكام أهل الشرك والكفر.

ذكر نواقض الإسلام:

تنوّعت طرائق العلماء في ذكر هذه النواقض، وتقسيماتها، وتفريعاتها. وثمَّة تقسيمات متعددةٌ، وكلُّها صحيحة.

ومن نماذج هذه النواقض عشرة، سنكتفي بذكرها؛ لكونها الأهم والحديث عنها سيكون في الوقفات التالية:

الوقفة الأولىٰ: مع الناقض الأول: الإشراك بالله:

المراد بهذا الناقض:

يقع هذا الناقض إذا صَرَفَ الإنسان شيئًا من العبادة لغير الله ﷻ؛ من صلاة، أو زكاة، أو ذبح، أو نذر، أو نحو ذلك.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشركُ هو تشريكُ غير الله مع الله في العبادة؛ كأن يدعو الأصنام أو غيرَها أو يستغيث بها، أو ينذر لها، أو يُصلِّي لها، أو يصوم لها، أو يذبح لها . . .»(٢).

ومن العبادة: النَّذر، فمن صَرفه لغير الله فقد أشرك.

---

(١) انظر: شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص٩.

(٢) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٤/ ٣٢.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ اللهَ تعالىٰ مَدَحَ الموفين بالنذر، والله تعالىٰ لا يمدح إلا علىٰ فعل واجب أو مستحبّ، أو ترك محرَّم لا يمدح علىٰ فعل المباح المجرَّد، وذلك هو العبادة. فمن فعل ذلك لغير الله متقرِّبًا إليه، فقد أشرك»(١).

من الأدلة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]؛ فالله ﷻ قد حرَّم الجنَّة علىٰ كلِّ مُشركٍ، وجعل النَّار مأواه الدائم؛ لأنَّه ترك القيام بعبوديته ﷻ(٢).

١- قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]؛ فـ«**مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشرك به شيئًا دَخَلَ الجنَّة، ومَنْ لَقِيَه يُشرك به دخل النَّار**»، كما قال الصادق المصدوق ﷺ.

الوقفة الثانية: مع الناقض الثاني: مَنْ جعل وسائط وشفعاء بينه وبين الله، يدعوهم مع الله، أو من دون الله، أو يسألهم الشفاعة، أو يتوكل عليهم(٣):

المراد بهذا الناقض:

أن يجعل العبدُ لنفسِه واسطةً بينه وبين الله ﷻ، فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو فيما لا يُشرع ولا يجوز للعبد أن يجعله واسطة؛ كطلب الرحمة

---

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله، ص٢٠٣.

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص١٩١.

(٣) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصَّلًا في الباب الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.

والمغفرة، ودخول الجنَّة، وطلب الشفاء، والرزق من غير الله ﷻ. فهذا من الشرك الأكبر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **عن هذا الناقض:** «فمَن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكَّل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضارّ؛ مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسدّ الفاقات، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين»(١)، لأن الثمرة التي يُريد أن يصل إليها من يُجيز جعل الوسائط بين العبد وربِّه، هو إثبات الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وهذا هو الشرك بعينه(٢).

من الأدلَّة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

٢- قول الله ﷻ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

٣- قول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص٣٧.

الوقفة الثالثة: مع الناقض الثالث: عدم تكفير المشركين، أو الشكّ في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم.

المراد بهذا الناقض:

أَمَرَ الله ﷻ رسولَه ﷺ في آيات كثيرةٍ بالبعد عن الكفَّار والمشركين، والمخالفة لهم، والبراءة منهم. قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

و«مسألة الحكم بتكفير الكافر مبنيَّة علىٰ أصلٍ كبيرٍ؛ وهو أنَّ الله تعالىٰ عقد الأخوَّة والموالاة والمحبَّة بين المؤمنين كلِّهم، ونهىٰ عن موالاة الكافرين كلِّهم، مِمَّن ثبت في الكتاب والسنَّة الحكم بكفرهم»(١).

فـ«مَنْ لم يُكفِّر المشركين الذين كُفرُهم وشركهم ظاهرٌ بيِّنٌ، فهو كافر؛ لأنَّ الله تعالىٰ كفَّرهم في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، فلا يُحكم بإسلام المرء حتَّىٰ يُكفِّر المشركين»(٢).

من الأدلَّة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

٢- قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

(١) شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص٥١.

(٢) تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص٥٣.

٣- قول الله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الوقفة الرابعة: مع الناقض الرابع: من اعتقد أنَّ غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه، أو أنَّ حكمَ غيره أحسن من حكمه.

المراد بهذا الناقض:

من اعتقد أنَّ هناك دينًا أحسن من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، أو هَدْيًا أكمل من هديه ﷺ، أو حكمًا أفضل من الحكم الذي أتىٰ به من ربِّه ﷻ، فقد كفر؛ لأنَّه كذَّب ما جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ؛ فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ويقول رسول الله ﷺ: «... **وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ**».

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «من اعتقد أنَّ حكمَ غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتمّ وأشمل لما يحتاجه النَّاس من الحكم بينهم عند التنازع؛ إمَّا مطلقًا، أو بالنسبة إلىٰ ما استجدّ من الحوادث التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغيُّر الأحوال، فلا ريب أنَّه كُفرٌ؛ لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصِرف نحالة الأفكار، علىٰ حكم الحكيم الحميد»[(١)].

(١) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص١٤.

من الأدلَّة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]؛ فالله سبحانه وتعالى طلب من عباده الاحتكام إلىٰ كتابه وسنَّة نبيِّه ﷺ عند وقوع التنازع.

٢- قول الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠]؛ فأخبر سبحانه وتعالى أنَّ الاحتكام إلىٰ غير كتابه وسنَّة نبيِّه ﷺ إضلالٌ من الشيطان، وهو من صنيع المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء: ٦١].

٣- قول الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]؛ فنفىٰ الإيمان عَمَّن لم يرض بحكم الله ﷻ.

الوقفة الخامسة: مع الناقض الخامس: من أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرسول ﷺ.

المراد بهذا الناقض:

بُغضُ وكراهية الحقّ من صفات الكفَّار، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، وهو أيضًا من صفات المنافقين الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

فمن أبغضَ وكره ما شرعه الله ﷻ، أو أبغض وكره التكاليف الشرعيَّة -من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها-، وتمنَّىٰ أنَّ الله لم يُكلِّف بها، فهذا لا شكّ في كفره؛ لأنَّ في صنيعه تركًا للقبول والانقياد والتسليم التي تقدَّم الحديث عن أنَّها من شروط «لا إله إلا الله»(١).

ولذلك كفَّر العلماء من اتَّصف بهذه الصفة، وقالوا: «تكفيرُ هذا معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوءٌ من تكفير مثل هذا النوع . . .»(٢).

من الأدلَّة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]؛ فهؤلاء كرهوا ما أنزل الله من القرآن -وهو ما جاء به النبي ﷺ-، فلم يقبلوه، بل أبغضوه، ورفضوه، فأحبط الله أعمالهم والأعمال لا تحبط إلا بالكفر الذي يُناقض الإيمان.

٢- قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. ولا ريب أنَّ من أبغض ما جاء به رسول الله ﷺ مخالفٌ لأمره عليه الصلاة والسلام.

٣- قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «من تَرَكَ السُّنَّة كَفَرَ»(٣). وقوله رضي الله عنه محمولٌ علىٰ الترك مع البُغض والجحود، أو علىٰ ترك منهج النبيّ ﷺ وطريقته التي أوجب علىٰ أُمَّته سلوكها(٤).

---

(١) انظر: تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام للقحطاني ص٦٩.

(٢) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول لابن تيمية ص٥٢٢.

(٣) ذكره ابن بطة العكبري في الشرح والإبانة ص١٢٣.

(٤) انظر: شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص٦٨-٦٩.

الوقفة السادسة: مع الناقض السادس: مَن استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثوابه أو عقابه.

المراد بهذا الناقض:

من تجرَّأ بكلامٍ فيه غضٌّ من دين الله، أو تنقُّصٌ له، أو استهزاءٌ به، أو تنقّص لرسول الله ﷺ، أو استهزاء به، كفر بإجماع علماء المسلمين(١).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «ولهذا أجمع العلماء علىٰ كُفْر من فَعَلَ شيئًا من ذلك؛ فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، كفر -ولو هازلًا لم يقصد حقيقة الاستهزاء- إجماعًا»(٢).

ويقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: «اعلم أنَّ العلماء قد أجمعوا علىٰ أنَّ من استهزأ بالله، أو رسوله، أو كتابه، فهو كافرٌ، وكذا إذا أتىٰ بقولٍ أو فعلٍ صريحٍ في الاستهزاء»(٣).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «فإنَّ الاستهزاء بالله ورسوله كفرٌ مخرجٌ عن الدين؛ لأنَّ أصل الدين مبنيّ علىٰ تعظيم الله، وتعظيم دينه، ورسله. والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشدّ المناقضة»(٤).

---

(١) انظر: الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول لابن تيمية ص٥١٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله، ص٦١٧. وانظر: روضة الطالبين للنووي ١٠/ ٦٤-٦٥.
والروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان ٢/ ٢٩٣. وفتاوىٰ العقيدة لابن عثيمين ص١٩٢.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية -لعدد من العلماء- ١٠/ ٤٢٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان لابن سعدي ٣/ ٢٥٩.

من الأدلَّة على هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

هاتان الآيتان حكمتا بكفر المستهزئين بالله، أو بدينه، أو بكتابه، أو برسوله، ولنزولهما سببٌ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه: «أنَّ رجلًا قال في غزوة تبوك، في مجلس: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسُنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ، ولكنَّك منافق، لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ. فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ، ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيتُه متعلقًا بحَقَبِ[(١)] ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبُه الحجارةُ[(٢)]، وهو يقول: يا رسولَ الله إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ. ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾»[(٣)].

فدلَّت هاتان الآيتان على كفر المستهزئ بالله ﷻ، أو بآياته، أو برسوله ﷺ.

---

(١) حَقَب الناقة: الحزام الذي يلي حَقْوَ البعير. أو هو حبلٌ تُشَدُّ به الحقيبة (المعجم الوسيط ص١٨٧).

(٢) أي تُدْميها (المعجم الوسيط ص٩٥٠).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٦/ ٤٠٩. وإسناده لا بأس به. وانظر مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٢٧٢-٢٧٣. والحذر بمعرفة أنّ من هزأ بالدين كفر لجمال الدين باشا ٢٢-٣٣.

فائدة:

سُئل فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هل تنطبق الآيتان السابقتان علىٰ الذين يسخرون ويستهزئون بالذين يعفون لحاهم، ويلتزمون بدين الله؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «هؤلاء الذين يسخرون بالذين يلتزمون بدين الله المُنَفِّذين لأوامره، إذا كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشّرع، فإنَّ استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة، والاستهزاء بالشريعة كفرٌ. أمَّا إذا كانوا يستهزئون بهم، يَعْنُون أشخاصهم -بقطع النظر عمَّا هم عليه من اتِّباع السُّنَّة في الثياب واللحية-، فإنَّهم لا يكفرون بذلك؛ لأنَّ الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه، بغضّ النظر عن عمله وفعله. لكن يجب علىٰ كلّ إنسان أن يحذر من الاستهزاء بأهل العلم، أو الاستهزاء بأهل الدين الذين يتمسَّكون بما دلَّ عليه كتابُ الله وسنَّة رسوله ﷺ»(١).

❁ ❁ ❁

الوقفة السابعة: مع الناقض السابع: السِّحْرُ، ومنه الصرفُ والعطفُ.

السحر من نواقض «لا إله إلا الله».

ومن السحر أدوية وعقاقير وعُقَد وطلاسم تُؤثِّر علىٰ بدن المسحور فتجده ينصرف عن زوجته «الصرف»؛ فيُبغضها ويُبغض بقاءها معه. أو ينعطف قلبُه ويميل نحو زوجته أو امرأة أُخرىٰ «العطف»؛ حتىٰ يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء(٢).

---

(١) فتاوىٰ العقيدة لابن عثيمين ص١٩٦. وانظر: المرجع نفسه ص١٩٧.

(٢) انظر: شرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص٧٨-٨٧. وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص٧٩-٨٤.

والدليل علىٰ هذا الناقض، قول الله ﷻ: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الوقفة الثامنة: مع الناقض الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم علىٰ المسلمين.

المراد بهذا الناقض:

المقصود من مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين: أن يتّخذ البعضُ الكفَّارَ والمشركين أولياء؛ فيكونوا لهم أنصارًا وأعوانًا ضدّ المسلمين، وينضمُّون إليهم، ويذبُّون عنهم بالمال والسنان والبيان. فهذا كفرٌ يُناقض الإسلام.

والله ﷻ نهانا في آيات كثيرة أن نتّخذ الكفَّار والمشركين أولياء.

ومن معاني هذه الولاية التي نُهينا أن نصرفها لهم: المحبَّة، والمودّة الدينيَّة، والنُّصرة، والتأييد علىٰ المسلمين، والمظاهرة والنصرة بالقتال بالذات تصل لدرجة الكفر(١).

من الأدلة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ

(١) انظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ١٦٠-١٦١.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ أي لا تتخذوا أيّها المؤمنون الكفّار ظَهْرًا وأنصارًا تُوالونهم علىٰ دينهم، وتُظاهرونهم علىٰ المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم علىٰ عوراتهم؛ فإنَّه من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر. إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم علىٰ أنفسكم، فتُظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتُضمروا لهم العداوة، ولا تُشايعوهم علىٰ ما هم عليه من الكفر، ولا تُعينوهم علىٰ مسلمٍ بفعلٍ(١).

٢- قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]؛ أي لا تتخذوا أيُّها المؤمنون اليهودَ والنصارىٰ أولياء، ومن يفعل ذلك منكم فإنَّه منهم؛ لأنَّ «التولِّي التامّ يُوجِب الانتقال إلىٰ دينهم، والتولِّي القليل يدعو إلىٰ الكثير، ثم يتدرّج شيئًا فشيئًا، حتىٰ يكون العبد منهم»(٢).

٣- قول الله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ فأخبر ﷻ أنَّ المؤمن -الذي لابُدَّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مِمَّا سواهما- لا تجده موادًّا لمن حادَّ الله

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٣/ ٢٢٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٢/ ٣٠٤.

ورسوله؛ فإنَّ هذا جمع بين ضِدَّين لا يجتمعان، ومحبوبُ الله، ومحبوب معاديه لا يجتمعان(١).

٤- قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المُمْتَحنَة: ٩]؛ فأخبر ﷻ أنَّ من يفعل ذلك -أي من يتولَّىٰ الكفَّار- فإنَّه ظالم، «وذلك الظلم يكون بحسب التولِّي، فإن كان تولِّيًا تامًّا، كان ذلك كفرًا مُخرجًا عن دائرة الإسلام»(٢).

الوقفة التاسعة: مع الناقض التاسع: من اعتقد أنَّ بعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخروج عن شريعة محمَّدٍ ﷺ، كما وَسِعَ الخضر عليه السلام الخروج عن شريعة موسىٰ عليه السلام.

المراد بهذا الناقض:

يعتقد البعضُ أنَّ بالإمكان الخروج عن شريعة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ ومخالفته، والاستغناء عن متابعته في عموم أحواله أو بعضها، زاعمين أنَّ في قصَّة الخضر عليه السلام حُجَّةً لهم(٣).

ولا ريب أنَّ هذا الاعتقاد كُفرٌ مُخرجٌ عن الملَّة. يقول الشيخ موسىٰ بن أحمد المقدسيّ: «من اعتقدَ أنَّ لأحدٍ طريقًا إلىٰ الله من غير مُتابعة محمَّدٍ ﷺ، أو لا يجب عليه اتّباعه، أو أنَّ له أو لغيره خروجًا عن اتّباعه وأخْذِ ما بُعِث به، أو قال: أنا مُحتاجٌ إلىٰ محمَّدٍ في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة. أو قال: إنَّ من الأولياء من

(١) انظر: قاعدة في المحبَّة لابن تيمية ص٨٩-٩٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧/ ٣٥٧.
(٣) انظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٤٢٢.

يَسَعُه الخروج عن شريعتِه كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ، أو أنَّ غيرَ هدي النبيّ ﷺ أكمل من هَدْيِهِ، فهو كافرٌ»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من اعتقد أنَّ أحدًا من أولياء الله يكون مع محمَّد ﷺ كما كان الخضر مع موسىٰ عليه السلام، فإنَّه يُستتاب، فإن تاب، وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ»(٢).

وقصّة الخضر مع موسىٰ قصَّها اللهُ علينا(٣)، وفيها: خَرْقُ الخضر للسفينة، وقتله للغلام، وإقامته للجدار. وقد زعم المحتجُّون بها أنَّ الخضر خالف موسىٰ عليه السلام وخرج عن شريعته، وعن الأمر والنهي الشرعيَّيْن. قالوا: وكذلك يسوغ لبعض النَّاس الخروج عن الشريعة النبويَّة كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسىٰ عليه السلام(٤).

ومزاعمهم هذه مردودة عليهم من وجوه(٥):

١- إنَّ موسىٰ عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلىٰ الخضر، ولا كان علىٰ الخضر اتباعه، بل كان مبعوثًا إلىٰ قومه خاصَّة؛ إلىٰ بني إسرائيل، والخضر عليه السلام ليس من بني إسرائيل. وموسىٰ عليه السلام قَصَدَ الخضر للتعلُّم منه، والأخذ عنه، وحين لقيه قال له: «أتيتُك لتعلِّمني مِمَّا عُلِّمتَ رُشْدًا»(٦). فلا يُقاس عليه رسولُنا ﷺ الذي أرسله الله لجميع الثقلين؛ الجنّ والإنس، كما قال ﷺ:

(١) الإقناع لطالب الانتفاع لموسىٰ المقدسيّ ٤/ ٢٨٧-٢٨٨.
(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٤٢٢.
(٣) في سورة الكهف، الآيات ٦٠-٨٢.
(٤) انظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٤٢٠.
(٥) ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٢٦٣.
(٦) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسىٰ عليهما السلام.

«وكان النبيُّ يُبعث إلىٰ قومه خاصَّة، وبُعثتُ إلىٰ النَّاس عامَّة»[١]. ولا يُعتبر صنيع الخضر خروجًا علىٰ شريعة موسىٰ عليه السلام.

٢- إنَّ قصَّة الخضر عليه السلام ليس فيها مخالفة للشريعة، بل ما فعله عليه السلام يُباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر عليه السلام. ولهذا لَمَّا بيَّن الخضر لموسىٰ أسبابها، وافقه موسىٰ عليه السلام علىٰ ذلك، ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسىٰ، لما وافقه بحال[٢].

أمَّا هذا الذي يُريد الخروج علىٰ شريعة محمَّد ﷺ، فهو مخالفٌ لشريعته. ويتضح ذلك في الوجه الثالث.

٣- إنَّ ما فعله الخضر عليه السلام كان عن وحي من الله عز وجل، وليس مجرَّد خيال أو إلهام. وهذا لا يُمكن أن يكون لأحدٍ بعد رسولنا ﷺ؛ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بموته انقطع الوحي. ومن ادّعىٰ حصوله كَفَرَ[٣].

إذًا: لا يجوز الخروج علىٰ شريعة خاتم الانبياء والمرسلين ﷺ بحال، ومن فعل ذلك، فهو كافرٌ مرتدّ، وهو من أعظم الناس كفرًا[٤].

الوقفة العاشرة: مع الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله، فلا يتعلّمه، ولا يعمل به.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمُّم، باب ١، حديث رقم ٣٣٦.

(٢) انظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٢٦٣. وشرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص١٠٠-١٠١. وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص١٠٠.

(٣) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة لعبد الرحمن عبد الخالق ص١٣٢.

(٤) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ١/١٢٣.

المراد بهذا الناقض:

الإعراض التامّ عن دين الله ﷻ، والتولِّي عن طاعة رسول الله ﷺ، والامتناع عن الاتِّباع، والصدود عن قبول حكم الشريعة؛ فلا إرادة له في تعلُّم الدين، ولا يُحدِّث نفسه بغير ما هو عليه[1]، ويُعْرِض إعراضًا كُليًّا عن جنس العمل الظاهر «الطاعة أو الاتباع». والإعراض التامّ الكُلِّي لا يقع إلا مِمَّن تمكَّن من العلم ومعرفة الحقّ، وتمكَّن من العمل، فأعرض، وفرَّط، وترك ما أوجبه الله عليه، من غير عذر. فهذا وأمثاله مفرِّط بإعراضه عن اتِّباع داعي الهدىٰ. فإذا ضلَّ، فإنَّما أُتي من تفريطه وإعراضه[2].

ويجب أن يُعلَم أنَّ الإعراض ليس كله مِمَّا يُخرج من الملَّة، بل الذي يُكفَر بتركه هو الإعراض عن تعلُّم الإيمان العام المجمَل، والإعراض عن جنس العمل الذي يُعدُّ شرطًا في صحّة الإيمان[3]، فهذا هو الذي يكفر فاعلُه لأنَّه لم يتعلَّم دين الله، ولم يعمل به.

يقول العلامة ابن القيم عن الإعراض عن تعلُّم الإيمان المجمل الذي يُدخل صاحبه في دائرة الإسلام: «والإسلام هو توحيدُ الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله، واتّباعه فيما جاء به. فما لم يأت العبدُ بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرًا مُعاندًا، فهو كافرٌ جاهلٌ»[4].

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيَّة ص٤١٢-٤١٣. وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص١٠٢.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزيَّة ١/ ٤٣. والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٣/ ١٧.

(٣) انظر: شرح نواقض الإسلام لحسن عواجي ص١٠٥. وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص١٠٢-١٠٣.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيَّة ص٤١١.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإعراض عن العمل: «وقد تبيَّن أنَّ الدينَ لابُدَّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأنَّه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤدِّ واجبًا ظاهرًا، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صيامًا، ولا غير ذلك من الواجبات»[١].

من الأدلَّة علىٰ هذا الناقض:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧-٤٨]؛ «فنفىٰ الإيمان عمَّن تولَّىٰ عن العمل، وإن كان قد أتىٰ بالقول»[٢].

٢- قول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]؛ فدلَّ علىٰ أنَّ من تولَّىٰ عن طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، فهو كافر[٣].

٣- قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]؛ «فبيَّن سبحانه أنَّ من تولَّىٰ عن طاعة الرسول ﷺ، وأعرض عن حكمه، فهو من المنافقين، وليس بمؤمن»[٤].

٤- قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٦٢١.
(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ١٤٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٣٨.
(٤) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول لابن تيمية ص٣٣.

أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]؛ فأخبر ﷻ أنَّ المعرضين في معيشة ضنك، وضيقٍ، وأنَّهم يُحشرون يوم القيامة عُميًا.

• **تنبيه مهم: كما تقدم فإن وقوع المسلم في أحد النواقض لا يلزم منه أنه يُكفر بعينه وتطبق عليه أحكام الكفار فهذه طريقة الغلاة الذين لا ينضبطون بأصول الشرع والدين، ويأتي مزيد بيان لهذا الأصل في الفصل القادم.**

الأصل السادس

موقف أهل السنة والجماعة من مسألة التكفير(١)

مِنْ أُصُولِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّهُمْ لاَ يُكَفِّرُونَ أَحَدًا بِعَيْنِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ! ارْتَكَبَ مُكَفِّرًا؛ **إِلاَّ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ الَّتِي يُكَفَّرُ تَارِكُهَا بِهَا؛ فَتَتَوَفَّرُ الشُّرُوطُ، وَتَنْتَفِي الْمَوَانِعُ، وَتَزُولُ الشُّبْهَةُ عَنِ الْجَاهِلِ وَالْمُتَأَوِّلِ.**

وَلاَ يُكَفِّرُونَ الْمُكْرَهَ؛ إِذَا كَانَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ؛ بَلْ لاَ يُكَفِّرُونَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ ذَنْبٍ، وَلَو كَانَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ الَّتِي هِي دُونَ الشِّرْكِ؛ فَهُمْ لاَ يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مُرْتَكِبِهَا بِالْكُفْرِ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْفِسْقِ وَنَقْصِ الإِيمَانِ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّ ذَنْبَهُ، وَإِذَا مَاتَ الْعَبْدُ عَلَىٰ ذَنْبٍ -دُونَ الشِّرْكِ- لَمْ يَسْتَحِلَّهُ؛ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ؛ خِلاَفًا لِلْفِرَقِ الضَّالَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ عَلَىٰ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ بِالْكَفْرِ، أَوْ بِالْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) مستفاد من كتاب (الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة) عبد الله بن عبد الحميد الأثري.

وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدٌ أَحَدًا دُونَ بُرْهَانٍ، فَقَالَ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا؛ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»(١).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ! وَلَيْسَ كَذلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ**»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ؛ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»(٣).

وَقَالَ ﷺ: «**وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»(٤).

وَقَالَ ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهُ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٥).

وَأَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحُكْمِ الْمُطْلَقِ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْبِدَعِ بِالْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْكُفْرِ، وَبَيْنَ الْحُكْمِ عَلَىٰ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ -مِمَّنْ ثَبَتَ إِسْلاَمُهُ بِيَقِينٍ- صَدَرَتْ عَنْهُ بِدْعَةٌ مِنَ الْبِدَعِ؛ بِأَنَّهُ عَاصٍ، أَوْ فَاسِقٌ، أَوْ كَافِرٌ؛ فَلاَ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ حَتَّىٰ يُبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، وَذَلِكَ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ **وَلاَ يُكَفِّرُونَ الْمُعَيَّنَ؛ إِلاَّ إِذَا تَحَقَّقَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتِ الْمَوانِعُ.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مُتآخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَىٰ الآخَرَ عَلَىٰ الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ:**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠٨، ٦٠٤٥) مفرقًا، ومسلم (٦١) مختصرًا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١) بنحوه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١١٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٠٤).

وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ -أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ!- فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: كُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ»(١).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(٢).

وَأَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَعْظَمُ النَّاسِ وَرَعًا فِي بَابِ التَّكْفِيرِ؛ لأَنَّ تَكْفِيرَ الْمُسْلِمِ مَسْأَلَةٌ خَطِيرَةٌ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ آثَارٌ عَظِيمَةٌ؛ فَيَجِبُ عَدَمُ الْخَوْضِ فِيهَا دُونَ دَلِيلٍ بَيِّنٍ، وَلأَنَّ الأَصْلَ فِي الْمُسْلِمِ الظَّاهِرِ الْعَدَالَةِ بَقَاءُ إِسْلاَمِهِ وَعَدَالَتِهِ؛ حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ زَوَالُ ذَلِكَ عَنْهُ بِمُقْتَضَىٰ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ، وَمِنْهَا يَنْبَغِي الاحْتِرَازُ مِنَ التَّكْفِيرِ مَا وُجِدَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ؛ فَبَابُ التَّكْفِيرِ بَابٌ خَطِيرٌ وَعَظِيمٌ، مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْوَاجِبَ فِيهِ! يَزِلُّ وَيَضِلُّ، وَقَدْ تَوَقَّفَ فِيهِ كِبَارُ الأَئِمَّةِ فَسَلِمُوا، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ الْمُبْتَدِئُونَ فَسَقَطُوا.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: فِي مَسَائِلِ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ يَحْكُمُونَ عَلَىٰ النَّاسِ بِظَوَاهِرِهِمْ؛ فَإِنْ أَظْهَرُوا الإِسْلاَمَ حُكِمَ لَهُمْ بِالإِسْلاَمِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَإِنْ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ حُكِمَ لَهُمْ بِالْكُفْرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ دُونِ أَنْ يَتَتَبَّعُوا بَوَاطِنَهُمْ.

- وَمَعَ هَذَا الْوَرَعِ الْعَظِيمِ فِي بَابِ التَّكْفِيرِ؛ فَهُمْ لَمْ يَتَرَدَّدُوا فِي تَكْفِيرِ مَنْ كَفَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ لأَنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ دَلَّتْ عَلَىٰ جَوَازِ تَكْفِيرِ مَن ارتَكَبَ عَمَلًا، أَوْ قَوْلًا مُكَفِّرًا؛ بَلْ جَعَلُوا تَكْفِيرَ الْكَافِرِ مِنْ أُصُولِهِمْ فِي الاعْتِقَادِ، وَحَكَمُوا بِكُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْكَافِرَ، أَوْ يَشُكَّ فِي كُفْرِهِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، واللفظ له، وأحمد (٨٢٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وابن حبان (٥٧١٢).

فمن (مَنْ ثَبَتَ إسلامهُ بيقينٍ فلا يزول بشك): علىٰ هذه القاعدةِ السَّلفيَّةِ العظيمة اتَّفقَ أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وساروا عليها، وتميَّزوا بها عن غيرهم؛ فكانوا أعظمَ النَّاسِ ورعًا في باب التكفير؛ لأَنَّ التَّكفيرَ من الأَحكام الشرعيَّة التوقيفيَّة؛ التي يجبُ التقيُّدُ بها، وهو من حقِّ الله تعالىٰ وحق رسُولِهِ ﷺ يثبتُ بأَدلَّة الكتابِ والسُّنَّة؛ فلا ينبغي إِطلاقُهُ علىٰ أَحدٍ إلاَّ بدليلٍ شرعيٍّ واضحٍ وثابتٍ، ولا يُطلق حُكم التَّكفير بمجرَّدِ الهوىٰ، أَو جهلٍ، أَو قياسٍ عقليٍّ، أَو ظَنِّيٍّ، أَو نُطْلِقُهُ علىٰ مَن خالفنا، وإن كان المخالف مُكَفِّرًا لنا؛ لأَنَّ الإِسلام نهىٰ عن تكفير المسلم من دون برهانٍ واضحٍ، ودليلٍ ساطعٍ نهيًا شديدًا، وحذَّرَ من الوقوع بذلك تحذيرًا عظيمًا.

فأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يُطلقونَ القول في التكفير، فيقولونَ: مَن قال كذا، أَو فعل كذا؛ فهو كافرٌ، وعندما يتعلَّقُ الأَمرُ بالشَّخصِ المعيَّن الذي قالَه أَو فعلَه، لا يحكمونَ بكُفره إِطلاقًا؛ حتىٰ تجتمعَ فيه الشُّروطُ، وتنتفيَ عنه الموانع، فعندئذٍ تقومُ عليه الحجَّةُ التي يُكفَّرُ بها؛ لأَنَّ التكفيرَ ليس حقًّا لأَحد، يحكمُ به علىٰ مَن يشاءُ وَفْقَ هواه؛ بل التكفيرُ حكمٌ شرعيٌّ، فيجبُ الرجوعُ في ذلك إِلىٰ الضوابطِ الشَّريعةِ الحكيمَةِ؛ فمن كفَّرهُ اللهُ تعالىٰ ورسولُهُ ﷺ وقامت عليه الحجَّةُ؛ فهو كافرٌ.

قال شيخُ الإِسلام ابن تيميَّة رحمهُ الله تعالىٰ: «فقد يكون الفعلُ أَو المقالةُ كفرًا، ويطلقُ القولُ بتكفير من قال ذلك؛ فهو كافرٌ. لكنَّ الشخص المعيَّن الذي قال ذلك القول أَو فعل ذلك الفعل لا يحكمُ بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجَّةُ التي يُكَفَّرُ تاركُها. وهذا الأَمرُ مطَّردٌ في نصوص الوعيد عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فلا يُشهدُ علىٰ معيَّنٍ من أَهل القبلة بأَنَّه من أَهل النَّار؛ لجواز أَن لا يلحقه، لفوات شرطٍ أَو لثبوت مانع»[1].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٦٥).

وقالَ أَيضًا: «وليس لأَحدٍ أَن يكفِّر أَحدًا من المسلمين، وإِن أَخطأَ وغلط؛ حتىٰ تُقام عليه الحجَّة، وتُبيَّن له المحجَّةُ، **ومَن ثبتَ إِسلامُهُ بيقين لم يزل ذلك عنه بشكٍّ**؛ بل لا يزولُ إلاّ بعد إِقامةِ الحجَّة، وإِزالةِ الشُّبهة»(١).

إِذن من الضَّرُورِيِّ أَن نفرِّق بين النوع والعين في التكفير؛ ذلك أَنَّه ليس كلُّ ما هو كفرٌ يكفر به شخصٌ بعينه؛ فينبغي التفرقةُ بين الحكم علىٰ القول بأَنَّه كفرٌ، والحكم علىٰ صاحبه المعيَّن بأَنَّه كافرٌ. قال شيخ الإِسلام ابن تيمية، ﷺ: «فالمتأَوِّلُ الجاهلُ والمعذورُ ليسَ حكمُهُ حكمُ المعاندِ والفاجرِ؛ بل قد جعل لكلِّ شيء قدرًا»(٢).

وقال أَيضًا: «وإِذا عُرِفَ هذا فتكفيرُ المعيِّنِ من هؤلاء الجهَّالِ وأَمثالهم -بحيثُ يحكمُ عليه بأَنَّه مع الكفار- لا يجوزُ الإِقدامُ عليه إِلاَّ بعدَ أَن تقومَ علىٰ أَحدِهِمُ الحجَّةُ الرساليَّةُ التي يُبَيَّنُ بها لهم أَنَّهم مخالفونَ للرُّسُل، وإِن كانت مقالتُهُم هذه لا ريبَ أَنَّها كفرٌ، وهكذا الكلامُ في جميع تكفير المعيَّنين»(٣).

وَالْكُفَّارُ فِي الشَّرْعِ صِنْفَانِ:

• كُفَّارٌ أَصْلِيُّونَ؛ أَي الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ الإِسْلام أَصْلًا، وَهُمْ: الدَّهْرِيُّونَ، وَالْفَلاَسِفَةُ، وَالْمُشْرِكُونَ، وَالْمَجُوسُ، وَالْوَثَنِيُّونَ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ؛ فَهؤُلاَءِ قَدْ دَلَّ عَلَىٰ كُفْرِهِمُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ، وَمَوتَاهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَيُحَرَّمُ عَلَيْهِمْ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَأَمْرُهُمْ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٤٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٨٨).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٥٠٠).

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

- الْمُرْتَدُّونَ؛ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَلَكِنْ يَصْدُرُ مِنْهُمْ اعْتِقَادٌ، أَوْ فِعْلٌ، أَوْ قَوْلٌ، يُنَاقِضُ إِسْلَامَهُمْ؛ فَيُكَفَّرُونَ بِذَلِكَ، وَإِنْ قَامُوا بِبَعْضِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ؛ كَالبَاطِنِيَّةِ، وَغُلَاةِ الرَّافِضَةِ، وَالْقَادِيَانِيَّةِ، وَنَحْوِهِمْ.

وَالْكُفْرُ نَقِيضُ الإِيمَانِ؛ إِلاَّ أَنَّ الْكُفْرَ فِي لِسَانِ الشَّرْعِ كُفْرَانِ:

إِذْ يَرِدُ الْكُفْرُ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ مُرَادًا بِهِ أَحْيَانًا الْكُفْرُ الْمُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَأَحْيَانًا أُخْرَىٰ يُرَادُ بِهِ الْكُفْرُ غَيْرُ الْمُخْرِجِ عَنِ الْمِلَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ لِلْكُفْرِ شُعَبًا؛ كَمَا أَنَّ لِلإِيمَانِ شُعَبًا، وَكَمَا أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَكَذَلِكَ الْكُفْرُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبُ كُلُّهَا مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الطَّاعَاتِ كُلَّهَا مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَجْتَمِعُ فِي الْعَبْدِ الإِيمَانُ وَبَعْضُ شُعَبِ الْكُفْرِ أَوِ النِّفَاقِ الَّتِي لاَ تُنَافِي أَصْلَ الإِيمَانِ وَحَقِيقَتَهُ.

وَالْكُفْرُ ذُو أُصُولٍ وَشُعَبٍ مُتَفَاوِتَةٍ؛ مِنْهَا مَا يُوجِبُ الْخُرُوجَ عَنِ الْمِلَّةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ.

وَيَقَعُ الْكُفْرُ: بِاعْتِقَادِ الْقَلْبِ، وَبِالْفِعْلِ، وَبِالْقَولِ، وَبِالشَّكِّ، وَبِالتَّرْكِ.

- **وَالْكُفْرُ -عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ- قِسْمَانِ:**

الأَوَّلُ - كُفْرٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ:

هُوَ مَا يُنَاقِضُ الإِيمَانَ وَيُبْطِلُ الإِسْلَامَ، وَيُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، وَيَكُونُ بِالاعْتِقَادِ، وَالْقَولِ، وَالْفِعْلِ، وَالشَّكِّ، وَالتَّرْكِ، وَالإِعْرَاضِ، وَالاسْتِكْبَارِ.

وَالْكُفْرُ الأَكْبَرُ أَنْوَاعٌ، مِنْهَا:

١- كُفْرُ الإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ وَالتَّكْذِيبِ:

هُوَ مَا كَانَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، مِثْلَ: اعْتِقَادِ كَذِبِ الرُّسُلِ، وَأَنَّ إِخْبَارَهُمْ عَنِ الْحَقِّ بِخِلاَفِ الْوَاقِعِ، أَوِ ادِّعَاءِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَاءَ بِخِلاَفِ الْحَقِّ، أَوْ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ شَيْئًا أَوْ أَحَلَّهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ خِلاَفُ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَنَهْيِهِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٢- كُفْرُ الإِبَاءِ وَالاِسْتِكْبَارِ مَعَ التَّصْدِيقِ:

هُوَ عَدَمُ الانْقِيَادِ وَالإِذْعَانِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ظَاهِرًا مَعَ الْعِلْمِ بِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بَاطِنًا، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقِرَّ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ حَقٌّ مِنْ رَبِّهِ؛ لَكِنَّهُ يَرْفُضُ اتِّبَاعَهُ أَشَرًا وَبَطَرًا وَاحْتِقَارًا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ: كَكُفْرِ إِبْلِيسَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْحَدْ أَمْرَ اللهِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ، وَلَكِنْ قَابَلَهُ بِالإِبَاءِ وَالاسْتِكْبَارِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

٣- كُفْرُ الإِعْرَاضِ:

بِأَنْ يُعْرِضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَلاَ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَلاَ يُكَذِّبُهُ وَلاَ يُوَالِيهِ وَلاَ يُعَادِيهِ وَلاَ يُصْغِي إِلَيْهِ أَلْبَتَّةَ وَيَتْرُكُ الْحَقَّ لاَ يَتَعَلَّمُهُ، وَلاَ يَعْمَلُ بِهِ وَيَهْرُبُ مِنَ الأَمَاكِنِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْحَقُّ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرَ إِعْرَاضٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

٤- كُفْرُ الشَّكِّ:

بِأَنْ لاَ يَجْزِمَ بِصِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ كَذِبِهِ؛ بَلْ يَشُكُّ فِي أَمْرِهِ، وَيَتَرَدَّدُ فِي اتِّبَاعِهِ، إِذِ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ؛ الْيَقِينُ التَّامُّ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لاَ مِرْيَةَ فِيهِ، فَمَنْ تَرَدَّدَ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ أَوْ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ خِلاَفَهُ؛ فَقَدْ كَفَرَ كُفْرَ شَكٍّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

٥- كُفْرُ النِّفَاقِ:

هُوَ إِظْهَارُ الإِسْلاَمِ وَالْخَيْرِ، وَإِبْطَانُ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ، وَهُوَ مُخَالَفَةُ الْبَاطِنِ لِلظَّاهِرِ وَإِظْهَارُ الْقَولِ بِاللِّسَانِ أَوِ الْفِعْلِ بِخِلاَفِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الاعْتِقَادِ.

وَالْمُنَافِقُ: يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، وَسِرُّهُ عَلاَنِيَتَهُ؛ فَهُوَ يَدْخُلُ الإِسْلاَمَ مِنْ بَابٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ بَابٍ آخَرَ، وَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ ظَاهِرًا، وَيَخْرُجُ مِنْهُ بَاطِنًا؛ فَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الأَكْبَرُ(١)، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

---

(١) والنفاقُ في الشرع نوعان: نفاقٌ أكبر، ونفاقٌ أصغر.

• النفاقُ الأكبرُ المخرجُ من الملَّة: وهو إبْطانُ الكُفر في القلب، وإظهارُ الإيمان علىٰ اللسان والجوارح، ويترتَّبُ علىٰ هذا النوع ما يترتَّبُ علىٰ الكُفر الأكبر من انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنَّمَ؛ لكنَّ المنافق أشدُّ عذابًا من الكافر؛ لأنَّه في الدَّرك الأسفل من النار إذا مات عليه. وأمثلة ذلك: مَن كذَّب بما جاء به الله تعالىٰ، أو بعض ما جاء به الله، وكذَّب الرَّسول ﷺ، أو بعض ما جاء به الرسول ﷺ كمَن لم يعتقد وجوب طاعته ﷺ أو أبغض الرَّسول ﷺ أو كره الانتصار لدين الرَّسول ﷺ أو سُرَّ بكسر راية الدِّين وإلىٰ غير ذلك من الأعمال الكفرية.

• النفاقُ الأصغرُ غير الْمُخرجِ من الملَّة: وهو النفاقُ العمليُّ، واختلافُ السِّرِّ والعلانيةِ في الواجباتِ، وذلك بعمل شيءٍ من أعمال المنافقين مع بقاء أصل الإيمان في القلب، وصاحبُهُ لا يخرُجُ من الملَّة، وهو مُعرَّضٌ للعذاب كسائر أصحاب المعاصي دون الخلود في النَّار. وأمثلة ذلك: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانةُ الأمانةِ، والفجورُ في الخصومة، والغدرُ بالعهود، وكالرِّياء الذي لا يكونُ في أصلِ العملِ وإظهارِ المودَّة للغيرِ، والقيام له بالخدمة مع إضمارِ عَكْسِهِ في الباطنِ، وغيرُهُا من الأعمالِ التي ذكرت في الأحاديثِ النبويَّةِ.

٦- كُفْرُ السَّبِّ وَالاسْتِهْزَاءِ:

هُوَ الاِسْتِهْزَاءُ، أَوِ الانْتِقَاصُ، أَوِ السَّبُّ، أَوِ السُّخْرِيَّةُ؛ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الإِسْلاَمِ، مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ؛ سَواءٌ كَانَ الشَّخْصُ هَازِلًا، أَوْ لاَعِبًا، أَوْ مُجَامِلًا لِلْكفَّارِ، أَوْ فِي حَالِ الْمُشَاجَرَةِ، أَوْ فِي حَالِ الْغَضَبِ، وَنَحْوِهَا؛ فَقَدْ أَجْمَعَ الأَئِمَّةُ عَلَىٰ كُفْرِ فَاعِلِهِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

٧- كُفْرُ الْبُغْضِ:

هُوَ كُرْهُ دِينِ الإِسْلاَمِ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ شَرعِ اللهِ تَعَالَىٰ، أَوْ مِمَّا أَنْزَلَ، أَوْ كُرْهُ نَبِيِّ الإِسْلاَمِ ﷺ، أَوْ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ تَمَنٍّ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، أَوْ كُرْهُ شَيْءٍ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ؛ بِأَنَّهُ مِنَ الدِّينِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ مِنَ الْكُفْرِ وَغَيْرُهَا مُوجِبَةٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَمُحْبِطَةٌ لِجَمِيعِ الأَعْمَالِ؛ إِذَا مَاتَ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

الثَّانِي- كُفْرٌ أَصْغَرُ غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنَ الْمِلَّةِ:

هُوَ مَا لاَ يُنَاقِضُ أَصْلَ الإِيمَانِ؛ بَلْ يُنْقِصُهُ وَيُضْعِفُهُ، وَلاَ يَسْلُبُ صَاحِبَهُ صِفَةَ الإِسْلاَمِ، وَيَكُونُ صَاحِبُهُ مُتَعَرِّضًا لِلْوَعِيدِ إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْهُ؛ وَقَدْ أَطْلَقَهُ الشَّارِعُ عَلَىٰ بَعْضِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ عَلَىٰ سَبِيلِ الزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ؛ لأَنَّهَا مِنْ خِصَالِ الْكُفْرِ، وَهِي لاَ تَصِلُ إِلَىٰ حَدِّ الْكُفْرِ الأَكْبَرِ، وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوعِ؛ فَمِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَهُوَ مُقْتَضٍ لاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ وَالْعَذَابِ دُونَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْكُفْرِ مِمَّنْ تَنَالُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ:

كُفْرُ النِّعْمَةِ، وَكُفْرَانُ الْعَشِيرِ وَالإِحْسَانِ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِ، وَالْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ، وَقَولُ الْمُؤْمِنِ لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ: يَا كَافِرُ! إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجُرَات: ٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١).

وَقَالَ ﷺ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، أَوْ كَفَرَ**»(٣).

وَقَالَ ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٦٥)، والنسائي (٤١٣١)، وابن حبان (٥٩٤٠) واللفظ لهم.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) واللفظ له، وأحمد (٦٠٧٢).

(٤) أخرجه مسلم (٦٧).

ضوابط تكفير المعين[١]

إنَّ منَ الأمورِ المعلومة المسلَّمة في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة - التفريقَ بين الحكم علىٰ الاعتقاد، أو القول، أو الفعل بأنَّه كُفر أو شرك، وبين الحكم علىٰ المسلِم المعيَّن الذي اعتقد اعتقادًا كفريًا، أو فَعَل أمرًا مُكَفِّرًا، أو قال قولًا كُفْريًا.

فإنَّ الحكم علىٰ القول أو الفعل بأنه كُفْر، متعلِّقٌ ببيان الحكم الشرعي المطلَق، أمَّا الحكم علىٰ الشخص المعيَّن إذا اعتقد، أو قال، أو فعل أمرًا كفريًا مُخْرِجًا منَ الملَّة؛ كأن ينكرَ أمرًا معلومًا منَ الدِّين بالضرورة، وكأن يسُبَّ الله تعالىٰ أو يسبَّ دين الإسلام، فإنه لا بُدَّ عند الحكم عليه منَ التَّبيُّن عن حال هذا الشخص المعيَّن في ذلك، وذلك بمعرفةِ: هل توفَّرتْ فيه جميعُ شروط الحكم عليه بالكفر أو لا؟ وهلِ انتفَتْ عنه جميع موانع الحكم عليه بالكفر أو لا؟ فإنْ توفَّرتْ فيه جميع شروط التكفير، وانتفتْ عنه جميعُ موانعِه؛ حُكِم بكفْرِه، وإن لم يتوفَّر فيه شرطٌ واحد أو أكثر مِن شروط الحكم عليه بالكفر، أو وُجِد لديه مانع أو أكثر من موانع التكفير؛ لم يُحْكَم بكفرِه[٢].

---

(١) انظر: «ضوابط التكفير»، د. عبد الله القرني، نشر: مركز تكوين.

(٢) فمِن موانع تكفير مَن أنكر معلومًا منَ الدين بالضرورة - الجهلُ، كأن يكون حديثَ عهدٍ بإسلام، ومِن موانع تكفير مَن سَبَّ الله تعالىٰ أو سب دين الإسلام، أن يكون مُكرَهًا علىٰ ذلك، وهكذا، وسيأتي بيانٌ لهذه الموانع وغيرها إن شاء الله تعالىٰ. =

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ التكفير له شروط وموانعُ، قد تنتفي في حقِّ المعيَّن، وإن تكفير المطلَق لا يستلزم تكفيرَ المُعَيَّن، إلاَّ إذا وُجِدَتِ الشروط، وانتفتِ الموانع، يُبَيِّن هذا أنَّ الإمام أحمدَ وعامَّة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات -أي: مَن قال أو فعل كذا، فقد كفر- لم يُكَفِّروا أكثر مَن تَكَلَّم بهذا الكلام بعينِه.

= وفي المقابل فمَنِ ارتَكَبَ أحد المُكَفِّرات السابقة؛ كأن يسب دين الإسلام مثلًا، وكان مُتَعَمِّدًا لذلك، ليس عن سبق لسان أو نحوه، وكان عالمًا أنَّ هذا اللَّفظ من ألفاظ السَّبِّ والشَّتم، وكان غير مُكْرَه؛ أي: اجْتمعت فيه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعُه= فإنه يُحْكَم بِكُفر هذا الشخص المعيَّن؛ لكن لا يجوز أن يَحْكُمَ عليه بالكفر إلاَّ أهلُ العلم؛ كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالىٰ. وهذا التفصيل الذي يظهر منه الفرق بين الحكم المطلق، والحكم علىٰ المُعَيَّن - موجودٌ في كثيرٍ منَ الأحكام الشَّرعيَّة، فمثلًا: قَطْع يد السارق جاء حُكمه في الشرع عامًّا مُطلقًا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المَائدَة: ٣٨]؛ لكن لا يجوز قَطْع يد سارقٍ مُعينٍ، حتىٰ تتوفَّر فيه جميع شروط القطع، وتنتفي عنه جميع موانعه، فلا بدَّ أن يكونَ هذا السَّارق المُعين بالغًا عاقلًا، ولا بُدَّ أن يكونَ سرق المال مِن حِرْزه، ولا بد أن يَبْلُغ المالُ المسروق المقدارَ الذي تُقْطَع اليد بِسَرِقَتِه، ولا بُدَّ ألاَّ توجدَ شُبهة لهذا السارق في هذا المال، ونحو ذلك، فإذا تَوَفَّرَتْ جميع شروط القَطْع، وانْتَفَتْ موانعه، وجب حينئذٍ الحكم بِقَطْع يد هذا السارق المُعَيَّن. وكذلك جاء الحكم بِتَوْريث الولد مِن والده عامًّا مطلقًا؛ قال تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النِّسَاء: ١١]؛ لكن لا يجوز تَوْريثُ وَلَدٍ مُعَيَّن مِن والده؛ حتىٰ تَتَوَفَّرَ فيه جميع شروط الإرث، وتنتفي عنه جميع موانِعه، فلا بُدَّ منَ التَّأَكُّد من حياة الولد بعد وفاة الوالد، ولا بدَّ أن يكون الولد موافقًا لوالده في الدِّين، وألاَّ يكونَ قاتلًا لوالده، وألاَّ يكونَ رقيقًا، ونحو ذلك، فإذا توفرت جميع شروط الإرث في هذا الولد المُعَيَّن، وانتفت عنه جميع موانع الإرث؛ حُكمَ بتوريثه مِن والده. وكذلك جاء الحكم العامُّ بوجوب رجم الثَّيِّب الزَّاني، لكن لا يجوز رَجْم رجل معين إذا زنا وهو ثَيِّب، حتىٰ تَتَوَفَّر فيه جميعُ شروط الرَّجم، وتنتفي عنه جميع موانعه، فلا بُدَّ أن يكونَ عالمًا بتحريم الزنا، فقد يكون حديث عهد بإسلام، ولم يعلم بتحريمه، ولا بدَّ أن يكونَ مُحْصنًا، وأن تنتفي الشُّبهة، ونحو ذلك، فإذا توفَّرت جميع شروط الرَّجم في هذا الزاني المُعَيَّن، وانتفت عنه جميع موانعه؛ حُكِم برجمه

فإنَّ الإمام أحمد مثلًا قد باشَرَ الجهميَّة الذين دعَوه إلىٰ خَلْق القرآن، ونفْيِ الصفات، وامتحنوه وسائرَ علماء وقته، وفتنوا المؤمنينَ والمؤمنات الذين لم يوافقوهم علىٰ التَّجَهُّم بالضرب، والحبس، والقتل، والعزل عنِ الولايات، وقَطْع الأرزاق، ورَدِّ الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو، بحيث كان كثيرٌ مِن أولي الأمر إذ ذاك منَ الجهميَّة -مِنَ الولاة والقضاة وغيرهم- يُكَفِّرُون كلَّ مَن لم يكنْ جَهْمِيًّا موافقًا لهم علىٰ نَفْيِ الصفات، مثل القول بِخلْق القرآن، ويحكمون فيه بِحُكْمِهم في الكافر.

ثم إنَّ الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضَرَبَه وحبسه، واستغفرَ لهم، وحَلَّلهم مما فعلوه به من الظلم والدعاءِ إلىٰ القول الذي هو كُفر، ولو كانوا مرتدينَ عنِ الإسلام، لم يَجُز الاستغفار لهم، فإنَّ الاستغفار للكُفَّار لا يجوز بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمالُ منه ومِن غيره منَ الأئمة صريحةٌ في أنهم لم يُكَفِّروا المُعَيَّنينَ مِنَ الجَهْميَّة الذين كانوا يقولون: «إنَّ القرآن مخلوقٌ، وإنَّ الله لا يُرَىٰ في الآخرة،». **وقد نُقِل عن أحمد ما يدلُّ علىٰ أنه كَفَّر به -أي: بقول الجهميَّة وعقيدتهم- قومًا مُعَيَّنِين.**

فيُحمَل الأمر علىٰ التفصيل؛ فيقال: مَن كُفِّر بعينه، فَلِقِيام الدليل علىٰ أنَّه وُجِدَتْ فيه شروط التكفير، وانتفتْ موانعه، ومَن لم يُكَفَّر بعينه فَلانْتِفاء ذلك في حقِّه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير علىٰ سبيل العُمُوم.

والدَّليل علىٰ هذا الأصل: الكتاب، والسُّنَّةُ، والإجماع، والاعتبار، فالتكفير العامُّ كالوعيد العامِّ؛ يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم علىٰ المُعَيَّن بأنه كافر، أو مشهود له بالنار، فهذا يقف علىٰ الدليل المُعين، فإنَّ الحكم يقف علىٰ ثُبُوت شروطه، وانتفاء موانعه»؛ انتهىٰ كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ مختصرًا(١).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ١٢/ ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٨.

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «نُصُوص الوعيد التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك - لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعيَّن؛ إلاَّ إذا وُجِدَتِ الشروط، وانتفتِ الموانع»(١).

وقال شيخ الإسلام كذلك فيمَن قال ببعض مقالات الباطنيَّة الكفريَّة: «فهذه المقالات هي كُفر؛ لكن ثبوت التكفير في حقِّ الشخص المعيَّن، موقوفٌ علىٰ قيام الحجة التي يَكْفُر تاركها، وإن أطلق القول بتكفير مَن يقول ذلك، فهو مثل إطلاق القول بنُصُوص الوعيد، مع أنَّ ثُبُوت حكم الوعيد في حقِّ الشخص المعيَّن، موقوفٌ علىٰ ثبوت شروطه، وانتفاء موانعه؛ ولهذا أطلق الأئمة القول بالتَّكفير، مع أنهم لم يحكموا في عين كلِّ قائلٍ بِحُكم الكفار»(٢).

وقال ابن أبي العِزِّ الحنفي في (شرح الطحاوية)، عند كلامه علىٰ تكفير المُعَيَّن: «الشَّخص المعيَّن يمكن أن يكونَ مجتهدًا مخطِئًا مغفورًا له، أو يمكن أن يكونَ ممن لم يبلغْه ما وراء ذلك منَ النصوص، ويمكن أن يكونَ له إيمان عظيم، وحسنات أوجبتْ له رحمة الله . . .

ثمَّ إذا كانَ القول في نفسِه كفرًا، قيل: إنَّه كفر، والقائل له يَكْفُر بشروط، وانتفاء موانع»(٣).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ١٠/ ٣٧٢، وينظر المرجع نفسه ٣٥/ ١٦٥، ١٦٦، و«المسائل الماردينية»؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ص٧١.

(٢) «بغية المرتاد في الرَّد علىٰ المتفلسفة والقرامطة والباطنية»؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ص٣٥٣، ٣٥٤، وقال شيخ الإسلام أيضًا؛ كما في «مجموع الفتاوىٰ» ١٠/ ٣٢٩، ٣٣٠: «لَعْن المطلق لا يستلزم لَعْن المُعَيَّن الذي قام به ما يمنع لُحُوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق، ولهذا كان الوعيد المُطْلَق في الكتاب والسنة مشروطًا بثبوت شروط وانتفاء موانع»، وينظر: «بغية المرتاد» ص٣١١.

(٣) ينظر: «شرح الطحاوية» ص٤٣٧.

وقال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخوه الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان رحمهم الله تعالىٰ: «ومسألة تَكْفِيرِ المُعَيَّن مسألة معروفة، إذا قال قولًا يكون القول به كفرًا، فيقال: مَن قال بهذا القول فهو كافِر؛ ولكن الشخص المُعَيَّن إذا قال ذلك لا يُحْكَم بكفره، حتىٰ تقومَ عليه الحجة التي يكفر تاركُها»(١).

وقال الشيخ محمد بن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجِب قبل الحكم بالتَّكْفير أن يُنْظَر في أمرين: الأمر الأول: دلالة الكتاب والسُّنَّة علىٰ أن هذا مُكَفِّر؛ لِئلاَّ يُفْتَرَىٰ علىٰ الله الكَذِب.

الثاني: انطباق الحُكم علىٰ الشخص المُعَيَّن؛ بحيث تتم شروط التكفير في حَقِّه، وتنتفي الموانع»(٢).

وهذا أصلٌ عظيم يجب تفهُّمه والاعتناء به؛ لأنَّ التكفير ليس حقًّا للمخلوق، يُكفِّر مَن يشاء علىٰ وَفْق هواه؛ بل يجب الرُّجوع في ذلك إلىٰ الكتاب والسُّنَّة علىٰ فَهْم السَّلَف الصالح، فمَن كَفَّرَهُ الله ورسوله، وقامتْ عليه الحجة، فهو كافر، ومَن لا، فلا».

ثم ذَكَر الحديث المتَّفق عليه في قِصَّة الرَّجُل الذي أَمَرَ أولاده إذا مات أن يُحَرِّقُوه، ويذرُّوه في الرِّيح؛ لِئلاَّ يبعثه الله، ثم نَقَل عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة أنَّ الله تعالىٰ عَذَر هذا الرجل؛ لجهله، وخَوْفه مِن ربه، ثم قال: «والحاصِلُ أنَّ مذهب أهل التحقيق التَّفريقُ بين تكفير الفعل، وبين تكفير الفاعل، وكذلك الأمر في التَّبْديع، هناك فرقٌ بين تبديع القول أو الفعل، وبين تبديع القائل أو الفاعل، فليسَ كُلُّ مَن فعل بدعة صار مبتدعًا.

---

(١) «الدُّرر السنية» ١٠/ ٤٣٢، ٤٣٣.

(٢) ينظر: «مجموع فتاوىٰ»؛ الشيخ ابن عثيمين، (جمع فهد السليمان ٢/ ١٣٤).

ومَن نظر في سيرة السَّلَف عَرَفَ حقيقة هذا القول، وعلم أنَّ هذا مذهبهم، وهذه طريقتهم، ورأىٰ ما هم عليه منَ العدل، والإنصاف، وقول الحق، والحِرْص علىٰ هداية الخَلْق؛ لِمَا خَصَّهمُ الله به منَ العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا هو الواجب علىٰ جميع الخَلْق، أن يكونَ قصدهم بيانَ الحق، وإزهاق الباطل، مع العدل والإنصاف؛ ليكونَ الدِّين كلُّه لله، والحمد لله رب العالمين»؛ انتهىٰ كلام الشيخ سليمان العلوان وَفَّقَهُ الله[١].

فالمسلِم قد يقع في بعض أنواع الكفر أوِ الشِّرك الأكبر، والتي وردتْ أدلة شرعيَّة تدل علىٰ أن الوقوع فيها مُخْرِجٌ منَ الملَّة، وقال أهل العلم: «مَن فَعَلَهَا فقد كَفَر»؛ ولكن قد لا يُحْكَم علىٰ هذا المسلم المعيَّن بالكفر، وذلك لِفَقْد شرط مِن شروط الحكم عليه، أو وُجُود مانِع مِن ذلك.

ومِن شروط الحكم علىٰ المسلم المُعَيَّنِ بالكُفْر:

(١) أن يكونَ عالمًا بتحريم هذا الشيء المُكَفِّر، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الشرط عند ذِكْر مانع الجهل -الذي هو ضِدُّ العلم-

(٢) ومنها: أن يكونَ متعمِّدًا لفِعْله[٢]. - ومنها: أن يكونَ مختارًا، وذلك بألاَّ يكونَ مكرَهًا علىٰ قولٍ أو فعل الأمر المُكَفِّر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن

(١) ينظر رسالة: «التبيان نواقض الإسلام» (الطبعة السادسة: الملحق ص٧٥-٧٦)، وكان الشيخ قد قال في مقدمة هذه الطبعة ص٣: «كتبتُ ملحقًا آخِر الشرح في التفريق بين تكفير الفعل وتكفير الفاعل؛ لأن بعض الناس يخلط بين الأمرين، فيرىٰ التلازُم بينهما، وهذا غلط كما ستراه موضحًا في الملحق».

(٢) ينظر: «الاستغاثة»؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ١/ ٥٧٠، «إعلام الموقعين»، فصل اعتبار النِّيات ٣/ ٦٢، «البحر الرائق» ٥/ ١٣٤، ويُنظر: فتاوىٰ شيخنا محمد بن عُثيمين (جمع فهد السليمان ٢/ ١٢٥، ١٢٦).

مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦]، وهذا مُجمَع عليه بين أهل العلم.

ولأهل العلم أقوال وتفصيلات يَطُول ذِكْرها في الأمور التي يعذر فيها بالإكْراه، والأمور التي لا يُعْذَر فيها بذلك، وفي صُوَر الإكراه، وهل يدخل فيها الخوف من ضرر مُحقَّق أو لا؟ وفي شروطِ الإكْرَاه[1].

ومِنَ الأُمُور التي لا يُحْكَم علىٰ المسلم المعين بالكفر بِسَبَبِها -كما سبق- أن يوجدَ لديه مانعٌ من موانع الحكم علىٰ المُعَيَّنِ بالكُفْر.

ومِن موانع تكفير المُعَيَّن:

(١) **الجهل**: قال الإمام الشافعيُّ عند كلامِه علىٰ الأسماءِ والصِّفات الثابتة في القرآن والسُّنة: «فإنْ خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر، فأمَّا قبْل ثبوت الحجة عليه، فمعذور بالجهل»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «إن تكفير المُعَيَّن وجواز قتله، موقوف علىٰ أن تبلغَه الحجة النَّبويَّة، التي يَكْفُر مَن خَالَفَها، وإلاَّ فليس مَن جهل

---

(١) ينظر في مانِع الإكراه، وتفصيل صُوره ومسائله، وأقوال أهل العلم في ذلك: «تعظيم قدر الصلاة» ص٩٣٠، «المغني» ١٢/ ٢٩٢، ٢٩٥، «صحيح البخاري» مع شرحه، لابن بطال، أول كتاب الإكراه ٨/ ٢٩٠، ٢٩٤، وشرحه، لابن حجر، ١٢/ ٣١١، ٣١٥، وشرحه، للعيني ٢٤/ ٩٥، ٩٨، «تفسير القرطبي»، (تفسير الآية الأخيرة من سورة البقرة ٣/ ٤٣٢)، «إيثار الحق»؛ لابن الوزير ص٣٩٥، ٣٩٧، «البحر الرائق» ٥/ ١٣٤، تفسير الآية (٢٨) من آل عمران في تفاسير: «القرطبي»، و«ابن كثير»، و«الشوكاني»، «جامع العلوم والحكم»، (شرح الحديث ٣٩)، «سبيل النَّجاة والفكاك» (الدليل الرابع عشر)، رسالة «منهج ابن تيميَّة في مسألة التَّكفير» ١/ ٢٦٦، ٢٧٠، «رسالة ضوابط التكفير» ص٣٦٥، ٣٧٥، «رسالة نواقض الإيمان الاعتقادية، وضوابط التكفير عند السَّلَف»، ٢/ ٥، ١٩.

(٢) »مختصر العل و«ص١٧٧، «اجتماع الجُيُوش الإسلاميَّة» ص١٦٥.

شيئًا مِن الدِّين يَكْفُر»[١]. وقال شيخ الإسلام أيضًا عند كلامه علىٰ بعض المُكَفِّرات: «لكن مِن الناس مَن يكون جاهِلًا ببعض هذه الأحكام جهلًا يُعْذَر به، فلا يُحْكَم بكُفْر أحدٍ، حتىٰ تقومَ عليه الحجة مِن جهة بلاغ الرِّسالة»[٢].

وقال ابن القيم بعد ذِكْره كُفرَ مَن هَجَر فريضة من فرائض الإسلام، أو أنكر صفة من صفات الله تعالىٰ أو أنكر خبرًا أخبر الله به عمدًا: «وأمَّا جَحْد ذلك جهلًا، أو تأويلًا يُعْذَر فيه صاحبه، فلا يَكْفُر صاحبه به»[٣].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وأمَّا ما ذَكَرَه الأعداء عنِّي أنِّي أُكَفِّر بالظن وبالمُوَالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة؛ فهذا بهتان عظيم»[٤].

وجاء في فتوىٰ اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة - جوابًا عن سؤالٍ عن عُبَّاد القبور، وهل يُعْذَرُون بِجهلهم، وعنِ الأمور التي يُعْذَر فيها بالجهل: «يختلف الحُكم علىٰ الإنسان بأنْ يُعْذَر بالجهل في المسائل الدِّينية، أو لا يعذر، باختلاف البلاغ وعدمه، واختلاف المسألة نفسها وضوحًا وخفاءً، وتفاوُت مدارِكِ الناس قوةً وضعفًا»[٥].

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عُثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الجهل بالمُكَفِّر علىٰ نوعينِ: **الأول**: أن يكونَ مِن شخص يدين بِغَيْر الإسلام، أو لا يدين بشيء،

(١) «الاستغاثة» ١/ ٣٨١، ٣٨٢.
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ١١/ ٤٠٦.
(٣) «مدارج السالكين» ١/ ٣٦٧.
(٤) ينظر: «مجموعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» ١٢/ ٦٠.
(٥) ينظر: «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» ٢/ ٩٧، «الفتوىٰ» (١١٠٤٣).

ولو لم يكن يخطر بباله أن دينًا يخالف ما هو عليه، فهذا تَجْرِي عليه أحكام الظاهر في الدنيا -أي أحكام الكُفَّار- وأما في الآخرة فأمْرُه إلىٰ الله تعالىٰ.

النوع الثاني: أن يكونَ من شخص يدين بالإسلام؛ ولكنه عاش علىٰ هذا المُكَفِّر، ولم يَكُن يخطر ببالِه أنه مخالفٌ للإسلام، ولا نَبَّهه أحدٌ علىٰ ذلك، فهذا تجري عليه أحكام الإسلام ظاهرًا، أما في الآخرة فأمْرُه إلىٰ الله ﷻ وقد دَلَّ علىٰ ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم»[(١)].

ولأهلِ العِلْم أقوال وتفصيلات يَطُول ذِكْرُها في المسائل التي يكون الجَهْل بها مانعًا مِنَ الحكم بكفر المُعَيَّن، والمسائل التي لا يكونُ الجَهْلُ بها مانعًا منَ الحكم بكفره[(٢)] وقد ذَكَرَ بعض العلماء من أدلَّة هذا المانع

(١) ينظر: «مجموع فتاوىٰ شيخنا محمد بن عثيمين»، (جمع فهد السليمان ٢/ ١٣٠، ١٣١)، وقد ذكر بعد كلامه السابق أدلَّة منَ القرآن والسنة لهذا المانع، ثم نقل نقولات عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وعن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب فيها إثبات لهذا المانع، وبيان لبعض أدلته.

(٢) ينظر: «الفصل» ٣/ ٢٤٩، «المغني» الردة ١٢/ ٢٧٧، «الشفا» ٢/ ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٠، «منهاج السنة» ٥/ ٨٨، ١٢٥، «مختصر الفتاوىٰ المصرية» ص٢٤٧، ٢٤٨، «الرد علىٰ الأخنائي» ص٦١، ٦٢، «مجموع الفتاوىٰ» ٣٥، ١٦٤، ١٦٥، «الاستغاثة» ٢، ٦٢٩، ٦٣٠، «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد»، «الدرر السنية» ١/ ٢٣٥، ٢٣٦، ٥٢٠، ٥٢١، و١٠/ ٣٨٦-٤٧٤، «مجموعة التوحيد» ١/ ٥٤، رسالتا الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين في «تكفير المعين»، (مطبوعتان ضمن «الدرر السنية» ١٠/ ٣٥١، ٣٧٥)، رسالة «حكم تكفير المعين»؛ للشيخ إسحاق بن عبدالرحمن، «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» ٢/ ٩٦، ١٠٠، «الفتوىٰ» (١١٤٠٣)، «مجموع فتاوىٰ شيخنا عبدالعزيز بن باز» (جمع الطيار ٢/ ٥٢٨، ٥٢٩)، رسالة «ضوابط التكفير»: تكفير المعين، «رسالة نواقض الإيمان القولية والعملية»: العذر بالجهل، رسالة «التبيان شرح نواقض الإسلام»، الملحق ص٧٥، ٧٦، «المسائل المشتركة»؛ للدكتور محمد العروسي ص٣٠٣ وما بعدها. ويُنظر رسالة «الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه»؛ لعبدالرزاق معاش، والتي أشرف عليها شيخنا =

-مانع الجهل- قصَّة الرجل الذي لم يعملْ خيرًا قط، فأمَرَ أولاده إذا مات أن يحرِّقوه، ثم يذرُّوا رمادَه في يوم شديد الرِّيح في البحر، وقال: «**والله لئن قدر عليَّ ليُعَذِّبَنِّي عذابًا ما عَذَّبَ به أحدًا**»، **فغَفَرَ الله له**؛ (متفق عليه)[(١)] قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة بعد ذِكْره لهذا الحديث: «فهذا رجلٌ شَكَّ في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري؛ بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كُفْر باتِّفاق المُسلمينَ؛ ولكن كان جاهِلًا لا يعلم ذلك، وكان مُؤمنًا يخاف الله أنْ يعاقِبه، فغُفِر له بذلك»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «فهذا اعتقَد أنه إذا فعل ذلك لا يَقدر الله علىٰ إعادته، وأنه لا يعيده، أو جوَّز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلًا لم يتبيّن له الحق، فغفر له»[(٣)].

وقال الحافظ ابن القيم بعد ذكره لهذا الحديث: «ومع هذا، فقد غفر الله له ورحمه؛ لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغَ علمِه، ولم يجحد قدرة الله علىٰ إعادته عنادًا أو تكذيبًا»[(٤)].

= عبدالرحمن بن ناصر البَرَّاك، ورسالة «نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السَّلف»؛ للدكتور محمد الوهيبي ١/ ٢٢٥، ٣٠١، ففيهما تفصيل لمسائل هذا المانع.

(١) رواه البخاري في الأنبياء (٣٤٧٨، ٣٤٨١)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٨، ٢٧٥٧)، من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي سعيد، ورواه البخاري (٣٤٧٩)، من حديث حُذيفة، وقد رواه أيضًا عدة منَ الصحابة، وأحاديثهم مُخَرَّجة في غير الصحيحين، وقد ذَكَر شيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ كما في «مجموع الفتاوىٰ» ١٢/ ٤٩١، وابن الوزير في «إيثار الحق» ص٣٩٤، أن هذا الحديث متواتِر.

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوىٰ» ٣/ ٢٣١، ٢٣٠ وينظر: «الدرر السنية» ١٢/ ٧٣، ٧٤. وقال أبو محمد ابن حزم في «الفصل» ٣/ ٢٥٢: «فهذا إنسان جهل إلىٰ أن مات أنَّ الله ﷻ يقدر علىٰ جمع رماده وإحيائه، وقد غفر له؛ لإقراره وخوفه وجهله»، وينظر: «مختلف الحديث» ص٨١، «إيثار الحق» ص٣٩٤.

(٣) ينظر: «الاستغاثة في الرد علىٰ البكري»؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٣٨٣.

(٤) ينظر: «مدارج السالكين» ١/ ٣٦٧.

وقد ذكر بعض أهل العلم أدلة أخرىٰ كثيرة لهذا المانع[١].

(٢) ومن موانع التكفير للمعين أيضًا: التأويل: والتأويل هو: أن يرتكب المسلم أمرًا كفريًا، معتقدًا مشروعيته، أو إباحته له؛ لدليل يرىٰ صحته، أو لأمر يراه عذرًا له في ذلك، وهو مخطئ في ذلك كله.

فإذا اعتقد المسلم، أو فعل، أو قال أمرًا مخرجًا من الملة، وكان عنده شبهة تأويل في ذلك، وهو ممن يمكن وجودُ هذه الشبهة لديه، وكانت في مسألة يحتمل التأويل فيها، فإنه يُعذر بذلك، ولو كانت هذه الشبهة ضعيفة، وقد حكىٰ بعض العلماء إجماعَ أهل السنة علىٰ هذا المانع[٢].

---

(١) ينظر: «الفصل» ٣/ ٢٥١، ٢٥٣، فقد ذكر ثلاثة أدلة أخرىٰ لهذا المانع، وينظر: «منهج ابن تيمية في التكفير» ١/ ٢٤٣، ٢٤٩، فقد نقل مؤلفها نصوصًا عن ابن تيميَّة، فيها ذكر لتسعة أدلة لهذا المانع، وينظر: كتاب «القطع والظن» ٢/ ٤٦٩، ٤٧٩، المراجع المذكورة عند الإشارة إلىٰ أقوال أهل العلم في المسائل التي يكون الجهل بها مانعًا من تكفير المعين، ففيها أدلة كثيرة لهذا المانع.

(٢) **قال الإمام الشافعي في «الأم»: الأقضية ٦/ ٢٠٥**: «لم نعلم أحدًا من سَلَف هذه الأمة يقتدىٰ به، ولا منَ التابعين بعدهم، رَدَّ شهادة أحد بتأويل، وإن خطأه وضَلَّله، ورآه استحل فيه ما حرم عليه، ولا رد شهادة أحد بشيء من التأويل كان له وجه يحتمله، وإن بلغ فيه استحلال الدم والمال، أو المفرط من القول». وقال أبو محمد ابن حزم في «الفصل» ٣/ ٢٤٧: «ذهبتْ طائفة إلىٰ أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فُتيا، وأنَّ كل مجتهد في شيء من ذلك، فدان بما رأىٰ أنه الحق، فإنه مأجور علىٰ كل حال، وهو قول كلِّ من عرفنا له قولًا في هذه المسألة من الصحابة ﵃ لا نعلم منهم في ذلك خلافًا أصلًا، إلا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير مَن ترك صلاة متعمدًا، حتىٰ خرج وقتها»،»، وينظر: «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» ٥/ ٥٦٣. وقال ابن بَطَّال ٨/ ٥٩٥: «قال المهلب وغيره: لا خِلاف بين العلماء أن كل متأوِّل معذور بتأوله، غير مأثوم فيه؛ إذا كان تأويله ذلك مما يسوغ ويجوز في لسان العرب، أو كان له وجه في العلم». وقال الحافظ في «الفتح»: استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين ١٢/ ٣٠٤: «قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس يأثم؛ إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المتأوِّل الذي قصد متابعة الرسول ﷺ لا يكفر؛ بل ولا يفسق، إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع»(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المتأولين من أهل القِبلة الذين ضلوا وأخطؤوا في فَهم ما جاء به الكتاب والسنة، مع إيمانهم بالرسول، واعتقادهم صدقه في كل ما قال، وأن ما قاله كله حق، والتزموا ذلك، لكنهم أخطؤوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية، فهؤلاء قد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ عدم خروجهم من الدِّين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون، ومِن بعدهم أئمة السلف علىٰ ذلك»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: «هذا مع أني دائمًا -ومَن جالسني يعلم ذلك مني- أني من أعظم الناس نهيًا عن أن يُنسب معيَّنٌ إلىٰ تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا عُلم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي مَن خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرىٰ، وعاصيًا أخرىٰ، وإني أقرر أن الله قد غَفَر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعمُّ الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية.

---

(١) «منهاج السنة» ٥/ ٢٣٩.

(٢) ينظر: «الإرشاد إلىٰ معرفة الأحكام» ص٢٠٧.

وكنت أبيِّن لهم أن ما نُقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير مَن يقول كذا وكذا، فهو أيضًا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، وهذه أول مسألة تنازعتْ فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وهي مسألة: (الوعيد)، فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وكذلك سائر ما ورد: مَن فعل كذا فله كذا، فإن هذه مطلقة عامة.

والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديثَ عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثلُ هذا لا يكفر بجحد ما يجحده، حتىٰ تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوصَ، أو سمعها ولم تثبُت عنده، أو عارضها عنده معارضٌ آخر أوجب تأويلَها، وإن كان مخطئًا»، ثم ذكر قصة الرجل الذي أمر أولاده إذا مات أن يُحَرِّقُوه؛ لئلا يبعثه الله، ومغفرة الله له، ثم قال: «والمتأول من أهل الاجتهاد، الحريص علىٰ متابعة الرسول ﷺ أولىٰ بالمغفرة مِن مثل هذا»؛ انتهىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مختصرًا[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا، بعد ذِكره أن المعيَّن لا يكفر حتىٰ تجتمع فيه شروط التكفير، وتنتفي عنه موانعه: «والدليل علىٰ هذا الأصل: الكتاب، والسنة، والإجماع، والاعتبار»، ثم ذَكَر بعض هذه الأدلة، ثم قال: «وإذا ثبت بالكتاب المفسَّر بالسنة، أن الله قد غفر لهذه الأمةِ الخطأَ والنسيان، فهذا عام عمومًا محفوظًا، وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذِّب من هذه الأمة مخطئًا علىٰ خطئه.

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوىٰ» ٣/ ٢٢٩، ٢٣١.

وإذا عُرف هذا، فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم -بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار- لا يجوز الإقدام عليه، إلا بعد أن تقوم علىٰ أحدهم الحجةُ الرسالية التي يتبيَّن بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، وهذا الكلام في تكفير جميع المعينين، مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحدٍ أن يكفر أحدًا من المسلمين -وإن أخطأ وغلط- حتىٰ تقام عليه الحجةُ، وتبيَّن له المحجة، ومَن ثبت إيمانه بيقين، لم يَزُل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»؛ انتهىٰ كلامه بحروفه مختصرًا[1].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين عند كلامه علىٰ تكفير المعين: «ومن الموانع أيضًا أن يكون له شبهة تأويل في المكفِّر، بحيث يظن أنه علىٰ حق؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة، فيكون داخلًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، ولأن هذا غاية جهده، فيكون داخلًا في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»[2].

ولأهل العلم تفصيل وأقوال يطول ذِكرها في المسائل التي يكون التأويل فيها مانعًا في الحكم بكفر المعين، والمسائل التي لا يكون التأويل فيها مانعًا من الحكم بكفره[3].

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوىٰ» ١٢/ ٤٨٩، ٤٩٠/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) ينظر: «مجموع فتاواه» رَحِمَهُ اللَّهُ (جمع فهد السليمان ٢/ ١٣٦).

(٣) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في «الإرشاد» ص٢٠٩، بعد كلامه عن عذر التأويل الذي سبق نقله قريبًا، وبعد ذكره أن المبتدعة الواقعين في المكفر ثلاثة أقسام: قسم لا يُعذر؛ بل يكفر؛ لمعرفته بالحق، وإصراره علىٰ المخالفة، وقسم آثِم؛ لعدم بحثِه عنِ الحق، =

وعلىٰ وجه العموم، فعذر التأويل من أوسع موانع تكفير المعين.

ولهذا ذَكر بعض أهل العلم أنه إذا بلغ المتأولَ الدليلُ فيما خالف فيه ولم يرجع، وكانت في مسألةٍ يحتمل وقوع الخطأ فيها؛ لخفائها، واحتَمَل بقاء الشبهة في قلب مَن أخطأ فيها؛ لشُبَهٍ أثيرتْ حولها، أو لملابسات أحاطت بها في واقعة أو وقائع معينة، ونحو ذلك - أنه لا يُحكم بكفره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

= وقسم ربما كان مغفورًا له؛ لجهله مع حرصه علىٰ معرفة الحق، ولكن لم يتيسر له من يعلمه إيَّاه، قال -رحمه الله تعالىٰ-: «والمقصود أنَّه لا بد مِن هذا الملحظ في هذا المقام؛ لأنه وُجِد بعض التَّفاصيل التي كَفَّر أهلُ العلم فيها مَن اتَّصف بها، وثَمَّ أُخَر من جنسها لم يكفروه بها، والفرق بين الأمرين أن التي جزموا بكفره بها؛ لعدم التأويل المسوغ، وعدم الشُّبهة المقيمة لبعض العُذر، والتي فصلوا فيها القول؛ لكثرة التأويلات الواقعة فيها». وقال الشيخ محمد بن عُثيمين؛ كما في «المجموع الثمين» ٢/ ٦٣: «النوع الثاني -أيْ من أنواع الجحود-: إنكار تأويل، وهو ألاَّ يجحدها، ولكن يؤولها، وهذا نوعان: الأول: أن يكونَ لهذا التأويل مُسَوِّغ في اللُّغة العربيَّة، فهذا لا يوجب الكفر، الثاني: ألاَّ يكونَ له مسوغ في اللغة العربية، فهذا موجب للكفر؛ لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبًا، مثل أن يقول: ليس لله يد حقيقة، ولا بمعنىٰ النِّعمة أو القوة، فهذا كافر؛ لأنَّه نفاها نفيًا مطلقًا، فهو مكذب حقيقة، ولو قال في قوله -تعالىٰ-: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: المراد بيديه السموات والأرض، فهو كافر؛ لأنه لا يصح في اللغة العربية، ولا هو مقتضىٰ الحقيقة الشرعية، فهو منكر مُكَذِّب». وتنظر أقوال أهل العلم في هذه المسألة في مراجع مانع الجهل السابقة، وينظر أيضًا: «الشفا» ٢/ ٥٠٠، ٥٢٩، «المغني» ١٢/ ٢٧٦، «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» ٢٠/ ٢٦٣، ٢٦٨، و٣٥/ ١٦١، ١٦٢، «إيثار الحق» ص٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٣، رسالة «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» ١/ ١٩٣، ٢٥٠، رسالة «ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة»: ضابط الإعذار بالشبهة ص٣٥٧، ٣٦٣، رسالة «نواقض الإيمان القولية والعملية»، تكفير المتأول ص٧٥-٨٠، رسالة «نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السَّلَف» ٢/ ٢٠، ٣٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغْه النصوصُ الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن مِن فهمها، وقد يكون عرضت له شبهاتٌ يَعذره الله بها، فمَن كان مِن المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه، كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أم العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام»[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم عند ذِكره لأنواع المكفِّرات: «القسم الثالث: أشياء تكون غامضة، فهذه لا يكفر الشخص فيها، ولو بعدما أقيمت عليه الأدلة، وسواء كانت في الفروع أو الأصول»[٢].

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه من أجل هذا المانع -وهو مانع التأويل- لم يكفِّر الصحابةُ رضي الله عنهم الخوارجَ الذين خرجوا عليهم، وحاربوهم، وكفَّروا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب المشهود له بالجنة، واستحلوا دمه، حتىٰ قتلوه، واستحلوا دماءَ جميع مَن خالفهم، مع أن بعض ما وقعوا فيه هو من الأمور التي يَكفر مرتكبُها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم تكفِّر الصحابة الخوارجَ، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومَن والاهُما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم»[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ٢٣/ ٣٤٦.
(٢) ينظر: «فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» ١/ ٧٤.
(٣) يُنظر: «منهاج السنة» ٥/ ٩٥، وينظر أيضًا: «مجموع الفتاوىٰ» ٣/ ٢٨٢، ٢٨٣، و٧/ ٢١٧، «المغني» ١٢/ ٢٧٦ «الدرر السنية» ١٠/ ٤٣١، و١٢/ ٢٧٢. وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي في «الإرشاد» ص٢٠٧، ٢٠٨: «الخوارج الحرورية الذين خرجوا علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومَن معه من الصحابة والمسلمين، وكفروهم، =

ومن أجل هذا المانع أيضًا -وهو مانع التأويل- صرَّح بعض العلماء بعدم تكفير بعض المعيَّنين من الجهمية، الذين يعتقدون بعض الاعتقادات الكفرية في صفات الله تعالىٰ(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المحفوظ عن أحمدَ وغيرِه من الأئمة، إنما هو تكفير الجهمية المُشَبِّهة وأمثال هؤلاء.

مع أن أحمدَ لم يكفِّر أعيان الجهمية، ولا كل مَن قال: «إنه جهمي» كفَّره، ولا كل مَن وافق الجهمية في بعض بدعهم؛ بل صلَّىٰ خلف الجهمية الذين دعَوْا إلىٰ قولهم، وامتحنوا الناس، وعاقبوا مَن لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفِّرهم أحمدُ وأمثاله؛ بل كان يعتقد إيمانَهم وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرىٰ الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم،

= واستحلوا دماءهم الثابت بالكتاب والسنة والإجماع عصمتها واحترامها، فضللوهم، واستباحوا قتالهم؛ حيث خرجوا عليهم، ولم يخرجوهم من دائرة الإسلام مع استحلالهم ما هو من ضرورات الدِّين، ولكن التأويل الذي قام بقلوبهم، وظنوا أنه مراد الله ورسوله مَنَعَ الصحابة من الحكم عليهم بالكفر؛ اتِّباعًا لقوله -تعالىٰ-: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله -تعالىٰ-: «قد فعلت»، وهذا عام في كل ما أخطأ فيه المؤمنون منَ الأمور العملية والأمور الخبرية؛ بل أبلغ من ذلك أنهم يَروُون عنهم -أي يروون عنِ الخوارج- ويأخذون الأحاديث المتعلِّقة بالدين إذا تبيَّن صِدقهم، مع أن مذهبهم -غير تكفير المسلمين- إنكارُ الشفاعة في أهل الكبائر، مع ثبوتها وتواترها؛ ولكنهم مع عدم تكفيرهم لهم قد حكموا عليهم بالضلال، والمروق منَ الشريعة، ومخالِفَة المسلمين، واستحلُّوا قتالهم؛ بل رأوه من أفضل الأعمال المقربة منه؛ لشدة ضررهم في عقيدتهم وسيفهم»؛ انتهىٰ كلام الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله.

(١) وهذا الحكم لا يشْمَل غلاة الجهميَّة، قال الحافظ ابن القَيِّم؛ كما في «الدرر السنية» ١٠/ ٣٧٤: «وأما غُلاة الجهميَّة فكغُلاة الرَّافضة، ليس للطَّائفتينِ في الإسلام نصيب؛ ولذلك أخرجهم جماعة منَ السَّلَف منَ الثِّنتين والسبعين، وقالوا: هم مباينون للملَّة»، وينظر: «منهج ابن تيمية في التكفير» ١/ ١٩٨، ١٩٩.

والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأئمة»؛ انتهىٰ كلام شيخ الإسلام ملخصًا[(١)].

وقال شيخ الإسلام أيضًا، بعد ذِكره لقصة قدامة، ولقصة الذي طلب من أولاده أن يحرقوا جسده بعد موته السابقتين: «ولهذا كنتُ أقول للجهمية من الحلولية والنُّفاة، الذين نفوا أن الله تعالىٰ فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافرًا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جُهَّال[(٢)]، وكان هذا خطابًا لعلمائهم، وقضاتهم، وشيوخهم، وأمرائهم، وأصلُ جهلهم شبهاتٌ عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور من معرفة المنقول الصحيح، والمعقول الصريح الموافق له»[(٣)].

---

(١) ينظر: «الإيمان الأوسط» ص٣٧٤، ٣٧٥، «مجموع الفتاوىٰ» ٧/ ٥٠٧، ٥٠٨، وينظر: ما سبق نقله في أول هذه الرسالة من كلام شيخ الإسلام، الذي بين فيه موقف الإمام أحمد وغيره منَ السَّلَف من بعض المعينين منَ الجهميَّة.

(٢) ينظر توجيه كلام شيخ الإسلام هذا في «الدرر السنية» ١٠/ ٣٧٣، من كلام الشيخ عبد الله أبابطين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) ينظر: كتاب «الاستغاثة» ١/ ٣٨٣، ٣٨٤، وقال شيخ الإسلام كذلك كما في «مجموع الفتاوىٰ» ٥/ ٥٦٣، بعد ذكره لحيرة وضلال بعض الجهميَّة: «لكن لم يعرف هؤلاءِ حقيقة ما جاء به الرسول، وحصل اضطراب في المعقول به، فحَصَل نقص في معرفة السَّمع والعقل، وإن كان هذا النَّقص هو منتهىٰ قدرة صاحبه، لا يَقْدر علىٰ إزالته، فالعجز يكون عذرًا للإنسان في أنَّ الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التام، هذا هو قول السَّلَف والأئمة، في أنَّ مَن اتَّقىٰ الله ما استطاع، إذا عجز عن معرفة بعض الحق، لَم يعذَّب به»، وينظر: المرجع نفسه ١٢/ ٤٨٥، ٤٨٩. وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرشاد» ص٢٠٨، ٢٠٩ عند كلامه علىٰ عذر التأويل: «وكذلك المعتَزِلة ونحوهم، معروف معاملة الأئمة لهم، وأنهم مع شدة إنكارهم لبدعهم، لم يخرجوهم من دائرة الإسلام، ويحكموا لهم بأحكام الكافرين، مع أن بدعهم مشتملة علىٰ تكذيب نصوص كثيرة منَ الكتاب والسنة، ونفي صفات الله وعلوه علىٰ خلقه، وما أشبه ذلك من الأصول العظيمة التي قررها الكتاب والسنة، مع إنكارهم وتحريفهم، ومعاملتهم لأئمة أهل السنة =

وعلىٰ العموم، فإن مسألة تكفير المعين مسألة كبيرة، تختلف فيها أنظار المجتهدين، وللعلماء في بعض جزئياتها أقوالٌ وتفصيلات، سبقت الإشارة إلىٰ بعضها عند الكلام علىٰ الإكراه، وعند الكلام علىٰ الجهل، وعند الكلام علىٰ التأويل(١).

فلهذا ينبغي للمسلم ألاَّ يتعجل في الحكم علىٰ الشخص المعين، أو الجماعة المعينة بالكفر، حتىٰ يتأكد من وجود جميع شروط الحكم بالكفر، وانتفاء جميع موانعه.

فتكفير المعين يحتاج إلىٰ نظر من وجهين: الأول: معرفة هل هذا القول أو الفعل الذي صدر من هذا المكلَّف، مما يدخل في أنواع الكفر أو الشرك الأكبر، أو لا؟ والثاني: معرفة الحكم الصحيح الذي يُحكم به علىٰ هذا المكلف، وهل وجدت جميع أسباب الحكم عليه بالكفر، وانتفت جميع الموانع من تكفيره، أو لا؟(٢).

وهذا يجعل مسألةَ تكفير المعين من المسائل التي لا يَحكم فيها علىٰ شخص أو جماعة، إلا أهلُ العلم.

والحكم علىٰ المسلم بالكفر -وهو لا يستحقه- ذنب عظيم؛ لأنه حكم عليه بالخروج من ملة الإسلام، وأنه حلال الدم والمال، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات علىٰ ذلك؛ ولذلك ورد الوعيد الشديد في شأن

= تلك المعاملة القبيحة، لم يكفروهم، مع أنهم صرحوا أن مقالاتهم كفر، ومشتملة علىٰ الكفر؛ وذلك لأجل تأويلهم وجهلهم»؛ انتهىٰ كلام الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سمىٰ ردهم للمعاني الظاهرة للنصوص وصرفها عن ظواهرها تكذيبًا.

(١) ينظر: مراجع عذر الإكراه، وعذر الجهل، وعذر التأويل السابقة.

(٢) سيأتي كلام الشيخين عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، ومحمد بن عثيمين رحمهما الله في هذه المسألة قريبًا إن شاء الله تعالىٰ.

مَن يحكم علىٰ مسلم بالكفر وهو ليس كذلك؛ فقد ثبت عن أبي ذر، قال: قال النبي ﷺ: «لا يرمي رجلٌ رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدتْ عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»؛ متفق عليه(١).

قال علاَّمة اليمن محمد بن علي الشوكاني: «اعلم أن الحكم علىٰ الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر - لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يقدمَ عليه إلا ببرهانٍ أوضحَ من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة، أن: «مَن قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»؛ هكذا في الصحيح، وفي لفظ آخر في (الصحيحين) وغيرهما: «مَن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه»؛ أي رجع، وفي لفظ في الصحيح: «فقد كفر أحدهما»، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظمُ زاجر، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير»(٢).

---

(١) البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١)، وله شواهد كثيرة تنظر في «مشكل الآثار» (٨٥٥، ٨٦٥) وغيره، وقال ابن الوزير بعد ذِكره لِتَوَاتر هذه الأحاديث، وذكره ما يشهد لها، قال في «إيثار الحق» ص٣٨٥: «وفي مجموع ذلك ما يشهد لصحة التغليظ في تكفير المؤمن، وإخراجه منَ الإسلام مع شهادته بالتوحيد والنبوات، وخاصة مع قيامه بأركان الإسلام، وتجنبه للكبائر، وظهور أمارات صدقه في تصديقه، لأجل غلطة في بدعةٍ، لعل المكفِّر له لا يَسلم من مثلها أو قريب منها، فإنَّ العصمة مرتفعة، وحُسن ظن الإنسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك عقلًا ولا شرعًا؛ بل الغالب علىٰ أهل البدع شدة العُجب بنفوسهم، والاستحسان لبدعتهم». وقال ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام» في آخر باب اللعان ٤/ ٧٦، عند شرحه لحديث أبي ذر السابق: «وهذا وعيدٌ عظيم لمن كفر أحدًا منَ المسلمين وليس كذلك، وهي وَرْطَة عظيمة، وَقَعَ فيها خَلْق كثير منَ المتكلمين ومن المنسوبين إلىٰ السُّنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا علىٰ مخالفيهم، وحكموا بِكُفْرهم».

(٢) انظر: «السَّيل الجَرَّار»، فصل: والرِّدَّة باعتقاد أو فعل أو زي أو لفظ كُفري ٤/ ٥٧٨.

وقال ابن أبي العز الحنفي: «اعلم -رحمك الله وإيانا- أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنةُ والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد، وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجُوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يُشهد علىٰ معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت؛ ولهذا ذكر أبو داود في (سننه) في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي، وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهدُ يرىٰ الآخرَ علىٰ الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا علىٰ ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلِّني وربي، أبُعثتَ عليَّ رقيبًا؟! فقال: واللهِ لا يغفر الله لك، أو: لا يدخلك الجنةَ، فقبَض أرواحَهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو كنت علىٰ ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلىٰ النار»، قال أبو هريرة: «والذي نفسي بيده، لتكلَّم بكلمةٍ أوبقتْ دنياه وآخرتَه»[(١)]؛ وهو حديث حسن، فمِن عيوب أهل البدع تكفيرُ بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطِّئون ولا يكفِّرون»؛ انتهىٰ كلام ابن أبي العز رحمه الله بحروفه مختصرًا[(٢)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)، وابن حِبَّان (٥٧١٢)، بإسنادٍ حَسَنٍ، وله شاهِد مِن حديث جندب عند مسلم (٢٦٢١)، مرفوعًا: «أن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله -تعالىٰ- قال: مَن ذا الذي يَتَأَلَّىٰ عليَّ ألاَّ أغفر لفلان، فإنِّي قد غفرتُ لفلان، وأحبطتُ عملك»، أو كما قال.

(٢) «شرح الطحاوية» ص٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٩، وجُملة «مِن عيوب أهل البدع . . . إلخ»، نَقَلها فيما يظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» ٥/ ٢٥١.

وقال ابن الوزير: «وقد عُوقِبَتِ الخوارج أشد عقوبة، وذُمَّت أقبح الذم علىٰ تكفيرهم لعصاة المسلمين، مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله تعالىٰ وتعظيمهم الله تعالىٰ بتكفير عاصيه، فلا يأمن المُكَفِّر أن يقع في مثل ذنبهم، وهذا خَطَر في الدين جليل، فينبغي شدة الاحتراز فيه مِن كل حليم نبيل»(١).

قال شيخ الإسلام أي ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا بدَّ للمتكلم في هذه المباحث ونحوها، أن يكون معه أصول كليَّة، يرد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعتْ، وإلا فيبقىٰ في كَذِب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكلِّيَّات»، وأطال الكلام علىٰ الفرق بين المتأوِّل والمتعمِّد، ومن قامت عليه الحجة وزالت عنه الشُّبهة، والمخطئ الذي الْتبس عليه الأمر، وخفي عليه الحكم»(٢).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالىٰ: «الأصل فيمَن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه، حتىٰ يتحقق زوال ذلك عنه، بمقتضىٰ الدليل الشرعي، ولا يجوز التَّساهُل في تكفيره؛ لأن في ذلك محذورين:

أحدهما: افتراء الكذب علىٰ الله تعالىٰ في الحكم، وعلىٰ المحكوم عليه في الوصف الذي نَبَزَه به، أما الأول: فواضح حيث حَكَم بالكفر علىٰ مَن لم يكفره الله تعالىٰ فهو كمَن حَرَّمَ ما أحل الله؛ لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلىٰ الله وحده؛ كالحكم بالتحريم أو عدمه.

وأما الثاني: فلأنه وصف المسلم بوصف مضادٍّ، فقال: إنه كافر، مع أنه بريء من ذلك، وحريٌّ به أن يعود وصفُ الكفر عليه؛ لما ثبت في (صحيح مسلم)، عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا كَفَّرَ**

(١) «إيثار الحق علىٰ الخَلْق» ص٤٠٣..

(٢) ينظر: «الدرر السنية» ١٠/٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، وينظر: «منهاج السنة» ٥/٨٩، ١٢٥.

الرجل أخاه، **فقد باء بها أحدهما**»، وفي رواية: «**ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه**»، يعني رجع عليه.

وقوله في حديث ابن عمر: «**إن كان كما قال**»؛ يعني: في حكم الله تعالىٰ وكذلك قوله في حديث أبي ذر: «**وليس كذلك**»؛ يعني: في حكم الله تعالىٰ وهذا هو المحذور الثاني؛ أعني: عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئًا منه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقعَ به؛ لأن الغالب أنَّ مَن تَسَرَّعَ بوصف المسلم بالكفر كان معجبًا بعمله، محتقرًا لغيره، فيكون جامعًا بين الإعجاب بعمله، الذي قد يؤدي إلىٰ حُبُوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالىٰ في النار؛ كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود، عن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**قال الله ﷿: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، قذفته في النار**»[(١)]، فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن يُنظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب والسنة علىٰ أن هذا مكفِّر؛ لئلاَّ يفتري علىٰ الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم علىٰ الشخص المعيَّن؛ بحيث تتم شروط التكفير في حقِّه، وتنتفي الموانع»؛ انتهىٰ كلام الشيخ ابن عثيمين ﵀[(٢)].

ولذلك كله، فإنه يجب علىٰ المسلم الذي يريد لنفسه النجاة، ألاَّ يتعجل في إصدار الحكم علىٰ أحد منَ المسلمين بالكفر أو الشرك، كما أنه يحرم علىٰ العامة وصغار طلاَّب العلم أن يحكموا علىٰ مسلم معين، أو علىٰ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٧٣٨٢)، وأبو داود (٤٠٩٠) بإسناد صحيح، ورواه مسلم (٢٦٢٠)، عن أبي سعيد وأبي هريرة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمَن ينازعني عذبته».

(٢) ينظر: «مجموع فتاواه»، (جمع فهد السليمان ٢/ ١٣٣، ١٣٤).

جماعة معيَّنة من المسلمين، أو علىٰ أناس معينين منَ المسلمين ينتسبون إلىٰ حزب معين - بالكفر، دون الرجوع إلىٰ أهل العلم في ذلك.

كما أنه يجب علىٰ كل مسلم أن يجتنبَ مجالسة الذين يتكلمون في مسائل التكفير، وهم ممن يَحْرُم عليهم ذلك؛ لقلَّة علمهم؛ لأن كلامهم في هذه المسائل منَ الخوض في آيات الله تعالىٰ وقد قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨][(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «إنَّ تسلُّط الجُهَّال علىٰ تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا منَ الخوارج والروافض، الذين يكفِّرون أئمة المسلمين؛ لما يعتقدون أنهم أخطؤوا فيه من الدِّين، وقد اتَّفَق أهل السنة والجماعة علىٰ أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمُجرد الخطأ المحض؛ بل كل أحد يُؤخَذ من قوله ويترك، إلا رسولَ الله ﷺ، وليس كل مَن يترك بعضُ كلامه لخطأٍ أخطأه يَكفر ولا يفسق؛ بل ولا يأثم؛ فإنَّ الله تعالىٰ: قال في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أن الله تعالىٰ قال: قد فعلت»[(٢)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله في رسالته التي وجهها لبعض المُتَسَرِّعين في التكفير، بعد ذكره أنه قد أنكر علىٰ رجلين صنعا مثلما صنع هذا المتسرع، قال: «وأخبرتهم -أي: هذين الرجلين- ببراءة الشيخ محمد -أي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب- من هذا المعتقَد والمذهب، وأنه لا يكفِّر إلا بما

(١) ينظر: تفسير هذه الآية في تفاسير: «القرطبي»، و«الشوكاني»، و«السعدي».
(٢) ينظر: «مجموع الفتاوىٰ» ٣٥/ ١٠٠.

أجمع المسلمون علىٰ تكفير فاعله منَ الشِّرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر»، ثم استطرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حال هذين الرجلين، وفي تفكيرهما لولاة أمور المسلمين، ولبعض أهل العلم، ثم قال مخاطبًا هؤلاء المتسرعين في التكفير: «وقد بلغنا عنكم نحوٌ من هذا، وخضتُم في مسائل من هذا الباب، كالكلام في المُوالاة والمعاداة، والمصالحة والمكاتبات، وبذل الأموال والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ونحوهم منَ الجفاة، والتي لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومَن رُزق الفهم عن الله وأوتي الحكمة وفصل الخطاب، والكلام في هذا يتوقف علىٰ معرفة ما قَدَّمناه، ومعرفة أصول عامة كلية، لا يحوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها وأعرض عنها وعن تفاصيلها، فإنَّ الإجمال والإطلاق، وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله، يحصل به منَ اللَّبس والخطأ، وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان، ويُشتت الأذهان، ويحول بينها وبين فهم السنة والقرآن»[(١)].

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالجملة فيجب علىٰ مَن نَصح نفسَه ألاَّ يتكلَّم في هذه المسألةِ، إلا بعلمٍ وبرهان من الله، ولْيحذر مِن إخراج رجلٍ من الإسلام بمجرد فَهمه واستحسان عقله؛ فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخالَه فيه أعظمُ أمور الدين . . . وأيضًا: فما تنازع العلماءُ في كونه كفرًا، فالاحتياطُ للدين التوقفُ وعدم الإقدام، ما لم يكن في المسألة نصٌّ صريح عن المعصوم ﷺ وقد استزلَّ الشيطان أكثرَ الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة، فحَكَموا بإسلام مَن دلَّت نصوصُ الكتاب والسنة والإجماع علىٰ كفره، وتعدَّىٰ بآخرين فكفَّروا مَن حكم

(١) ينظر: «الدرر السنية» ١/ ٤٦٧، ٤٦٩.

الكتابُ والسنة مع الإجماع بأنه مسلم، ومن العجب: أن أحد هؤلاء لو سئل عن مسألة في الطهارة، أو البيع ونحوهما، لم يُفتِ بمجرد فهمه، واستحسان عقله؛ بل يبحث عن كلام العلماء، ويفتي بما قالوه، فكيف يعتمد في هذا الأمرِ العظيم، الذي هو أعظم أمور الدين، وأشدها خطرًا علىٰ مجرد فهمه واستحسانه؟! فيا مصيبةَ الإسلام من هاتين الطائفتين! ومحنته من تَيْنِكَ البَلِيَّتين!»(١).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ **في إجابةٍ لسؤال عن بعض المسائل المتعلقة بالتكفير**: «الحمد لله وكفىٰ، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ، أما بعد؛ فقد تأملتُ ما ذَكره الأخ من المسائل التي ابتُلي بالخوض فيها كثيرٌ من الناس مِن غير معرفة ولا إتقان، ولا بينة ولا دليل واضح من السنة والقرآن، وقد كان غالب مَن يتكلم فيها بعضَ المتدينين من العوام، الذين لا معرفةَ لهم بمدارك الأحكام، ولا خبرة لهم بمسالك مهالكها المظلمة العظام، وليس لهم اطِّلاع علىٰ ما قرَّره أئمة الإسلام، ووضحوه في هذه المباحث التي لا يتكلم فيها إلا فحولُ الأئمة الأعلام، وهذه المسائل قد وضحها أهلُ العلم وقرروها، وحسبنا أن نسير علىٰ منهاجهم القويم، ونكتفي بما وضحوه من التعليم والتفهيم، ونعوذ بالله من القول علىٰ الله بلا علم، وهذه المسائل التي أشرت إليها لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومَن رُزق الفهم عن الله وأوتي الحكمة وفصل الخطاب»؛ انتهىٰ كلام الشيخ سليمان بن سحمان - رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

فهذه خلاصة في ضوابط تكفير المعين، وشروط ذلك وموانعه، وهي دالة علىٰ عظم خطر هذا الباب وخطورة الولوغ فيه بغير هدىً ولا بصيرة.

---

(١) ينظر: «الدر السنية» ١٠/ ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) «الدرر السنية» ١٠/ ٤٦٨، ٤٦٩.

المصادر الأساسية

١- نبراس الإيمان، أ. سلمان عبد الرحيم محمد العصفور.
٢- دلائل أصول الإسلام (مقرر المستوىٰ الأول من مساق تعزيز اليقين ضمن برنامج صناعة المحاور)، إعداد مركز صناعة المحاور، نشر مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
٣- دلائل فصول في النبوة وصحة الاسلام، محمد سمير، دار المعالي.
٤- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٥- الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري.
٦- الأصول الكبرىٰ: الرؤية الكونية الاسلامية وإجاباتها علىٰ الأسئلة الوجودية، أحمد سالم، نشر عالم الأدب.
٧- المقصد المأمول من معارج القبول بشرح سلم الوصول، خالد بن محمود الجهني.
٨- بريق الجمان بشرح أركان الايمان، محمد محمدي النورستاني.
٩- المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر عطا صوفي.